شهود على التاريخ

ماهر مقلد

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

شهود على التاريخ

ماهر مقلد

عن الكتاب..

يجمع ماهر مقلد في هذا الكتاب شهادات تاريخية على لسان رموز عاصرت هذه الأحداث مثل جيهان السادات، وبرلنتى عبد الحميد، وسامى شرف، وأمين هويدي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداءٌ..

إلى المحترم

«إبراهيم شاهين»

كان متحمسًا للكتاب بدرجة لا توصف

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة لا بُدَّ منها

ما الجديد الذي يمكن أن يضيفه كتاب إلى المكتبة العربية، يحوى حوارات صحفية جرت بالفعل قبل عقود من الزمن؟ سؤال شغل بالى طويلا، وكنت أفكر فيه وأتردد فى الإقدام على التجربة وجمع الحوارات وإصدارها فى كتاب، على الرغم من أن المكتبة تضم مئات الكتب من هذه الفئة، وأمام رغبة بعض الأصدقاء وحثهم لى على إنجاز هذا العمل عدت إلى مطالعة الحوارات من جديد، ووجدت نفسى مشدودًا إليها من ناحية أنها كانت مع شخصيات نادرة فى التاريخ، لها رصيد من العمل والإنجاز، واكتشفت أن إجابات هذه الشخصيات كانت تحمل رؤية متقدمة جدًا لجملة المواقف المؤثرة التي نعيش تفاصيلها فى هذا العصر فى القضايا السياسية والفنية والاقتصادية والأديان.

تحمست لإصدار الكتاب، وفكرت فى أن أكتب مع كل حوار ملابساته، والدوافع التي جعلتنى أجرى هذا الحوار مع تلك الشخصية فى هذا التوقيت.

القاعدة الذهبية للحوار هى أن تكون الشخصية فى بؤرة الحدث، والقصد من بؤرة الحدث هو أن يكون السؤال الأول مرتبطًا بهذه النقطة مما يسهل بعد ذلك توالى الأسئلة، فالسؤال الأول فى الحوار الصحفي هو مفتاحه الذي يضمن له الحيوية والتدفق.

رصدت فى الكتاب ما حدث مع عدد كبير من الشخصيات قبل الحوار وبعد النشر، اعتمادًا على الذاكرة، ويبدو أن مِنْ فِرْطِ تأثير هذه الشخصيات عاشت هذه الملاحظات حية لا تختفى ولم أجد صعوبة فى استدعائها وكتابتها بما يحفظ للضمير المهنى أخلاقه، ويبتعد عن شبهة الادعاء أو اختلاق الوقائع..

لا يخفَى على القارئ أن هناك بعض المواقف من الصعب الحديث عنها أو ذكرها، فالقاعدة الأهم فى الحياة هى أن المجالس بالأمانات، وهذا معنى حديث شريف صحيح هو «المجلس أمانة» وليس كل ما يُعرفُ يُقال، لكن من حسن الحظ أن مثل هذه المواقف تكاد تكون قليلة جدًا وأن ما قبل وما بعد الحوار مواقف لم أجد أي ضابط مهنى أو أخلاقى من عدم ذكرها، وكان القصد من استدعاء هذه التفاصيل هو إحاطة القارئ الكريم بجوانب أخرى للحوار الصحفى والمواقف التي تحدث.

الكتاب لم يتسع لكل الحوارات التي أجريتها خلال مشوارى المهنى على مدى 35 عامًا فى مهنة الصحافة؛ لكن فى المجمل جمع الكثير منها وكنت أتمنى

أن يجمع الكتاب كل الحوارات، لكننى التزمت بالشخصيات المصرية، فيما أرجأت الحوارات مع الشخصيات العربية.

وحتى يكون القارئ الكريم على بينة بتلك الحوارات التي لم يحوها الكتاب فهناك حوارات أجريتها خلال عملى فى لبنان مديرًا لمكتب الأهرام مع أبرز الشخصيات السياسية اللبنانية، ووجدت أن نوعية الحوارات كانت سياسية وترتبط بالتوقيت والخلافات اللبنانية اللبنانية، وترأي لى أن من المفيد تركها ربما تنشر فى كتاب يجمعها بشكل مستقل، وهناك حوارات مع الرئيس السودانى الأسبق جعفر نميرى والسيد الصادق المهدى، فضلت أن تبقى خارج هذا الكتاب لعنوانها السياسى والسودانى المتخصص، وبالمثل مع السيد فاروق الشرع وزير خارجية سوريا وغيرها من الحوارات.

كنت عندما أتصفح الحوار وأطالع الأسئلة والإجابات أتخيل تلك اللحظة التي تقابلت فيها مع الأساتذة أمين هويدى وسامى شرف ومحمود السعدنى وثروت أباظة وجيهان السادات وعادل إمام وبرلنتى عبد الحميد وسعد الدين وهبة وأسامة أنور عكاشة والسيد يسين والدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور مصطفى محمود والشيخ الشعراوي وغيرهم من قائمة الأسماء التي لها تاريخ وقيمة.

أعترف فى مرات عديدة كنت قبل الحوار أحمل انطباعات ما عن الشخصية بسبب مواقفه السياسية أو آرائه فى بعض القضايا، لكنها سرعان ما تتغير بعد اللقاء معه والحوار المباشر، لا من قبيل التأثير ولكن بسبب قناعته بما يقول ويعتقد، فهذه الفئة من الناس مرت بتجارب كبيرة فى الحياة وتخصصت ودرست ودومًا تحتفظ لنفسها بفضيلة الحوار والصوت الهادئ والثقة فى النفس.

جمع الحوارات الصحفية فى كتاب عمل ليس سهلا، لكنه ممتع وشيق، وخلال إعداد الكتاب تنتابك الحيرة من أين تبدأ، هل بالترتيب الزمنى؟ أم بتغليب وجهة النظر التي ترى أن هذا الحوار أكثر جاذبية للقارئ أم بثقل الشخصية ووضعها؟ كل هذه اعتبارات تضغط فى عملية الترتيب والانتقاء فضلًا عن التفكير فى طريقة إعادة نشر الحوارات، وهل تبقى كما كانت أم يتم التعامل معها لضبط الزمن والتوقيت.

وقد تكون هناك مدرسة فى التعامل مع مثل هذه الإشكاليات تضع شخصية بطل الحوار فى مقدمة الاعتبارات التي على أساسها يتم تصنيف الكتاب وفهرسته، وهى نظرية قطعًا تصطدم بالمُحَاوِر الذي يتبنى بكل قوة جميع الحوارات التي أجراها ويضعها فى مكانة واحدة مما يجعل المهمة صعبة عليه،

وإزاء هذا فقد جرى تصنيف الحوارات بحيث تكون متجانسة وكل فصل يحتوى على نوعية الحوارات التي تتناول موضوعًا محددًا.

كل قصة في التاريخ قد يكون لها وجهان، وفي أحيان كثيرة وجوه متعددة، تفصل فيها دوما صحوة الضمير واعتداله.

الضمير لا يحول أبدا دون ارتكاب الخطيئة، لكنه يمنع من الاستمتاع بالخطيئة، كما تقول الحكمة المأثورة.

جوهر الإنسان يظهر في قول الحقيقة، والانحياز لها، لكنه في كل مرة يخضع فيها للتجربة يضع الضمير في الامتحان، يغذيه بالانحياز، يغريه بالمنفعة، يستعطفه بصلة القربي أحيانا، و يقسو عليه بضرورة المنفعة أحيانا أخرى.

في تجويف الإنسان، كل إنسان، ضمير يتمدد فى مساحات الخير إلي الحد الذي قد يستوعب رحابة الكون، وآخر يتمادى فى الغبن دون أن يترك من ورائه مساحة بيضاء، في الحالتين هو الإنسان ذاته.

الضمير هو الذي يجري الكلام على الشفاه، تتلعثم وهي تنطق به عندما يكون غير صادق، يتدفق كما المياه الصافية في الجداول وقتما يكون شفافا ينصف وينطق بالحقيقة.

ضمير رجل السياسة قد ينحاز أحيانا للمشروع وللقائد، يحكم على الأحداث وفق السياق التاريخي الذي عاصره، وهي أحكام قد تتباين مع القياسات العامة التي تستبعد العاطفة الشخصية أو التأثيرات الأخرى الخارجية والداخلية.

وفى النهاية لا يسعنى سوى شكر القارئ الكريم ومن قبل هذه الشخصيات الكبيرة التي منحت اسمى شرف الارتباط بها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الأول

شهود يوليو

سامى شرف

فى كل مرة كنت أطلب من السيد سامى شرف مدير مكتب رئيس الجمهورية فى عهد الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر، أن أجرى حوارًا صحفيا معه كان يعتذر عن عدم القبول، والمفارقة فى أنه لم يرفض فى أي مرة الاسترسال معى فى الكلام والإجابة عن أي سؤال، ويستمر زمن الاتصال طويلًا ثم بعدها يقول كفاية، هذا أتاح لى الفرصة فى أن أجرى معه أربعة حوارات صحفية.

يذكر سامى شرف أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يواصل العمل إلى ما بعد منتصف الليل كل يوم، وكان بعد أن يغادر المكتب إلى حجرة نومه يستمر فى القراءة والمتابعة - ويقول كنت لا أبرح مكتب الرئيس إلا بعد أن أرى بعينى جميع الأنوار وقد أُطفئت، وبعد أن لاحظ عدم مغادرتى كل يوم إلا بعد منتصف الليل ومن ثم العودة فى الصباح الباكر فأشفق علىّ، وتعمد أن يترك المكتب فى العاشرة مساء ويذهب إلى النوم، وعندما يطمئن أننى غادرت وأغلقت المكتب يعاود العمل من جديد.

كنت أسكن قبالة منزل الرئيس ومن بيتى أستطيع أن أشاهد الضوء فى حجرة نومه، وعندما أكتشفُ أنه عاد من جديد للعمل أعود بسرعة إلى المكتب حتى أكون إلى جواره.. لكن الرئيس عبد الناصر طلب منى عدم العودة والخلود إلى الراحة، وقال لو كنت فى حاجة لوجودكم ساعات الليل المتأخرة لطلبت منك البقاء.

يقارن بين تلك الفترة التي عمل فيها مديرًا لمكتب عبد الناصر والسنوات الأولى من حكم الرئيس أنور السادات التي عمل فيها معه فيقول بعد تولى الرئيس السادات مقاليد السلطة، أخبرنى أن ساعات العمل حتى الرابعة عصرًا على أكثر تقدير، والإجازة الأسبوعية تبدأ من ظهر يوم الخميس حتى صباح السبت، ويكشف: تعجبت من ذلك، وقلت له العالم الخارجى لا يحصل على إجازة يومى الخميس والجمعة، كما أن مكتب الرئيس فى عهد عبد الناصر كان يعمل طوال اليوم وإلى ما بعد منتصف الليل، لكن الرئيس السادات قال: هذا نظام نتفق عليه.

سمعت هذه القصة من سامى شرف، وكتب مقالًا ذكرت فيه أن هذا دهاء كبير من الرئيس السادات، وتخيلت أنه يريد أن يخفف من الدور الذي يقوم به

سامى شرف فى الرئاسة دون أن يطلب منه ذلك، وأن الهدف هو أن يقلص من صلاحياته فى العمل وحتى لا يشعر فى حينه بأنه يبعده عن موقعه المهم فى قصر الرئاسة والصلاحيات الكبيرة فى عهد حكم جمال عبد الناصر..

بعد نشر المقال دار حوار طويل على الهاتف بينى وبين السيد سامى شرف عن دهاء السادات معه، بدا يومها أشهر مدير لمكتب الرئيس عبد الناصر ودودًا، ومتواضعًا وصادقًا، وقال: قرأت المقال وأشكرك على تقديرك، والرئيس السادات كان زميلًا لأكثر من18 عامًا، ونفهم بعضنا جيدًا، ولا أعترف بأنه أبعدنى بدهاء عن مهام عملى فى مكتب الرئيس.

ويؤكد أنه تقدم باستقالته للسادات ثلاث مرات: الأولى ليلة وفاة عبد الناصر، والثانية يوم 15 يناير 1971 بعد لحظات من افتتاح السد العالى والثالثة فى أبريل من نفس العام، بعد أن أعلن السادات أمام مجلس الأمن القومى أنه لن يحارب كما كان محددًا لبدء الحرب فى أبريل، وفى المرات الثلاث رفض وقال لى لا أستطيع أن أستغنى عنك انتظر وسوف أمنحك وشاح النيل واختر أي دولة تعمل كسفير لمصر بها.

يقسم سامى شرف بالله ويقول: أنا على وضوء واستعد لصلاة العشاء، لم نقم بانقلاب فى مايو ولم نتقدم باستقالات جماعية، ولو كنا نريد لفعلنا حيث كان الجيش تحت قيادة الفريق محمد فوزى، والداخلية شعراوي جمعة، والإعلام محمد فائق وأنا سامى شرف معى الحرس الجمهورى.. لكن تعلمنا من عبد الناصر أن عهد الانقلابات قد ولى وتعاهدنا على ذلك.. فالذي حدث هو أن السادات أبلغنى أنه قبل استقالة شعراوي جمعة وطلب منى إبلاغه، وعندما فاتحت شعراوي جمعة، أخبرنى أنه لم يتقدم باستقالته أصلا، وكان فى نفس التوقيت ممدوح سالم يحلف اليمين.. ويومها علق شعراوي جمعة قائلا: الآن نستريح، وفى تطور مفاجئ جرت تمثيلية ثورة التصحيح، وتم القبض علينا، ولو كنا نخطط لانقلاب لحدث بسهولة، وكان الأمر مجرد خبر فى التليفزيون بأن الرئيس تعرض لوعكة صحية ولن يظهر بعدها، على اعتبار أن كل مفاصل الدولة معنا، والوحيد الذي كان مع الرئيس السادات هو الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل، ويكشف سامى شرف أن مجلس الأمن القومى كان على علم بموعد الحرب ضد إسرائيل فى أبريل 1971.

قصة أخرى مع سامى شرف، حضرتنى فى مناسبة العشاء التاريخى الذي ضم الزعيمين الرئيس عبد الفتاح السيسى و الرئيس فلاديمير بوتين فى برج القاهرة يوم 12 فبراير عام 2015 خلال زيارة الرئيس الروسى لمصر، يومها فكرت فى كتابة تقرير صحفى ينشر فى الأهرام عن قصة «برج الجزيرة بالقاهرة التاريخية» حيث تباينت الروايات حول حقيقة الأموال التي استخدمها

الرئيس جمال عبد الناصر فى بنائه ولمن كانت قد أرسلتها المخابرات الأمريكية؟.

اتصلت به، وقال إن الأموال التي تم بناء برج القاهرة بها وقدرها خمسة ملايين جنيه، كانت قد أرسلتها الولايات المتحدة الأمريكية للرئيس محمد نجيب بمعرفة المخابرات الأمريكية بهدف شراء ولاء مجلس قيادة الثورة، فى ذلك الوقت علم جمال عبد الناصر بالواقعة فذهب إلى مجلس قيادة الثورة وتحدث مع محمد نجيب فقال نجيب: إن الرئيس الأمريكى روزفلت هو الذي أرسلها حتى تكون مخصصات للقيادة المصرية الجديدة فى مواجهة الغزو الشيوعى، عندها ثار عبد الناصر، كما يؤكد سامى شرف وقال: مجلس قيادة الثورة لا يُشترى وتم تكليف ضابط المخابرات حسن التهامى بالذهاب إلى المعادى فى مبنى تابع للمخابرات والتقى المبعوث الأمريكى وتسلم منه المبلغ عدًا ونقدًا وسلم الأموال إلى زكريا محيى الدين رئيس المخابرات العامة فى ذلك الوقت، ونفى بشدة سامى شرف رواية محمود الجيار التي ذكر فيها أن السفير الأمريكى زار عبد الناصر فى منزله وقدم له الأموال وقال سامى شرف: إن الجيار كان الحارس للرئيس ولا يعرف أي شىء عن مثل هذه الأمور، والكلام الدقيق عن الواقعة هو ما ذكرته.

فى مناسبة صدور كتابه الأخير 2019 بعنوان «سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر.. حوارات عبد الناصر.. كيف حكم مصر؟»، قال لى فى تصريحات نشرتها يوم 14 يونيو 2018 إنه كان دائمًا يرى فى ناصر عبقرية فى الحكم ونزاهة فى الإدارة وعبّر عن انزعاجه من ترديد البعض أنه يتعاطف فى شهادته مع عبد الناصر، وقال: أنا أتكلم من وجهة نظرى ولا أستطيع الفصل بين شهادتى وعلاقتى الشخصية، وما كتبته هو عين الحقيقة.

كما كشف عن أن نكسة 67 كانت صدمة كبيرة، وكانت الصدمة أكبر للرئيس، وتأثر بها جدًا، وضربته فى مقتل، وساءت حالته الصحية بعدها، وتدهورت بسبب الشعور بالمرارة.

ونفى شرف أن يكون الأستاذ محمد حسنين هيكل هو الذي كتب عبارة "أتحمل المسئولية"، وقال إن خطاب التنحى كتبه عبد الناصر بخط يده، وكان دور الأستاذ هيكل فقط إعادة الصياغة.

عند السؤال عما إذا كانت هناك قرارات غير موفقة للرئيس عبد الناصر توقف أمامها سامى شرف، جاءت إجابته: لم أتناول سيرة عبد الناصر من هذا المنطق، وأكتب بمنطق الأحداث التي عاصرتها على أرض الواقع، وإن شاء الله سيصدر جزء ثامن وجزء تاسع.

فى نهاية التصريحات، قال إنه يُهدى أول نسخة من كتابه إلى عبد الناصر الذي يشتاق إليه كثيرًا ويعرف قيمته ومكانته وزعامته.

من عادات سامى شرف أنه يداوم يوميًا على قراءة جريدة الأهرام وجميع الصحف، وفى مرات عديدة يبدى ملاحظة على معلومة، أو يرد بالتعقيب على كاتب رأي تناول فى مقاله الفترة الزمنية التي كان فيها مسئولًا عن المعلومات فى رئاسة الجمهورية ويعقب تحت اسم مستعار هو مصرى حر وهو سر عرفته من بعض تعليقاته على ما أنشره وأخبرته بذلك.

بجانب أنه يحتفظ بذاكرة قوية ويستدعى الأرقام والتواريخ بشكل يدعو للتأمل وهو يعيش بكل التفاعل مع حقبة الرئيس جمال عبد الناصر ويدافع عنه بكل الحزم فى مواجهة انتقادات الغير، كما لو كان نذر نفسه للدفاع عن قرارات عبد الناصر.

فى الذكرى السادسة والتسعين لميلاد الرئيس جمال عبد الناصر أجريت معه حوارًا نشر يوم 19 يناير 2014 كان متعجبًا فيه من عدم معرفة شباب الإعلاميين له وجاء عنوانه على النحو التالى:

سامى شرف: سألنى الشباب أمام ضريح عبد الناصر فى عهد من كنت وزيرًا؟

يومها كتبت واجه أشهر من شغل منصب سكرتير رئيس الجمهورية للمعلومات فى تاريخ مصر الحديث ووزير شئون رئاسة الجمهورية موقفًا صعبًا فى الاحتفال بذكرى ميلاد الرئيس جمال عبد الناصر بعد أن قدمه للإعلاميين فى المناسبة المهندس عبد الحكيم نجل الرئيس عبد الناصر..

قال سامى شرف متأثرًا: أحرص على الوجود فى كل مناسبة تخص اسم الرئيس جمال عبد الناصر.

وأضاف كان آخر ظهور لى فى مناسبة ذكرى ميلاد الزعيم جمال عبد الناصر السادسة والتسعين ذهبت للاحتفال بها فى مسجد عبد الناصر الذي به ضريحه، وبالمناسبة شعرت بصدمة من ضعف المعلومات التاريخية عند بعض الشباب.

وقال حزنى ليس بسبب عدم معرفة هذا الجيل بى، لكن عدم الإلمام بتاريخ مصر الحديث، وليس القديم والغريب أن البعض منهم سألنى هل أنت كنت وزيرًا؟ وكان جوابى نعم وتكرر السؤال فى عهد من هل الرئيس عبد الناصر أو السادات أم مبارك؟ لحظتها شعرت بحجم المشكلة.

ووصف الرئيس عبد الناصر بأنه كان إنسانًا بمعنى الكلمة وكان يردد دائمًا المثل الشائع «امشى عدل يحتار عدوك فيك»، وهو شخص بسيط فى كل

شىء ومن أول تاريخه حتى يوم وفاته لم يتغير وهو نفس الشخص الذي عرفته أول مرة عام 1949 حتى رحيله عام.،1970 وقد عاش حياة قصيرة، فقد رحل عن52 عامًا و8 أشهر و13 يومًا ظهر فيها على مسرح التاريخ لمدة 18 عامًا لكنه أنجز الكثير لوطنه وأمته. إن الصورة الطبيعية والجماهيرية لعبد الناصر لم تكن نتيجة جهود خبراء ولا كانت حصيلة دراسات أو أبحاث إنما كانت نابعة من ارتباطه بتراب هذا الوطن الذي يجسده فى شخصه.

وأوضح أن عبد الناصر كان يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية بطلاقة تامة ومع هذا كان يفضل أن يستعين بمترجم خلال الحوار مع الرؤساء والزعماء، وكان موقفه هو احترام اللغة العربية، ويقول لماذا لا يتحدث البريطانى أو الأمريكى أو الفرنسى معى بالعربية؟

وقال كنت أختلف معه بصوت عال فى تقييم بعض القرارات أو المواقف لكن لا يحدث خلاف، وهو بالمناسبة كان يستمع جيدًا ويتقبل وجهات النظر ولا يعترض، وأتذكر هنا ما كتبه «يوجين جوستين»أحد كبار رجال المخابرات المركزية الأمريكية التي قادت الحرب الشرسة ضد جمال عبد الناصر.

“إن المشكلة الحقيقية مع ناصر أنه بلا رذيلة مما يجعله من الناحية العملية غير قابل للتجريح، فهو لا يمكن شراؤه أو رشوته أو حتى تهويشه نحن نكرهه ككل، لكننا لا نستطيع أن نفعل شيئا تجاهه إنه لعنة جميلة”.

واعتبر سامى شرف أن حرب اليمن لم تكن ورطة ولم تستنزف الاقتصاد المصرى، كما يردد البعض فى التكلفة المالية لحرب اليمن من نهاية سنة 1962 تقريبًا حتى سنة 1967 لم تتعدى 500 مليون جنيه والمساعدات التي حصلت عليها مصر من قمة الخرطوم كانت أكثر من ذلك، والمساعدات التي حصلت عليها مصر بعد حرب 1973 تجاوزت الألف مليون جنيه.

خلال الفترة من سنة 1962 حتى سنة 1967 والتي كانت حرب اليمن مشتعلة فيها، استطاعت مصر أن تحقق بنجاح غير عادى وغير مسبوق أهم خطة للبناء والتنمية فى العالم الثالث كله، والاتحاد السوفيتى تنازل عن ثمن الأسلحة والمعدات التي استخدمتها القوات المسلحة المصرية فى اليمن.

مشيرًا إلى أن لكل قرار ظروفه الإستراتيجية، فبعد تأميم قناة السويس حدث العدوان الثلاثى، لكن الآن لا أحد يقول الحقيقة ويتحدث عن الدخل القومى الذي تحققه القناة لمصر بعد رحيل عبد الناصر.

يقول سامى شرف كنت آخر وزير قبل حرب أكتوبر، وفى عهد الرئيس السادات سافرت إلى روسيا للاتفاق على صفقات السلاح وكانت أسلحة متطورة للدفاع الجوى ووقتها كان يشغل منصب سفير مصر فى موسكو

الدكتور مراد غالب، وكتب محضر الاجتماع بخط يده، وأن الاتحاد السوفيتى كان حريصًا بدرجة كبيرة على تقديم السلاح الذي تطلبه مصر بعد أن تخلت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا عن مصر، ويذكر سامى شرف أن عبد الناصر أرسل على صبرى إلى واشنطن وبعثة أخرى إلى لندن لطلب السلاح والتعاقد على احتياجات الجيش المصرى، لكن واشنطن رفضت وأيضًا بريطانيا. وقال سامى شرف: كان الموقف صعبًا ولهذا قرر عبد الناصر مخاطبة الاتحاد السوفيتى الذي بادر بإرسال شحنات من الأسلحة.

يكشف سامى شرف عن أن الاتحاد السوفيتى كان مرنًا إلى أبعد حد فى تعاقداته مع مصر، حيث كان يحصل مقابل هذه الأسلحة على منسوجات قطنية وفواكه مثل البرتقال والبلح وغيرها، وأن ديون مصر له كانت بعد وفاة جمال عبد الناصر ملیارى دولار ولم يحصل عليها حتى الآن ولن يحصل.

الاتحاد السوفيتى له مواقف إيجابية مع مصر، فعندما قال الرئيس جمال عبد الناصر للأمريكان «المعونة على الحذاء» على الفور بادر الروس بتحويل المراكب التي كانت تحمل شحنات من القمح فى عرض البحر إلى مصر.

وكان الحوار الأطول معه نشر يوم 15 يونيو 2015 فى ذكرى وفاة جمال عبد الناصر.

نحت عنوان «سامى شرف يتذكر أيام جمال عبد الناصر: الزعيم تسلم مصر بعد حكم فاروق بدون مؤسسات رئاسية»

بدأ سامى شرف حديثه عن حكم عبد الناصر فقال: عجلة الزمن الآن تغيرت بنسبة مائة فى المائة عن فترة حكم جمال عبد الناصر من حيث التطور الرهيب فى وسائل الاتصال والتواصل، الآن لم تعد هناك أسرار كبرى يمكن إخفاؤها.. عكس ما كان سائدًا وقت أن كنت سكرتيرًا للمعلومات للرئيس.. وبالمناسبة التاريخ يذكر أننى كنت رجل هذا المنصب لكن ما أود أن أوضحه الآن وبعد مرور كل هذه السنوات هو أن هناك كانت توجد مؤسسة للمعلومات فى رئاسة الجمهورية، كنت أنا الشخصية المعروفة لكنها كانت تضم عددًا كبيرًا من العاملين يعملون بجهد وإخلاص فيها، وكانت الفكرة لدى جمال عبد الناصر هى أن تكون لدى رئاسة الجمهورية مؤسسة للمعلومات تعمل على أسس علمية وتضع الرئيس فى الصورة الحقيقية عن الوضع وعن مجمل الأحداث.

وعندما سألت سامى شرف عن طبيعة المؤسسات التي كانت قائمة فى البلاط الملكى وبنى عليها عبد الناصر قال: ياريت كان فيه.. وأكمل لم يكن هناك عمل مؤسسى داخل القصر الملكى حتى نتسلمه ونبنى عليه، بل كانت الأمور فى يد أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى وكريم ثابت

المستشار الصحفى ولم نتسلم ملفات أو دوائر قائمة تساعد فى القرار الرئاسى.

هنا توقفت وسألت سامى شرف: من الذي أنشا الدوائر التي تعمل بها مؤسسة الرئاسة؟

أجاب: الشباب هو الذي بنى وهو القادر عبر التاريخ على البناء، وجمال عبد الناصر كان رمزًا للشباب وهو الذي يعود إليه الفضل فى بناء مؤسسة الرئاسة.

وهل كانت هذه المؤسسة تقوم بدورها كاملًا أم يتدخل الرئيس فى كل شىء؟

كانت تقوم بدورها ولكن كان يعوق عمل هذه المؤسسات عدم تطبيق العدالة الاجتماعية، بمعنى أدق، قلة الموارد ونقص الأموال.

كيف كانت تتعامل مؤسسة الرئاسة مع هذه الأفكار؟

كان العمل يبدأ وينتهى بالمتابعة ثم المتابعة وتصويب الأخطاء بالمتابعة ثم متابعة المتابعة، فمثلا عندما كان يصرح الرئيس بأن الدولة ستزرع مليون فدان من الأراضى المستصلحة، بعد شهر من صدور التصريح أقوم بصفتى سكرتير الرئيس للمعلومات بالاتصال بوزير الزراعة واسأله ليه المشروع متأخر؟ وكان يرد بأن هناك صعوبات فى طريق التنفيذ عندها نبحث معه هذه الصعوبات من أجل تذليلها ثم تجرى المتابعة معه مرة ثانية وعندما يؤكد أن الصعوبات لم تحل كلها، نُطلع الرئيس على حقيقة الموقف، وبدوره يعقد اجتماعًا مع الحكومة لبحث المعوقات وتستمر متابعة المتابعة حتى ينتهى المشروع.

ويقول سامى شرف بالنسبة للقرارات التي كان يصدرها الرئيس ومؤسسة الرئاسة كان الإجراء المتبع فى نهاية كل يوم هو مراجعة القرارات التي تم اتخاذها ونتابع هل القرار تم تنفيذه أم لا؟

كان المعيار هو الانضباط فى العمل. والرئيس عبد الناصر لم يكن يعرف سوى الجد فى العمل، أما خارج نطاق العمل مسموح بتبادل الضحك أو المجاملات.

هل كان يمكن أن يَلغى قرارًا لصعوبة التنفيذ؟

القرار كان يمكن تعديله بنسبة 50 فى المائة أو إلغاؤه لو ثبت أنه فى غير محله وكان يتدخل بحزم فى القرارات لتسريع المعدل، فمثلا أتذكر فى موضوع الميزانية قال الدكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية أمام عبد

الناصر: يمكن مضاعفة الدخل القومى فى غضون 20 سنة، لكن الرئيس عبد الناصر طلب أن يكون ذلك فى خلال 10 سنوات فقط وتمت مضاعفة الدخل القومى فى أقل من 10 سنوات.

كيف تتحدث عن عدم وجود مؤسسات قائمة تركها النظام الملكى والكل يعرف أن قيمة الجنيه المصرى كانت أضعاف الاسترلينى؟

هنا أجاب سامى شرف: أتعجب من هذا المنطق الذي يردده البعض، النظام الملكى ترك مصر وهى محتلة.. وقال: بدورى أسأل فى السبعينيات كان الدولار يساوى 35 قرشًا الآن كم يساوى الدولار، هذه القياسات لا معنى لها، الظروف تتغير، وأتذكر كنت مسافرًا لأداء العمرة فى عام 60 وقتها صرفت الجنيه المصري، بما يعادل 13 ريالًا سعوديًا، الآن كم يساوى الريال مقارنة بالجنيه المصرى، ويكمل، أصحاب نظرية المقارنة هم يهدفون للمغالطة والهدم، فمثلا قرأت مقالا للدكتور أسامة الغزالى حرب يقول فيه: كنت فى شرفة منزلى وقت تنحى عبد الناصر وتعجبت من حشود الناس التي خرجت ضد التنحى، والغريب أن الغزالى كان عضوًا فى منظمة الشباب، التي أسسها عبد الناصر، وفى نفس الوقت يقف فى البلكونة، فهذا نموذج كان عضوًا فى منظمة الشباب ثم عضوا فى لجنة السياسات بالحزب الوطنى وفى عهد الإخوان كان قريبًا.

ماذا تقصد؟

أخطر شىء على الدولة هو سطوة الإعلان والإعلام.

كيف كان يتم اختيار الوزراء؟

كان درج مكتبى فيه ملفات كاملة تحوى بيانات 3 وزراء احتياطيين لكل وزير فى الحكومة، كانت هناك رؤية مستقبلية، وكثيرًا ما كان يتم شطب أسماء من هذه القائمة من خلال المتابعة وتطورها فى بعض الملفات، وكان الاختيار يخضع للمعايير الفنية والإدارية وبعيدًا عن المجاملات وعندما يكون أحد المرشحين قريبًا لمسئول نكتب أعلى الملف إنه قريب فلان وفى إحدى المرات كان مرشحًا لمنصب ما زوج شقيقة زوجتى وكتبت اسمه والقرابة للرئيس عبد الناصر على ملفه.

هل كانت الأجهزة الأمنية هى التي تتحكم فى عملية الاختيار؟

الأجهزة الأمنية كانت معاونة ولم تكن مسيطرة وما يشاع عنها مبالغة، ففى عهد عبد الناصر لم تكن للأجهزة أي تدخلات لفرض مسئول أو غيره.

هل ينطبق ذلك على صلاح نصر رئيس جهاز المخابرات العامة وقتها؟

صلاح نصر كان (خارج النص)، ودى غلطة نعترف بها ونال العقاب بالسجن 50 سنة والغلطة جاءت من وجود ثقة كاملة فيه.

هل كان المشير عبد الحكيم عامر لا يتدخل؟

علاقة خاصة جدًا كانت تربط جمال عبد الناصر بالمشير عبد الحكيم عامر وما حدث من المشير فى حق عبد الناصر ومصر جريمة، وبالمناسبة كل من شاهد وعرف عبد الحكيم عامر كان يحبه فهذا الرجل لا تملك إلا أن تحبه وعلى الرغم من أنه كان يكرهنى، وقعت أيضا فى تأثير شخصيته وكان هو نقطة ضعف جمال.

كيف فات على الرئيس ذلك؟

عبد الناصر كان لا يخلط بين الرئاسة وعواطفه، لكن علاقته مع عامر كانت خاصة جدًا، وعمل عبد الناصر منذ البداية على مقاومة فكرة عبادة الزعيم، وهى الصورة التي كانت منتشرة فى أحزاب وجماعات ما قبل يوليو، مثل حسن البنا فى جماعة الإخوان المسلمين، وأحمد حسين فى حزب مصر الفتاة، ومصطفى النحاس فى داخل حزب الوفد. وكان عبد الناصر اتساقًا مع نفس هذه المواقف صاحب ترجيح فكرة اختيار محمد نجيب كقائد للثورة، بترشيح من عبد الحكيم عامر وصلاح سالم - وكان هناك مرشح آخر هو اللواء أحمد فؤاد صادق الذي اعترض على ترشيحه أنور السادات.

وكانت هناك آراء داخل تنظيم الضباط الأحرار تصر على التخلص من الملك فاروق باعتباره رأس الفساد، ومنعًا لأي تحرك مناصر له من الداخل أو من الخارج كما طرح البعض فكرة تقديمه للمحاكمة، لكن جمال عبد الناصر - الذي كان قد انتخب رئيسًا للتنظيم لأكثر من مرة - عارض فكرة التخلص من الملك فاروق كما تحفظ على محاكمته بالنظر لاحتمال استغراق المحاكمة وقتًا طويلًا يخشى خلاله أن يتحرك أنصار الملكية فى الداخل للقيام بثورة مضادة، وقد تجر إلى تدخل خارجى لمساندة هذه الفئة ومن ثم فقد اتفق الجميع - برغم عدم تعاطفهم مع الملك - على الصيغة التي نفذت بالفعل وهى توقيعه على وثيقة التنازل عن العرش سلميًا لصالح ابنه أحمد فؤاد كمرحلة انتقالية قبل إلغاء الملكية وإعلان النظام الجمهورى بعد ذلك.

فى بداية الثورة كان هناك العديد من العناصر والتي كانت تنتمى لأحزاب أو تيارات سياسية أو اتجاهات أيديولوجية سابقة، ولكنها كانت فى الوقت نفسه تحمل خبرات متميزة وبخاصة فى المجالات القانونية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الزراعية والتعليم وغيرها من المجالات، فاتجهت الثورة للاستفادة من هذه الخبرات بأقصى قدر ممكن واستمر هذا النهج على مدى الثمانية عشر عامًا، وأستطيع أن أحصى مئات الأسماء التي تولت مسئولية

العمل العام داخل الوزارة أو التنظيم السياسى أو المؤسسات المختلفة يرشحها خبراتها وكفاءتها فقط، وأذكر محمود فوزى حلمى، بهجت بدوى، وليم سليم حنا - كمال رمزى إستينو - محمد فؤاد جلال - نور الدين طراف - فتحى رضوان - أحمد عبده الشرباصى، عباس عمار - على الجريتلى، عبد الرزاق السنهورى، مصطفى خليل - عزيز صدقى - عبد العزيز حجازى - سيد مرعى - عبده سلام - محمد لبيب شقير - محمد الخواجة - أحمد الخواجة.

هل تعتقد أن البعض يتجاهل دور سامى شرف فى مؤسسة الرئاسة عن عمد؟

بتواضع كنت أشهر من شغل هـذا المنصب فبعد إقالة اللواء محمد نجيب وتولى الرئيس جمال عبد الناصر المسئولية فكر فى إعادة تنظيم الرئاسة ليتم من خلالها إدارة شئون الدولة بشكل مؤسسى. وكانت البداية إنشاء مكتب الرئيس للشئون السياسية وتولاه قائد الجناح على صبرى ثم سكرتارية الرئيس للمعلومات وتولاها اليوزباشى سامى شرف ومع تطور الأحداث والاحتياجات أعيد تنظيم مؤسسة الرئاسة أكثر من مرة بإضافة مكاتب أو إدارات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جيهان السادات

أجريت أربعة حوارات مع السيدة جيهان السادات زوجة الرئيس أنور السادات، الحوار الأول كان فى عام 1997 بمناسبة مرور 25 عاما على ذكرى انتصار السادس من أكتوبر، وحوار بعد ظهورها فى برنامج شاهد على العصر على قناة الجزيرة فى ضيافة المذيع أحمد منصور، نشر فى 7 أبريل 2001 ويومها اعترض البعض على الطريقة التي كان يخاطبها بها، وذهبتُ إليها وشرحت يومها الموقف، وقالت: بمقاييس الإعلام الأمريكى لا أرى تجاوزا فيما حدث.

الحوارات جرت فى منزل الرئيس السادات بالجيزة، عدا الحوار الذي كان عبر الهاتف من مقر إقامتها فى الولايات المتحدة الأمريكية

كان استقبالها ودودا، وكشفت عن المكان المفضل الذي كان يحب أن يجلس فيه الرئيس السادات داخل البيت وعاداته يوم الجمعة من كل أسبوع.

تتذكر جيهان السادات يوم الجمعة 5 أكتوبر من عام 1973 وتقول: كان من عادات الرئيس السادات بعد صلاة الجمعة أن يمشى لبعض الوقت فى حديقة المنزل، يومها كنت أسير إلى جواره نتبادل معا أطراف الحديث وطلب منى يومها أن أجهز حقيبة ملابس، حيث سيكون فى مهمة تتطلب المبيت خارج

البيت، لم يكشف لى عن طبيعة المهمة ولا عن عدد الأيام التي سيغيب فيها خارج البيت، وتكمل قائلة وبطريقة ماكرة حاولت أن أعرف بشكل غير مباشر طبيعة المهمة فقلت له كم يوما ستكون خارج البيت حتى أجهز ما يتناسب معها من ثياب؟ فقال لمدة أسبوع، فعاودت سؤاله وهل يذهب الأولاد غدا إلى المدرسة؟ هنا كما روت لى السيدة جيهان السادات خلال حوارى معها فقد توقف الرئيس عن المشى ونظر إليَ وقال بحسم: ما الذي يمنع ذهابهم إلى المدرسة؟

تعود جيهان السادات إلى الساعات التي سبقت بدء الحرب وتقول بالفعل تم تجهيز حقيبة ملابس للرئيس وكانت تحوى ملابسه العسكرية والمصحف الكريم.ويوم الجمعة 5 أكتوبر غادر البيت فى الجيزة إلى غرفة العمليات فى قصر الطاهرة، لم أكن أتوقع أن يكون صباح اليوم التالى هو الاستعداد لبدء الحرب وكانت مواعيدى محددة من قبل وفى هذا اليوم السبت السادس من أكتوبر كنت على موعد مع السيدة نهلة القدسى زوجة الفنان محمد عبد الوهاب وأتذكر أن مقابلتى معها انتهت فى الواحدة ظهرا.

كان قلب الأم أقوى، فلم أترك صغيرتى جيهان تذهب فى صباح السادس من أكتوبر للمدرسة، تركتها نائمة.

جيهان السادات التي تعودت عدم الرد على الشائعات، قالت لى فى حوار معها إنها تتعجب من أن الخُطَّابَ توقفوا عن طلب يدها للزواج، وهى بذلك كانت ترد على الشائعات المتكررة التي تتحدث عن زواجها من السكرتير الشخصى لها بعد رحيل السادات وقالت: بثقة من ذاك الرجل الذي يملأ المكان الذي كان يجلس فيه السادات؟! كنت زوجة رئيس مصر بطل الحرب والسلام، الشخصية العالمية الذي يحظى باحترام العالم، فهل أقبل من بعده بعريس آخر؟! وضحكت يومها وقالت الآن أشعر أن الشائعات عن زواجى توقفت والخُطَّابَ أيضا وهذا أمر يحزننى.

فى الحوار الأول تحدثت عن حرب أكتوبر وقصة الحرب معها ويومها كان عنوان الحوار، جيهان السادات: مبارك طلب منى إبلاغ السادات باستشهاد شقيقه عاطف.

السؤال الأول هو بصراحة.. متى عرفت السيدة جيهان السادات بموعد بدء الحرب؟

-أجابت بمنتهى الصراحة.. الرئيس السادات لم يخبرنى بموعد بدء الحرب، لأن توقيت الحرب كان من الأسرار العسكرية التي لا يمكن أن يقولها لزوجته، على الرغم من أنه يعلم بأننى أحرص الناس على كتمان السر.. ولكن أستطيع أن أقول إننى بدأت أشعر بموعد الحرب من خلال مقابلات

السادات للقادة العسكريين، خاصة أنه كان قد حدد من قبل عاما أسماه «عام الحسم»، لكنه لم يحارب، بسبب عدم تلقيه الأسلحة الكافية من روسيا، ولذلك تأجلت الحرب مع إسرائيل.

لكن السؤال.. متى علمت السيدة جيهان السادات بموعد الحرب؟

فى يوم 5 أكتوبر، كنت أتمشى فى حديقة المنزل مع الرئيس السادات، وفى أثناء ممارسة رياضة المشي، طلب منى تجهيز حقيبة ملابسه، لأنه مضطر للمبيت خارج المنزل، فى هذه اللحظة أدركت ما الذي يدور فى رأسه، ولم أسأله عن سر مبيته خارج المنزل، احتراما لنفسي، لأننى لو سألته لن يجيب، فأنا أعرف زوجى جيدا، فهو لا يرد على الأسئلة التي لا تعجبه، وقلت فى نفسي: لماذا أحرج نفسى معه؟

لكننى سألته سؤالا واحدا، وهو هل تذهب كريمتنا الصغيرة جيهان إلى المدرسة غدا؟ لحظتها نظر إلى وقال: «زيها زى غيرها»، ولم يعلق بأكثر من هذا.

قلت: ربنا معاك يا أنور، وأنت صاحب حق، ولن ترضى بغير الانتصار للحق.. وقلت له: أنت عارف أن الدنيا لا تدوم لأحد، ومافيش حد هيعيش للأبد، بس المهم نموت بشرف، وبعد كلام كثير كثير قلت له: تعرف لو قدر الله وانهزمنا، عارف يا أنور العالم سوف يحترمك.. سيقول هذا القائد حاول، لكنه فشل.. وسيكتب لك شرف المحاولة، فجأة توقف عن المشي.. وقال بصوت واثق: بإذن الله سأنتصر فى الحرب، أنا واثق من الانتصار، وهنا أدركت ثقته بنفسه.

هل ذهبت جيهان الصغيرة إلى المدرسة يوم 6 أكتوبر؟

- لم تذهب، لأن مشاعر الأم تغلبت، وأخبرت ابنتى بأننى حلمت ليلة أمس بحلم أزعجني، وأفضل عدم ذهابك إلى المدرسة.. طبعا هى فرحت.

ماذا كانت تحوى حقيبة الرئيس السادات التي دخل بها المعركة؟

-استجابتى لرغبته فى عدم المناقشة، سألته: لمدة كم يوم تحتاج ملابسك؟ فأجاب لمدة أسبوع، وإذا احتجت بعد ذلك سوف أطلب، هنا فهمت أن العملية سوف تطول، ووضعت له الملابس العسكرية وكل ما يلزمه وقبل كل ذلك كتاب الله.

ماذا كان برنامج يوم 6 أكتوبر؟

-فى هذا اليوم كان برنامجى يتضمن ثلاث زيارات لى فى المنزل، وكانت آخرها مع السيدة نهلة القدسى حرم الفنان الراحل محمد عبدالوهاب، وأتذكر

أن مقابلتى معها انتهت فى حوالى الساعة الواحدة ظهرا، وكنت أجلس معها، وكل تفكيرى فى المعركة، وبعد مغادرتها صعدت مباشرة إلى الطابق العلوي، وأدرت الراديو، وسمعت بحدوث اشتباك بين القوات المصرية وقوات العدو، وأن القوات الإسرائيلية هى التي تحرشت بالقوات المصرية، لحظتها شعرت بفرحة غامرة لا أستطيع وصفها، خاصة أننى زوجة القائد وعشت من قبل مأساة 1967، وكان الرئيس السادات وقتها يشغل منصب رئيس مجلس الأمة، وكنت إحدى السيدات المتطوعات اللاتى نزلن إلى المستشفيات للمساعدة.

هل اتصلت بالرئيس تليفونيا بعد سماعك بخبر بدء المعركة؟

- لم يحدث، لأن السادات كان لا يحب أن أتصل به فى مكان عمله، ولا أتذكر أننى طلبته مرة واحدة فى مكان عمله، كنت أنتظره حتى يعود، باستثناء الفترة التي كان يعمل فيها بمنطقة رفح والعريش، قبيل قيام الثورة كنت أطلبه تليفونيا، لكن فى المنزل الذي كان يقيم به، وليس فى مكان عمله.

إذن كيف اتصلت بالسادات لتهنئته بالانتصار؟

- ذهبت إلى مقر إقامته فى قصر الطاهرة بعد يومين من بدء الحرب، و اصطحبت معى أولادنا، ومكثنا بالقصر لمدة شهر، وكان الهدف من نقل أولادنا إلى قصر الطاهرة، حتى يتسنى لى مشاهدتهم ليلا بعد العودة من زيارة المستشفيات للاطمئنان على المصابين والجرحى، وكان السادات يراهم بالليل فقط، وعلى العشاء، إلا فى الأوقات التي كان يجلس معه فيها بعض العسكريين باستثناء المشير أحمد إسماعيل، الذي كنا نعتبره فردا من العائلة، وكانت الروح المعنوية للسادات مرتفعة جدا، وكان فى قمة السعادة والفخر والانتصار.

ماذا كان شعوره عندما علم باستشهاد شقيقه عاطف السادات؟

- عاطف كان ابنه وليس شقيقه، وكان يقضى معنا فى المنزل أياما طويلة دون أن يفارقنا، وفى أثناء إحدى زياراتى إلى الجرحى فى مستشفى الطيران، سألت الضباط المصابين هناك عن عاطف السادات، فرد أحدهم وقال: بصراحة طائرته سقطت وأنا رأيتها، لكن لا أعرف هل قفز منها أم لا؟

فسألت بدورى الرئيس حسنى مبارك، والذي كان وقتها قائدا للقوات الجوية، فقال لي: عاطف استشهد وطائرته أصيبت، فطلبت منه أن يبلغ الرئيس السادات، فقال: أفضل أن تبلغيه أنت، وعندما جلست مع السادات فى قصر الطاهرة، قلت له هناك من يقول إن عاطف مفقود، فسكت السادات، وفى مرة ثانية قلت له يبدو أن عاطف استشهد، فصمت دقيقة ونظر إلي، وقال: يا

جيهان عاطف مثل أولادى الذين استشهدوا فى المعركة، ولابد أن يدفع الجميع الثمن.

ما الذي تذكرينه عن الشهيد عاطف السادات الطيار المحارب؟

- أذكر أنه عندما كان يأتى إلى زيارتنا وكان متحمسا لخوض الحرب، ويقول لي: متى تبدأ الحرب،؟ وبالمناسبة هذا الحماس كان موجودا لدى جميع أفراد القوات المسلحة، ولن أنسى ما حييت ضابطا قابلته فى مستشفى المعادى العسكري، وكانت قدماه مبتورتين، وأيضا ذراعه اليمني، ومع هذا قال لي: شفتى النياشين التي سأتركها لأولادي.

فى رأيك هل تم إنصاف نصر أكتوبر؟

- لا طبعا.. أكتوبر انتصار عظيم لم يأخذ حقه بعد، وأنا نفسى أشاهد عملا فنيا يخلد هذا الإنجاز العظيم، وأنا سمعت مكالمة بين الرئيس السادات والمشير أحمد إسماعيل وزير الحربية، وقال الرئيس: يا أحمد أنا أريد المصورين فى ساحة المعركة، وحدث هذا فى مساء أحد الأيام ونحن نشاهد معا فيلما فى التلفزيون، وأكمل: أنا أريد تسجيلا «للحرب»، وأعتقد أنه حدث بالفعل تصوير لوقائع 6 أكتوبر.. والسؤال لماذا لا يتم إخراج فيلم عن هذه المعركة؟

من يتحمل مسئولية الثغرة السادات أم القادة العسكريون؟

- الثغرة صنعتها أمريكا، وساعدت فيها، فهى التي التقطت عبر الأقمار الصناعية مكان الثغرة، ومع هذا استغل السادات الثغرة استغلالا جيدا، وحاصرهم، وقال لهنرى كيسنجر، إذا لم يحدث انسحاب سوف أنسفهم، الثغرة كانت فى البداية صدمة، والسادات كان من النوع الذي يستغل الصدمة ويحولها إلى انتصار.

لماذا أعفى السادات الفريق سعد الدين الشاذلى من منصبه والحرب لم تتوقف؟

- الذي عزل الشاذلى هو المشير أحمد إسماعيل وليس السادات، حدث هذا عندما أرسل السادات الشاذلى إلى مكان الثغرة، وعاد بعد ذلك الفريق وهو فى حالة انهيار كامل، ولهذا طلب المشير أحمد إسماعيل السادات، وقال له الشاذلى عاد من مكان الثغرة منهارا، وهذا أمر له أضرار، وأرى أن يتم تنحيته حتى لا يتأثر باقى القادة، فقال له موافق، وعندما سألت السادات قال لي: إن القائد العسكرى لو تأثر بما يحدث وحدث له انهيار، فإن بقائه يؤثر على جميع القادة، ولهذا تم عزل وتنحية سعدالدين الشاذلى عقب زيارته إلى الثغرة مباشرة.

هناك كثيرون يقولون إن الرئيس السادات كان بإمكانه تعميق الحرب وتحقيق مكاسب عسكرية وسياسية لمصر؟

- هذا الكلام غير منطقي، لأن الولايات المتحدة الأمريكية تدخلت فى الوقت المناسب، ولهذا قال السادات إنه لا يستطيع أن يحارب أمريكا، وأنا كزوجة له شاهدت بعينى المصابين من الجنود والضباط وأجسامهم محترقة تماما بشكل لم يحدث منذ بداية المعركة، حيث استخدمت إسرائيل و بمعاونة من أمريكا «النابالم» الحارق و الممنوع دوليا، ولهذا كان قرار السادات بوقف إطلاق النار حفاظا على أبنائه من الجنود والضباط، وهو بذلك أراد أن يكون واقعيا دون التشدق بالشعارات التي لا تفيد.

فى رأيك هل كان يمكن أن يتحقق السلام بدون انتصار أكتوبر؟

- لا.. الحرب هى التي مهدت طريق السلام.

هل تعتقدين أن صورة السادات لدى خصومه تغيرت عن ذى قبل؟

- هذا حقيقي، ومن كانوا يكرهون أنور السادات الآن أصبحوا مع السادات، وأي إنسان موضوعى لابد وأن يشيد بدوره فى أكتوبر، لأنه كان سابقا لعصره، ولهذا تعرض لهجوم عنيف وقتل، والذي يرضيه فى مرقده الآن أن أعداءه آمنوا بأنه كان على صواب.

عندما أعود إلى حوار المذيع مع جيهان السادات فى برنامجه «شاهد على العصر» فى قناة الجزيرة حيث انتقد الكثيرون أسلوبه فى الحوار مع زوجة رئيس مصر السابق، كما وجه البعض اللوم إلى جيهان السادات لأنها منذ البداية اختارت الجزيرة وتحديدا المذيع أحمد منصور لتسجيل شهادتها.

اتصلت بالمذيع وكان موجودا فى القاهرة، وطلبت إجراء حوار معه، كان متحمسا بدرجة كبيرة، ويشعر انه انجز عملا يثير الاهتمام، واتفقنا على أن نلتقى وسألته أين تقيم؟ قال فى شقتى بحى مدينة نصر، واقترحت أن نتقابل فى فرع النادى الأهلى بمدينة نصر.

كان الموعد الرابعة عصرا، واصطحبته إلى الطابق العلوى بالصالون الاجتماعى، ويومها أتذكر أنه قال لى إن مهمته كمذيع تعطى الانطباع بأنه متعمق فى الموضوع الذي يناقشه، والحقيقة غير ذلك، وضرب يومها مثالا بأن الحوارات التي أجراها مع الشيخ يوسف القرضاوى، وكانت جريئة فى الحديث عن الجنس، بطريقة غير معهودة من عالم دين، فإن كل مقابلاتى وبصرف النظر عن طبيعة الضيف، كنت أستعد لها بالأسئلة المثيرة للجدل قبل الحوار بطريقة توحى إلى المشاهد بأننى متخصص فى الموضوع، والحقيقة غير ذلك، فقط مهمتى هى الحوار كمذيع وليس كعالم.

بالعودة إلى حواره مع جيهان السادات قال: إن المدرسة الغربية لا تخاطب الضيف بالألقاب وهذا يتبعه فى برنامجه، و هاجم كل منتقديه بل امتد هجومه إلى كل برامج الفضائية المصرية بما فيها برنامجا «رئيس التحرير» و«حديث المدينة» اللذين كان يقدمهما الإعلاميان حمدى قنديل ومفيد فوزى.

سألته لماذا جيهان السادات على شاشة قناة الجزيرة؟

- قال إن ظهور الشخصيات التاريخية على قناة الجزيرة فى برنامج «شاهد على العصر» لا يخضع لتوقيتات بقدر ما يخضع لاكتمال التجهيزات الفنية لكل شخصية وهذه التجهيزات تستغرق فى بعض الأحيان أكثر من عام للشخصية الواحدة وبالتالى توقيت ظهور جيهان السادات طبيعى لانتهاء إعداد البرنامج.

لكن لماذا لم تظهر جيهان السادات بعد اذاعة شهادة حسين الشافعى والتي طالت إلى حد بعيد شخص الرئيس السادات؟

- لا نقوم بترتيب برامجها بهذه الطريقة، لاسيما أن البرنامج لا يقتصر على الشخصيات المصرية، فالبرنامج قائم على الشخصيات العربية كلها وعلى التاريخ العربى وظروف الإعداد تختلف من شخص إلى آخر.

فى رأيك ما الحدود التي ينبغى على مقدم البرنامج الالتزام بها فى مخاطبته لضيفه خاصة عندما يكون الضيف رئيس دولة أو زوجة رئيس الدولة؟

- البرنامج له خصوصية من كل الزوايا حتى فى أسلوب إدارته وحينما نقول: شاهد فالحديث مع شاهد يأخذ مجال التحقيق معه ومحاولة استنطاقه وسؤاله بشكل فيه معلوماتية وفيه تضاد فى الأشياء التي يتحدث، فيها هذا من حيث الشكل فأنا لا أدير حوارا وإنما أدير تحقيقا ولكن تحقيق تليفزيونى أو تحقيق صحفي.

كنت طوال حلقات البرنامج تنادى «جيهان السادات» بـ«أنت» ولهذا انتقدك الكثيرون؟

- حتى رؤساء الدول أقول لهم نفس الشىء والذين انتقدونى بسبب هذه الملاحظة لا يتابعون الحوارات ولا يعرفون لغة الحوار التليفزيونى، كنت أتمنى أن يبحث هؤلاء فى المعلومات الهائلة التي قيلت حول الموضوع وأن يخرجوا من إطار أنتَ وأنتِ وأن يروا ما يحدث فى التليفزيونات العالمية وكيف يُخَاطَبُ الضيوف، الأمر ليس فيه إهانة.

معنى هذا أنها لم تبد أي ملاحظة مع بداية عرض الحلقات؟

- لم تبد أي استياء ومازالت إلى الآن تعتبر الأمر عاديا جدا وهى أخبرتنى أنها لا ترد على هؤلاء، فأحيانا هناك أناس يحبون أن يكونوا ملكيين أكثر من الملك.

لماذا اعتذرت عن عدم الظهور فى هذه الحلقة والتي كانت ستذاع على الهواء؟

- كانت موافقة بل لديها رغبة فى ذلك ولكن قبل أيام من إذاعة الحلقة ألحت فى إلغائها وجلست أتفاوض معها لمدة ساعة ونصف ولكنها اعتذرت فى النهاية..

هل كنت تتوقع أن تثير حلقات السيدة جيهان السادات كل هذه الضجة؟

- كل حلقاتى تثير ضجة، لا توجد شخصية استضفتها ولم تثر ضجة، أنا أنتقى ضيفى بشكل جيد وأعرف كيف أدير حوارًا معه.

كم تقاضت نظير الظهور فى برنامجك؟

- هذا السؤال من الأسئلة المضحكة التي نسمعها حتى أن الإنسان يغرق فى الضحك من ضخامة المبالغ التي يشاع أن الضيف حصل عليها ليست لجيهان السادات وحدها ولكن كل الرجال الذين ظهروا فى برنامج «شاهد على العصر» لم نعط أحدا منهم مليما واحدا، وأؤكد لك أنه لم يطلب أحد مقابلا

وبعد هذا التوقيت أجريت حوارا مع السيدة جيهان السادات بعد برنامج «الجزيرة» على الرغم من أنها كانت قد اعتذرت عن عدم الإدلاء بأي تصريحات صحفية خاصة أن الجدل تضمن انتقادات لها، وحدثت مفاجأة مثيرة التي أعلنها قائد الثورة الليبية العقيد معمر القذافى فى ذلك الوقت أمام القادة العرب فى قمة عمان فى عام 2001 وفيها قال: «إن الرئيس السادات كان سابقا لعصره وأنه أبرم سلاما مع إسرائيل فى وضح النهار وهذا يحسب له»، هذه الشهادة كانت دافعًا لاتصالى بها، حيث كانت تتواجد فى الولايات المتحدة الأمريكية، أولا لاستطلاع رأيها فى شهادة القذافى وأيضا لمحاورتها حول حوارها المثير مع «الجزيرة» وأزمة جريدة «العربى» وجاءت إجاباتها تلقائية عبر الهاتف، وسعيدة بما يحدث من تطور فى حق الرئيس السادات، فكان الحوار الآتى:

إلى أي مدى أسعدك ما قاله العقيد الليبى معمر القذافى أمام القادة العرب فى قمة عمان بأن الرئيس السادات كان سابقا لعصره؟

- هذه شهادة جديدة فى حق الرئيس السادات جاءت متأخرة، وكنت أتمنى أن تذاع شهادة الرئيس الليبى على الهواء، لأن الرئيس السادات بالفعل كان سابقا لعصره ويعمل فى وضح النهار، وأنا لا أدرى السبب وراء عدم إذاعة هذه الشهادة خاصة عندما تأتى من رئيس كان معارضا لكل خطوات الرئيس السادات ولكن يبدو أن الأمور بدأت تتضح أكثر وأكثر.

هل تتوقعين أن يشهد رؤساء عرب جدد لصالح السادات؟

- أعتقد أن التاريخ يجب أن ينصف السادات وأن يبادر الكل بالشهادة له وإنصافه.

معنى هذا أنك ترين أن التاريخ لم ينصف اسمه؟

- التاريخ بالفعل لم ينصف الرئيس السادات ولم يعطه حقه، نحن نحتفل بالانتصار كل عام فى ذكرى حرب أكتوبر دون أن نعطى صاحب الانتصار حقه بالكامل، والدليل على كلامى أن أي فنان فى ذكراه تذاع أعماله وأغانيه فى التليفزيون والإذاعة لمدة أربعة أيام متتالية وهو مجرد فنان مع كامل احترامى، فما بالك بالرئيس السادات الذي حرر تراب مصر عن طريق الحرب وعن طريق المفاوضات.

إذن أنت غير راضية عن التقدير الذي حظى به اسم زوجك السادات؟

- بكل تأكيد هو تقدير غير كاف لبطل أنجز كل هذه الانجازات لبلده مصر وأكرر طلبى بضرورة أن يقام متحف لأنور السادات يشرح للأجيال الجديدة دور هذا البطل فى تاريخ مصر.

هناك متحف فى قرية ميت أبو الكوم مسقط رأسه يحمل اسمه؟

- أنا أطالب بمتحف فى العاصمة الكبرى القاهرة، أما متحف ميت أبوالكوم فهو متحف صغير تمت إقامته بجهودنا الذاتية والمشكلة أن عددا قليلا جدا هو الذي يسافر إليه، كما أطالب بأن يتم تدريس الحقبة التي حكم فيها أنور السادات مصر فى المدارس، وسؤالى كيف يتم حذف هذه الفترة من تاريخ مصر؟! وحسب معلوماتى لا يتم تدريس هذه الحقبة فى أي مرحلة من مراحل التعليم، فهل يعقل أن يتم حذف 11 سنة من تاريخ مصر؟!

بعيدا عن شهادة العقيد الليبى لماذا اختارت السيدة جيهان السادات «الجزيرة»؟

- أنا لم أختر «الجزيرة»، وإنما قناة الجزيرة هى التي اختارتنى، مع هذا لم أوافق على الظهور فيها إلا بعد إلحاح من القناة ومطاردة لأكثر من ثلاث سنوات وبعد أن تأكدت أن العلاقات بين مصر والقناة على ما يرام.

ما الدافع وراء قبولك عرض الجزيرة؟

- قبلت حتى أقول الرأي الآخر، لأن معظم ما قيل عن السادات كان من معارضين له، ومن المُهم أن يقول الإنسان رأيه ويشرح وجهة نظره ولا يترك الآراء المعادية هى التي تتحدث.

كم تقاضت جيهان السادات مقابل الظهور فى برنامج «شاهد على العصر»؟

- أنا طول عمرى لم أحصل على أي مليم من أية جهة مهما كانت، وبالتالى لم تدفع لى الجزيرة مليما، ومن السهل جدا أن تعلن الجزيرة ذلك، الجهة الوحيدة التي تدفع لى راتبا هى الجامعة بحكم عملى فيها.

الكثيرون اعترضوا على الطريقة التي كان يخاطبك بها مذيع البرنامج، خاصة أنك كنت تنادينه طوال الوقت بحضرتك؟

- أنا لا أدافع عن «أحمد منصور» فى هذه القضية ولكن فى الغرب يخاطبون الرؤساء بهذا الشكل، الجزيرة تقلد الغرب فى هذه النقطة، ولكن أنا تربيت على أن أقول لمن أحدثه حضرتك و لا أستطيع أن أغيّر طريقتى وعموما كل إنسان يحترم الإنسان الآخر وفقا لتربيته وظروفه وأعتقد أن المذيع لم يقصد أي وقت الإساءة إليّ أو إهانتي.

هل هذه شهادة منك فى حقه؟

- هو فى رأيى مذيع شاطر ولكن لى ملاحظات عليه.

ما هذه الملاحظات؟

- إنه دائما يهاجم ضيفه وعندما سألته عن السر فى ذلك قال: حتى يظهر الرأي الآخر وعموما الرد كان عاديا.

لماذا لم تردى فى البرنامج على شهادة حسين الشافعى؟

- حسين الشافعى زميل وبالفعل كنت سأرد عليه وأصوب كثيرا من الأخطاء التي وردت فى شهادته ولكنى تراجعت لاعتبارات الزمالة وكبر سِنه ولسبب إنسانى آخر هو وفاة ابنه، كل هذه الأسباب جعلتنى أتراجع عن فكرة الرد عليه وكشف كل ما قاله للجزيرة.

معنى هذا أن شهادتك عبر الجزيرة لم تكن مكتملة؟

- باستثناء موضوع حسين الشافعى شهادتى كاملة وأعتقد أن رد الفعل الذي حدث بعد إذاعة الحلقات كان واسعا وأكد لى أن هذه القناة تحظى بنسبة مشاهدة عالية حيث تلقيت مئات الاتصالات من كندا وأمريكا عن شهادتى بمجرد وصولى إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

بصراحة ما الأسرار التي ستظل غير معلنة؟

- بكل صدق لا أحتفظ بأي أسرار وكل ما أعرف قلته، وأنا طبيعتى أن أرد على الأسئلة بمنتهى الأمانة ولا أخفى شيئا، وهناك أسئلة كثيرة طرحها علىّ المذيع وطُرِحَتْ علىّ من قبل فى حوارات أخرى ولكننى اعتذرت عن عدم الرد عليها لأننى لا أعرف حقيقة إجابة لها.

لماذا اعتذرت عن عدم الظهور فى الحلقة التي كانت ستذاع على الهواء مباشرة؟

- تراجعت عن عدم الظهور فى الحلقة التي كانت ستذاع على الهواء لسبب وحيد هو أننى خشيت أن أتلقى أسئلة من بعض المشاهدين تكون سخيفة أو تحمل سبابا لى أو لزوجى الرئيس السادات، صحيح لن أرد على مثل هذه الأسئلة ولكن لو طرحت على الهواء، ستكون النتيجة النهائية هى أننى سُببت وسُمعتُ بأذنى هذه الشتائم.

البعض ربط بين عدم ظهورك فى حلقة الهواء وبين بعض الضغوط غير المعلنة؟

- هذا أول مرة أسمع فيها كلمة ضغوط، لا توجد ضغوط ولا غيره، كل ما حدث هو الخوف من مفاجآت الهواء وعدم التزام البعض بأدبيات حوار الهواء، ونحن فى مصر نعيش فى حرية كاملة والكل يقول رأيه بمنتهى الصراحة والوضوح ولا يصح الحديث عن كلمة «ضغوط».

كيف انتهت واقعة نشر جريدة العربى موضوعا سلبيا عن الرئيس السادات؟

- أعتقد أنها انتهت بعد نشرها لاعتذار، حيث قررنا نحن أسرة السادات الاكتفاء بهذا الاعتذار خاصة عندما اكتشفنا أن هذه الصحيفة ضعيفة جدا ومواردها محدودة وحتى العاملون فيها غلابة جدا وتوزيعها لا يساوى شيئا ولهذا أغلقنا الموضوع، كما أننى خشيت أن تتسع الأزمة أكثر فى وسائل الإعلام ويكتب أنصار السادات من الكتاب ضد الرئيس عبد الناصر وهذا أمر لا يرضينى لأن عبد الناصر كان رئيسا لمصر وصديقا لى وللسادات ويجب ألا يُهَاجَم كما يجب ألا يُهَاجَم الرئيس السادات.

هل كانت فى حياة السادات أسرار لم تكن تعلم بها الزوجة؟

- أسرار كثيرة خاصة بعمله، بدليل أننى لم أكن أعرف أنه سيحارب فى 6 أكتوبر...

برأيك ما الذي كان يتميز به السادات؟

- كان يتميز بالهدوء فى أصعب المواقف، والشجاعة فى مواجهة أي موقف، قبل اتخاذ القرار والتصرف فيه.

ما الذي ورثه أبناء السادات من هذه الصفات؟

- أولادى الأربعة يتميزون بخلق ومبادئ نادرة وهم متدينون وهذا مبعث فخر لى.

حتى كان السادات يتشاور معك فى أمور الحكم؟

- لم يكن أحد منا يتدخل فى شئون الآخر، وبالتالى لم أتدخل مطلقا فى شئون الحكم وكان لديه مجلس أمن قومى واللجنة المركزية ومستشارون كبار ووزراء، وبالتالى لم يكن فى حاجة إلى مشورة جيهان السادات.

ما الذي جذبك فى السادات؟

- عندما تزوجته كان عمرى 15 سنة و9 أشهر، أي أننى لم أكن قد أكملت بعد عامى السادس عشر، وتعرفت عليه فى حفل أقيم بمناسبة يوم ميلادى الخامس عشر وأعجبت به وهو أيضا أعجب بى، وبالمنسابة قبل أن يتقدم لى ويطلب يدى، تقدم لى خُطَّابٌ كثيرون وكنت بشهادة الجميع فتاة حلوة جدا وجميلة، وكان عدد كبير من الشباب يطلب يدى وكنت أرفض.

ما سر السادات معك وهو الرجل الذي كانت له تجربة زواج سابقة فضلا عن أنه لم يكن جميلا؟

- أنا توسمت الوطنية فى شخص السادات وعندما حضر حفل ميلادى كان خارجا من السجن وعرفت أنه دخل السجن من أجل الدفاع عن بلده وعن حقوق مصر ضد الاحتلال الانجليزى.

هل كنت تتوقعين أن يصبح مشهورا ورئيسا لمصر؟

- عمرى ما تصورت أنه يمكن أن يصبح رئيس جمهورية، أنا تزوجته ولم تكن معه وظيفة ولا فلوس ولا مستقبل ينتظره، أنا أحببته لشخصه.

هل توافقين على زواج إحدى حفيداتك من رجل مثل ظروف السادات وقت زواجكما؟

- الزمن اختلف والزواج الآن معظمه يحدث من خلال الجامعة والزمالة، أو من خلال العلاقات العائلية، كما أن الأفكار تغيرت والبنات الآن يبحثن عن الأمان.

إذن ما هى مواصفات زوج حفيدة جيهان السادات؟

- فى عائلتنا لا نبحث عن الزوج الغنى.

أزواج بناتك من أغنى أغنياء مصر!!!

- هذا صحيح ولكن لم يكن الاختيار على أساس مادى، فزوج ابنتى الكبرى نجل المهندس سيد مرعى وكان والده صديقا لنا والزواج ناجح وهما سعيدان فى حياتهما، أما زوج ابنتى الثانية عبدالخالق عبدالغفار فهو نجل ثروت بك عبدالغفار وجده كان رئيسا لوزراء مصر، وزوج ابنتى الصغرى جيهان

المهندس محمود عثمان نجل المهندس عثمان أحمد عثمان ووالده أحسن تربيته وكان والده صديقا للرئيس السادات، إذن كل أزواج بناتى من عائلات عريقة وطيبة، والمهم أنهم لم يعتمدوا على عائلاتهم وشق كل منهم طريقه فى الحياة وحق نجاحا كبيرا.

ماذا عن أولاد السادات من الزوجة الأولى؟

- هم أبنائى ولكن أنا عاتبة على كاميليا، لأنها أساءت إلى اسم والدها بما كتبت عنه.

بصراحة هل كنت تغارين على السادات؟

- عمرى ما شعرت بالغيرة على السادات ولا السادات شعر بالغيرة علىّ، ومن بين الأمور التي اتفقنا علينا ونحن فى فترة الخطوبة وحتى قبل الزواج ألا يغار أحدنا على الأخر، وأن نطرد الغيرة من حياتنا، وقال لى السادات: أنا ثقتى كبيرة فيك وأنت تعلمين مدى حبى لك، والحقيقة هو كان يحبنى جدا، وقال لى عمرى ما «أبص» لامرأة غيرك، وأنا فى الوقت نفسه كنت أبادله الحب نفسه، وبالتالى لم نجعل للغيرة مكانا فى حياتنا لأنها سبب رئيسى فى خراب البيوت

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمين هويدى

فى ذكرى مرور31 عامًا على نكسة عام 1967، ذهبت لإجراء حوار صحفى مع السيد أمين هويدى، الذي عينه الرئيس جمال عبد الناصر فى منصب وزير الحربية، ثم أسند إليه منصب رئيس المخابرات العامة بعد نكسة 67 وهو الوحيد الذي جمع بين المنصبين ويذكر فى كتاب «50 عامًا من العواصف ما رأيته قلته» بعد منتصف ليلة 18 يوليو 1967 دق جرس التليفون فى منزلى على الخط الذي يربط حفنة من رجال الدولة بالرئيس وكان المتحدث هو الرئيس، ومن عاداته أن يبدأ حديثه بالبسيط من الأمور وينهيه بما يريد قوله، فى هذا الاتصال قال ما رأيك فى أن تكون وزيرًا للحربية؟ وكما قال أمين هويدى لم يكن الخبر مفاجأة لى، فمن يوم دخولى الكلية الحربية عام 1939 وأنا متأكد أننى سأكون وزيرًا للحربية، لماذا؟ لا أعرف.

تلك قصة توليه هذا المنصب الذي لم يستمر فيه طويلا حيث استدعاه الرئيس عبد الناصر فى يوم 10 يناير 1968 وأبلغه بأنه استقر على تعيين الفريق محمد فوزى وزيرًا للحربية وقائدًا عامًا للقوات المسلحة.

أعود إلى قصة الحوار معه، كان موعد المقابلة فى الحادية عشرة صباحًا فى الفيلا التي يسكن بها فى مصر الجديدة، ولها قصة رواها حيث قال: «هذا البيت هو كل مدخراتى من عملى سفيرًا لمصر فى العراق ثم المغرب وحصلت على قطعة الأرض ضمن مشروع مخصص للضباط».

يومها وصلت متأخرًا عن الموعد 15 دقيقة، استقبلنى بترحاب فى حجرة المكتب الخاص به وهى حجرة مستقلة تطل على حديقة المنزل ثم حضرت مديرة المنزل وقدمت واجب الضيافة، ورحب بى بشكل طبيعى، فتحت الحقيبة الصغيرة التي كنت أحملها حتى أخرج منها جهاز الكاسيت لبدء تسجيل الحوار، لكنه سألنى ماذا تفعل؟ أجبت أستأذنك فى أن نبدأ الحوار حرصًا على وقتكم الثمين لكنه اعتذر عن عدم استعداده للحوار، وسألنى: هل تتذكر موعدك معى؟ أجبت نعم الحادية عشرة صباحًا، فرد ومتى حضرت؟ قلت له الحادية عشرة والربع فقال: لن أتحدث لكن لا مانع من أن نجلس سويًا لساعتين دون عمل، لحظتها أظهرت نوعًا من العجب وبرر ذلك بأنه يقدس المواعيد ولا يتهاون فيها أبدًا، وساق لى قصة حتى لا أفهم بأنه يتشدد معى فقال: عندما كنت وزيرًا لشئون مجلس الوزراء تعرضت زوجة الأديب يوسف السباعى لأزمة صحية، فحرصت وزوجتى على مساندتهما معنويا والوقوف إلى جوار يوسف السباعى حتى مرت الأزمة والحمد الله تعافت، فهاتفنى بعدها يوسف السباعى وأخبرنى بأنه يود زيارتى بصحبة زوجته فى المنزل، فرحبت على الفور وحددت لهما موعدًا فى السادسة من مساء اليوم التالى، وانتظرتهما فى منزلى حتى السادسة وعشرين دقيقة، بعدها اصطحبت زوجتى وغادرنا البيت. وفى الصباح طلبنى يوسف السباعى وهو يتردد فى الحديث عن السبب فى عدم وجودى بالبيت وأعتقد أن ظرفًا طارئا حال بيننا ويريد أن يطمئن فقلت له الحمد الله نحن بخير وانتظرتك حسب الموعد وسألته فمتى حضرت؟ فقال السادسة والنصف، ولم نتعاتب ومر الموقف..

حاولت أن أتعلل ببعد منزلى عن مصر الجديدة، لكنه كان حاسمًا وتمسك بعدم إجراء الحوار.

كنت مقتنعًا إلى أبعد حد بوجهة نظره ولهذا طلبت منه تحديد موعد جديد فرحب دون تردد، وحددت يوم باكر الحادية عشرة صباحًا، وانصرفت، فى اليوم التالى كنت على باب منزله قبل الموعد بعشرة دقائق ووجدته عائدًا من البنك و يمسك ببعض الأوراق وعندما لمحنى يرحمه الله قال: احترام متبادل وسرنا سويا فى ممر الحديقة حتى مدخل البيت.

فى هذا اليوم بكى أمين هويدى بحرقة وهو يتذكر مدى المرارة التي كان يشعر بها الرئيس جمال عبد الناصر بعد نكسة عام67، قال عبد الناصر كان

كبيرًا ووطنيًا ومات فقيرًا ولم يورث أولاده مالا، ولا تسألنى عن ثرواتهم الآن وقال فى أثناء حوارى معه - نشر يوم 6 يونيو عام 1998 بمناسبة مرور31 عامًا على النكسة - وهو ينظر إلى صورة عبد الناصر التي فى مكتبه.. أقسم بالله أنى صادق فى كل ما قلت ولم أكذب.. ولن أكذب، عبد الناصر زعيم كبير، ولكنه بشر يخطئ ويصيب، وساق قصة للتدليل على مدى الأزمة التي كان يعيشها الرئيس مع المشير عبد الحكيم عامر وكانت سببًا للنكسة فقال: كلفنى الرئيس مع المشير بمهمة للعراق وطلب منا ونحن فى الطريق للمطار أن نمر عليه من أجل بعض التوجيهات، فى يوم السفر ذهبت، وانتظرت قبل ساعة أو أقل من موعد إقلاع الطائرة ولم يحضر المشير وذهب مباشرة إلى المطار يومها نظر إلىَّ عبد الناصر وقال: لم يحضر ولن يحضر.

وقال إن عبد الناصر لم يكن بمقدوره عزله بعد أن سيطر على الجيش، وعندما سألته من الذي عزل المشير بعد النكسة؟ أجاب أنا وشعراوي جمعة وبحركة انقلاب.

كان أمين هويدى يتحدث عن عبد الناصر بعد كل هذه السنوات بحب كبير، وقال لم يكن يفكر فى غير وطنه ولا شىء آخر ويطبق على الوزراء وعلى نفسه الترشيد فى كل شىء، ويروى قصة مثيرة فيقول: عندما كنت وزيرًا لشئون مجلس الوزراء، كنت أمنح سيارات الوزراء عددًا من الكروت لشراء وقود السيارات تكفى المسافة بين منزل الوزير ومجلس الوزراء فى الأسبوع.. وفى صباح أحد الأيام طلبنى وزير الصناعة عزيز صدقى وهو غاضب وقال: «هل يعقل يا أمين أن تتوقف سيارتى فى عرض الطريق بسبب نفاد الوقود وأكمل بسيارة تاكسى لمكتبى؟ وعندما سألت السائق قال نفد الوقود المقرر بعد أن تجاوزت المسافات المقررة.»

خلال الحوار تلقى اتصالا من قناة «Mbc» تطلب منه تصريحات عن ذكرى النكسة وسأل المتصل كم ستدفع لى القناة؟ كان الرقم المعروض من وجهة نظره غير مناسب كما فهمت، فغضب وطلب إنهاء المكالمة وهو يقول للمتصل أنت تتحدث مع وزير دفاع جمال عبد الناصر.

بعد نشر الحوار طلبنى على تليفون مجلة الأهرام العربى واستقبل المكالمة زميل وأخبره بأننى غير موجود، فقال له نصًا: أرجو بأن تنقل له أن الحوار كان ممتازًا، وكان فى منتهى الأمانة فى نقل الإجابات.

زميلى لم يبلغنى بالمكالمة، ربما يكون قد انشغل، ومر اليوم، وبعد مرور ثلاثة أيام بادرت من تلقاء نفسى بالاتصال به للتأكد من أنه قرأ الحوار، ووجدته غاضبًا بدرجة كبيرة وفى بادئ الأمر اعتقدت أنه غير راضٍ عن الحوار

وسرعان ما فهمت من أن سبب الغضب هو عدم الرد من جانبى على مكالمته حاولت أن أبرر تصرف الزميل لكنه كان مصرًا على أن الزميل لم يتصرف بالطريقة الأخلاقية وكان يجب عليه أن يعتذر عن استقبال الرسالة مادام غير متأكد من أنه لن ينقل الرسالة، ثم هدأ وقال شهادتى فى الحوار أنك كنت أمينًا فى نقل الإجابات وبالدقة.

نشر الحوار تحت عنوان أمين هويدى:أنا شاهد على انتحار عبدالحكيم عامر

والسادات أعظم من قرأ الخريطة الاستراتيجية لإسرائيل بمقدمة حوت سطورها.

على الرغم من مرور 31 عامًا على نكسة 5 يونيه 1967 إلا أن تفاصيلها الكاملة لا تزال عالقة فى ذاكرته، كأنها حدثت بالأمس ويظل الراحل أمين هويدى رئيس جهاز المخابرات العامة ووزير الدفاع الأسبق أحد القلائل الذين يعرفون الكثير عن أسرار هزيمة يونيه وعن العلاقة الغريبة التي كانت قائمة بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبدالحكيم عامر.

فى هذا الحوار «شعرت» بأنه كان يتمنى لو كانت مسئولية الهزيمة أو الكارثة بعيدة تمامًا عن جمال عبد الناصر الذي يحبه، ولكن لكونه يعلم قبل غيره أنه المسئول أراد أن يخفف عنه جسامة المأساة عِظمَ المسئولية.

ويعترف أمين هويدى فى حواره بأن عبد الناصر كان عاجزًا عن عزل المشير وأن المؤسسة العسكرية بالكامل كانت بعيدة عنه ولكن عندما تذكر عبد الناصر، وهو يتجرع مرارة الهزيمة سالت دموعه وكأن الصدمة يعيشها لأول مرة فى حياته وتحدث بصدق.

بعد مرور السنوات على 5 يونيه 1967، من المسئول تحديدًا عن النكسة الرئيس جمال عبد الناصر أم المشير عبدالحكيم عامر؟

رئيس الدولة بمثابة الشاهد الرخامى الذي يُكتَبُ ويُحفَرُ عليه هزائمُ وانتصاراتُ عهده، الرئيس عبد الناصر أمم قناة السويس وأسقط الملكية وطبق القرارات الاشتراكية وانتصر فى حرب 1956، وانهزم فى يونيو 1967، هذا شىء لا يحتاج إلى نقاش.

معنى هذا أن المسئول عن الهزيمة تحديدًا الرئيس جمال عبد الناصر؟

لم أقل ذلك لأن الأداء العسكرى كان خلال النكسة صعبًا ولا يصح أن يقال إن عبد الناصر أقحم القوات المسلحة فى الحرب وهو يعلم أنها غير جاهزة.

وهل حقًا كانت القوات المسلحة جاهزة للحرب؟

من يعد إلى تصريحات قادة القبعات الحمراء وهم قادة القوات المسلحة مع بداية الأزمة فى 15 مايو 1967، يجد أنهم لم يعترضوا على تصعيد الموقف السياسى والمشير كان عضوًا فى القيادة السياسية بل كان الأقوى.

أقوى من الرئيس جمال عبد الناصر؟

عبد الناصر كان رئيسًا للجنة ولكن عامر كان أقوى الأعضاء وفى كلامه إلى اللجنة التنفيذية العليا كان يقول قواتى لا تتحمل منظر مرور المراكب الإسرائيلية فى الخليج وأنا أحاول أن ألجمها ولابد أن نضرب إسرائيل.

معنى هذا أن المسئولية يتحملها عبد الناصر والمشير عامر؟

لا أقسم، هناك خطأ حدث مسئول عنه فلان وفلان.

بعيدًا عن حساسية المسئولية، هل كان يعلم عبد الناصر؟

لم يكن يعلم بأي شىءٍ.

لماذا إذن ذكرت فى كتابك أضواء على نكسة 1967 أن عبد الناصر لم يتمكن من إقالة قائد سلاح البحرية سليمان عزت والسبب رفض المشير؟

قلت كان من الواجب تغيير كل القادة العسكريين بعد حرب 1956 لأن الأداء العسكرى كان سيئًا وغطاه فقط الأداء السياسى الجيد؛ لكن عامر رفض التغيير لأنه كان لا يريد أن يلقى بالمسئولية على هؤلاء القادة وبهم دخل حرب 1967 فكرروا نفس الخطأ.

لماذا وصفت هزيمة يونيه بالكارثة الكبرى التي خطط لها الأعداء؟

قلت: نعم خطط لها الغير ولكن نحن الذين قمنا بالدور الأكبر فى هذه الهزيمة ويكفى أننا دخلنا الحرب دون خطة وهذا كلام يثير بعض الناس.

ما الدليل على عدم وجود خطة؟

عندما دخلت القوات المصرية سيناء، بدأت العمليات تتراوح ما بين الدفاع والهجوم فى عمليات عشوائية وتحت ضغط العدو.

وهل كان يعلم عبد الناصر بعدم وجود خطة؟

لا، والسبب كما قلت إن كل شىء كان يحجب عنه وأصبح هناك خلاف قائم بينه وبين المشير.

من الذي عزله بعد النكسة؟

أنا وشعراوي جمعة وبحركة انقلاب، لأن عامر كان رافضًا أن يتم تغييره والعزل تم بأوامر من عبد الناصر ونفذنا ما يعرف بخطة جونسون، اعتقلناه وتم تحديد إقامته فى منزله.

إذن العزل كان ممكنًا؟

لم يكن سهلًا.

هل حقًا انتحر المشير عبد الحكيم عامر؟

نعم وأنا شاهد على انتحاره وكنت موجودًا داخل منزل عبد الناصر يوم القبض عليه.

لماذا تشكك أسرته فى قصة انتحاره؟

هى تشكك ضد كلام وزير العدل وضد كلام النائب العام وضد كلام وزير الدفاع فى تلك الفترة، عبد الحكيم عامر انتحر بتحقيق قضائى نيابى وأطالب السلطة القضائية أن تحاسب أي شخص يشكك فى هذا الكلام.

هل تختلف مع رأي الدكتور عبد العظيم رمضان المؤرخ المصرى فى أن 67 أضاعت كل سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة؟

ما الجديد فى كلام الأخ الدكتور عبد العظيم رمضان؟!!

الذي يقصده أن عبد الناصر هو السبب المباشر فى ضياع كل الأراضى العربية؟

عبد الناصر هرم كبير جدًا والذين يحاولون هدمه هم فئران لا تفعل أكثر من أنها تنبش فى قاعدة الهرم لأن كل زعيم وكل قائد له أخطاء.

من كنت تقصد عندما أطلقت لفظ «النكرات» على بعض المؤرخين؟

المؤرخ الذي يخلط الحدث التاريخى بأغراض سياسية أو شخصية.

طالما لكل زعيم بعض الأخطاء، هل أنصفت الرئيس السادات؟

أنا لا أنصف أحدًا أبدًا ولا أهاجم أحدًا أبدًا وأعترف أن السادات هو الوحيد الذي قرأ الخريطة الإستراتيجية لوضع القوى وهذا يحسب له، وأختلف مع الذين يقولون إنه لم يستخدم واقعًا فى رأيى لم يكن موجودًا، لأن التصادم بالقوى خلّف من ورائه وضعًا سياسيًا تعامل معه الرجل واضعًا أمام عينيه حقيقة توازن القوى على مسرح الأحداث.

فى 1967 نفذت إسرائيل خطتها بالكامل فى حرب 56 وعندما سئل ديان قال: إن العرب لا يقرأون؟

بالفعل إسرائيل نفذت خطة 56 على أساس أن العرب لا يقرأون وأذكر عندما توليت رئاسة جهاز المخابرات العامة بالإضافة إلى منصب وزير الدفاع بعد الهزيمة، طبعت كتاب ديان ووزعته على قادة الجيش وعندما سألت هل قرأتم الكتاب، الإجابة كانت 90% منهم لم يقرأه والتبرير كان ضيق الوقت.

قرار الانسحاب فى 1967 من الذي أصدره؟

هذه نقطة فرعية.

لماذا؟

لأن العبرة ليست بقرار الانسحاب ومن أصدره؟ وإنما بالطريقة التي تم بها الانسحاب ومع هذا، فالقرار أصدره المشير عامر يوم 6 يونيو، وفى صباح هذا اليوم كان أمر الانسحاب قد صدر للقوات فى سيناء.

إلى أي مدى ساهم الانسحاب العشوائى فى النكسة؟

فى يوم 6 يونيه طلب عامر من الفريق محمد فوزى رئيس الأركان واللواء ممدوح تهامى رئيس العمليات أن يقدما له خطة الانسحاب خلال 15 دقيقة فقط فذهبا ورجعا فى الوقت المحدد وطلب الفريق فوزي من ممدوح تهامى أن يقرأ الخطة، وكانت تقترح الانسحاب خلال 3 أيام بأربع ليال فرد عامر «كام» أنا أعطيت أمر الانسحاب وبدأت القوات تنسحب بشكل عشوائى وهجمت القوات الإسرائيلية على قواتنا فى مشهد غريب وأرجو ألا أسترسل لأننى أتألم.

لكن المشير عامر عندما سئل عن قرار الانسحاب قال: لا يمكن أن أتخذ قرارا كهذا دون موافقة عبد الناصر؟

الفكرة ليست فى الانسحاب، وإنما فى الطريقة، عبد الناصر لم يدخل مبنى قيادة القوات المسلحة.

ما تعليقك على ما قاله وزير الحربية الأسبق شمس بدران بأن عبد الناصر قال لعامر أنا آسف لأنى وضعتك فى هذا الموقف؟

هذا الكلام عيب وأنا ما زلت أعطى شمس بدران احترامه لأنه كان وزيرًا للحربية فى يوم من الأيام ولكن فى تقديرى ليست بهذه الطريقة يُكتَبُ التاريخ وأرفض أن أذكر ما قاله شمس بدران حينما حدثت الهزيمة، يكفى أنها كلمة لا يصح أن أرددها وتعليقه الوحيد كان بعيدًا عن التعليق الحربى والعلمى!

ولكن ماذا كان تعليق الرئيس جمال عبد الناصر؟

عبد الناصر جرح وتألم قلبه، وكان رد فعله الأول هو قرار التنحى.

هناك من يردد أن قرار التنحى كان تمثيلية؟

يعنى إيه تمثيلية.. الرجل وقف بكل شجاعة، وتحمل المسئولية وقال أنا مسئول وجزائى أن أتنحى.

وهل كنت تعلم بقراره؟

لم أعلم وكان قرارًا مفاجئًا لى، وأتذكر أننى كنت أتناول الغداء فى مكتبى بمجلس الوزراء مع وزير التموين نور الدين قرنى وحمدى عبيد وزير الحكم المحلى وسمعنا التنحى وذهبنا إلى منزل الرئيس وكنا أول من يصل إليه من الوزراء وكان مرتديًا البذة ويجلس فى الصالون ودخلت عليه وقلت له ما الذي فعلته؟ فقال: أنتم هنا لماذا؟ من يمسك البلد الآن، كل واحد يذهب إلى موقعه امسكوا البلد قبل أن تفلت من أيدينا.

ما الذي تغير بعد رفض التنحى؟

بدأ الخطوة السليمة فى إصلاح الوضع فى قمة المؤسسة العسكرية وكان لابد من عزل المشير وبدأت حرب الاستنزاف حتى لا «يبرد» الخط ولهذا أغلق عبد الناصر قناة السويس وتم تسخين خط الأمر الواقع حتى نقول نحن هنا.

هل هناك علاقة بين حرب اليمن ونكسة 1967؟

لا توجد أي علاقة.

لماذا؟

لأن الطائرات فى 67 ضربت فى مطاراتها بمصر ولم تكن فى اليمن.

هل لو كانت القوات المصرية المشاركة فى اليمن موجودة كان تغير الموقف؟

لا، بل بالعكس ربنا ستر لأن قوات المشاة التي كانت موجودة فى اليمن هى التي عادت بعد النكسة وشكلت الاحتياطى وتم إعادة تدريبها ودخلت معركة الاستنزاف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

برلنتى عبد الحميد

ارتبط اسم نفيسة محمد حسن على حواس الشهيرة بالفنانة برلنتى عبدالحميد ارتباطا كبيرا بالمشير عبدالحكيم عامر، بدرجة جعلت من الصعب على العقل أن يستدعى من ذاكرته اسم المشير دون أن يكون مقرونا فى النهاية بالفنانة برلنتى الزوجة الثانية التي تزوجها سرًا بعد كثير من اللقاءات والمقابلات التي جرت بينهما، والأهم بعد أن سحرت الفنانة الشابة الجميلة مكتملة الأنوثة المشير عامر الرجل الثورى والعسكري، لم يقاوم أنوثتها الطاغية لم يفلح فى الابتعاد عن جاذبية نجوميتها، هَاَمَ غرامًا بها مثلما يعشق البعض النجمات الساحرات لم يحسب حسابات أي شيء فقط كان كل تفكيره أن يجمعه بها بيت واحد وتزوجها.

وابتعدت قليلا النجمة اللامعة عن بلاتوهات السينما وعن خشبة المسرح لكنها جسدت أخطر الأدوار على مسرح الحياة، وعاشت فى أحضان المشير منذ عام 1963 وحتى رحيله بعد هزيمة 5 يونيو 1967 ورغم أن هذه السنوات فى عمر الزمن قليلة فإنها تعد من أخطر السنوات التي مرت بها مصر وعانت فيما بعد بسببها، فهى سنوات النكسة والهزيمة، وتصفية الحساب بين الأصدقاء من أعضاء مجلس قيادة الثورة.

والكل يعرف قبل أن يعلم أن المشير عامر كان هو الرجل الثانى فى مصر بعد جمال عبد الناصر، وأحيانًا يقول البعض عنه كان الأول مكررا وبالتالى تعرف زوجته الكثير عنه ومنذ صدور كتاب»المشير وأنا «فى بداية التسعينات والبعض يقول إن كل ما فى حوزة برلنتى عبدالحميد من أسرار وحكايات وضعته فى هذا الكتاب.

فى بداية عام 2002 أجريت حوارا مطولا مع الفنانة برلنتى عبد الحميد فى شقتها التي تطل على نيل القاهرة، والتي كانت فى الطابق الرابع فى نفس العمارة التي كان يسكن فيها حائز نوبل فى الآداب الأديب العالمى نجيب محفوظ وهى أيضا الشقة التي شهدت بدايات العلاقة مع المشير.

كنت قد عرضت على الكاتبة الكبيرة سناء البيسى فكرة الحوار وبدون تردد وافقت وتواصلت هاتفيا مع السيدة برلنتى عبد الحميد وتم تحديد الموعد.

.. كان الموعد فى الخامسة عصرا مع بداية الحوار حدث اعتراض كبير من جانبها على طريقتى فى إدارة الحوار، حيث كان لديها تصور ما، وحدث الخلاف وطلبت منى أن تعرض الأمر على رئيسة التحرير، ووافقت واتصلت بمكتب الأستاذة سناء البيسى، وأخبرتها أن السيدة برلنتى عبد الحميد تريد أن تتكلم معها وأعطيتها سماعة الهاتف وبدأت فى شرح وجهة نظرها وهى فى غاية الانفعال وبعد أن انتهت من الحديث أعطتنى سماعة التليفون وقالت لى سناء البيسى: أرجوك لا تغضبها هى تتعامل على أنها كما لو كانت ماتزال

زوجة الرجل المهم، كانت السيدة برلنتى قد هدأت، وتم استئناف الحوار معها بالطريقة العادية، واستمر الحوار قرابة الساعتين وقبل أن أنصرف طلبت أن تراجع الحوار قبل النشر

انتهيت من إعادة صياغة الحوار ووضعت العناوين والمقدمة، وقدمته إلى المجلة ولم أرسله لها اعتقادا منى بأنها ستتدخل فى التفاصيل، فضلا عن اننى خرجت من المقابلة بانطباعات بأن هذا الحوار سيكون هو المرة الأولى والأخيرة التي يجمعنا فيها عمل صحفى.

سلمت الحوار وكان مقررا نشره على جزأين ونشر فى المجلة، بعنوان «برلنتى عبد الحميد.. «سنوات فى حضن المشير» يوم صدور العدد استقبلت مكالمة على تليفون المنزل منها قالت فيها لم أتوقع الحوار بهذه الطريقة والمقدمة ممتازة أشكرك.

شهادتها جاءت مفاجئة، وقالت أن الزميل الصحفى الذي يتعاون معها كمستشار إعلامى أثنى على الحوار وطريقة العرض، شكرتها على الاتصال وكنت سعيدا وزرتها ثانية لاستكمال الحوار، وكانت ودودة جدا، سيدة مصرية تعيش فى شقة على النيل حياة الوحدة حيث يقيم نجلها الوحيد الدكتور عمرو عبد الحكيم بعيدا عنها وهى تكرس كل حياتها للدفاع عن المشير عبد الحكيم عامر.

كان السؤال الأول هو ما قصة كتابك الأشهر «أنا والمشير»؟

- كتابى «أنا والمشير» كتبته فى فترة عصيبة جدًا وكنت كمن يفعل الشيء وهو يلهث ويسابق الزمن، وبالتالى جاء الكتاب بهذه الصورة التي نشر بها لم يتوقف طويلا أمام التفاصيل ولم يشرح الأحداث ومع هذا حصد هذا الكتاب نجاحا كبيرًا وحقق رواجا غير متوقع وكنت كلما أسافر خارج مصر أكتشف أن كتابى سبقنى إلى هذا البلد والناس تحدثنى عنه، وعن أحداثه والحقائق التي حفل بها وعندما تسألنى لماذا لم يهتم الكتاب بأحداث الحقبة الناصرية كاملة؟ أقول كنت مشغولة فقط بتوضيح صحة موقف زوجى المشير والرد سريعا على كل الأكاذيب والافتراءات التي لحقت باسمه وسمعته بعد أن ماتت الضمائر اليقظة وبعد أن انهالت الكتابات تجريحًا وتقطيعًا فى اسم عامر دون أن يستيقظ ضمير أي كاتب ويكتب الحقيقة أو حتى نصفها وتحامل الكثيرون على سمعة زوجى المشير عبدالحكيم عامر لأهداف معروفة، ومن أجل مصالح آنية دون أدنى مراعاة للأمانة ودون حرص على حقائق التاريخ ووضوحه، وإعطاء كل ذى حق حقه ومن أجل هذا فكرت فى كتاب «المشير.. وأنا» ثم كتابى الثانى والذي هو، الأهم على الإطلاق بين جميع الكتب التي تناولت الثورة والفترة المسماة بالناصرية «الطريق إلى قدرى.. إلى عامر»

ويقع فى 750 صفحة تقريباً، استغرق العمل منى زهاء 10 سنوات كاملة، وسافرت من أجله إلى الولايات المتحدة، وقرأت كل ما كتبه من مذكرات ومن كتابات عن الثورة، وفترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر، وكل من شاهد البروفات الأخيرة للكتاب قال بالحرف الواحد هذا أهم كتاب ستحفل به المكتبة العربية والعالمية عن هذه الحقبة، وأنا لا أقول هذا الكلام لمجرد أننى الكاتبة، ولكن بالفعل بذلت كل جهدى من أجل الحقيقة الغائبة.

اسم الكتاب هو بالنص عنوان الفصل الثانى من كتابك السابق «المشير وأنا»؟

- الشيء الوحيد الذي لم أختره فى هذا الكتاب اسمه، اختاره لى الكاتب الكبير أنيس منصور هو «الثورة التي لا يعرفها أحد» ثم اقترح علىّ صديق صحفى اسم آخر «بالوثائق والمستندات ثورة يوليو» ولكن أثناء المناقشة مع الناشر الحاج مدبولى صاحب مكتبة مدبولي، وفى وجود فريق العمل الخاص بدار النشر اطلع الناشر على الكتاب سريعًا وعلى الفور اختار هذا العنوان، وبالتالى لابد من احترام وجهة نظره والاهتمام بها لأنه الوحيد الأقدر على معرفة الأنسب من هذه الناحية لأنه تعامل مع آلاف الكتب من قبل ويُدرك جيدًا ماذا يفعل؟

فى رأيك من كان الأكثر موضوعية فى مذكراته من أعضاء مجلس قيادة الثورة؟

- من وجهة نظرى وأعتقد أيضًا من وجهة نظر الكثيرين مذكرات صلاح نصر هى الأكثر موضوعية بين كل ما كتب عن حكم عبد الناصر وعن الحقبة الناصرية ولمعلومات الناس صلاح نصر كان أكثر أعضاء مجلس قيادة الثورة ثقافة وأكثرهم قدرة على الكتابة ولو لم يكن فى موقع مدير المخابرات العامة لكان أديبًا كبيرًا ومحللا سياسيًا عميقا وكان أكثر أعضاء الثورة دراية بأن الثورة تأكل نفسها وكان صلاح نصر مؤرخا حقيقيا لمعظم التفاصيل، وكان لا يفوّت أي واقعة مهما كانت صغيرة دون تدوينها لدرجة أن لهجة الحوار كان يكتبها كما هى والهدف من ذلك حتى يكون أمينًا وأؤكد أن مذكرات صلاح نصر هى الأكثر مصداقية بين كل ما كُتب عن الثورة وأنا عاصرت صلاح نصر وهذا الرجل الذي ظُلِمَ بكل تأكيد.. التاريخ سينصفه ويُعيد له حقه مهما طال الزمن فهو مصرى وطنى خدم بلده بكل ما كان يملك ولم يستغل نفوذه لمصلحته الشخصية وكان يعمل من أجل مصر وصالحها ومن كان يزور منزل صلاح نصر فى مدينة نصر يعرف مدى الزهد الذي كان يعيش فيه الرجل ومدى نظافته وأنا زرته فى السجن وعرفت الظروف القاسية التي كانت تعيش فيها زوجته وكيف باعت سجادة المنزل حتى تعيش فهو رجل لا يُشترى ولا يتنازل، عكس آخرين مازالوا على قيد الحياة وكان المشير

يُنادى على الواحد منهم بأوصاف حقيرة وكان يتقبلها ذليلا دون أدنى اعتراض بل يثنى على المشير لأنه وصفه بهذا الوصف.

الكل ضد صلاح نصر والاستثناء الوحيد هو أنت؟

- وسائل الإعلام هى التي جارت على هذا الرجل، صلاح نصر شاء الجميع أم أبوا هو الضلع الثالث المهم فى هذه الحقبة مع جمال عبد الناصر والمشير عبدالحكيم عامر وأنا شخصيًا تعرضت للأذى منه فى بداية علاقتى بالمشير ولكن عندما أقول كلمة الحق يجب التخلى عن أي مواقف شخصية والتعامل بمنطق وموضوعية فى الحكم على الأشخاص.

معنى هذا أن صلاح نصر ظُلِمَ من وجهة نظرك؟

- بعد الهزيمة كان لابد من البحث عن كبش فداء من أجل حماية شخص واحد فقط هو جمال عبد الناصر، وبالتالى بدأت عملية التشويه خاصة لعبدالحكيم عامر وصلاح نصر من أجل حمايته وبدأت العملية بالقضاء على عامر والضباط الأقوياء فى الجيش.

متى كان اللقاء الأول مع المشير عامر؟

- اللقاء الأول الذي جمعنى بالمشير كان فى عام 1961.

معنى هذا أنكما لم تلتقيا قبل هذا اليوم؟

- بالفعل المرة الأولى التي قابلته فيها كانت فى هذا اليوم والمصادفة البحتة هى التي قادتنى إلى هذا الاجتماع.

كيف حدث الزواج بعد ذلك؟

- بعد هذا اللقاء لم نفترق أنا والمشير وتوطدت العلاقة بيننا ودون أن أشعر تمت مراقبتى من خلال الأجهزة والتي تعقبت خطواتى واتصالاتي بهدف التأكد من أخلاقى وصفاتى وهل أصلُح زوجة له أم لا؟ ودون أن أشعر أو أعرف وظللت تحت الملاحظة الدقيقة لمدة عام.

متى تحديدا طلب يدك للزواج؟

- فى أحد الأيام اتصل بي عبدالحكيم عامر تليفونيا وكنت لحظتها فى أشد حالات الغيظ والتعب النفسي، لأنى كنت عائدة للتو من مشوار بصحبة رجل كنت أعتبره صديقا وطلب منى أن أشاهد فيلا جديدة قبل أن يشتريها وبعد وصولى إلى الفيلا حاول معى بطريقة تخلو من الرجولة فنهرته وانصرفت غاضبة ولما وصلت إلى شقتى طلبنى المشير تليفونيا فوجدنى فى حالة ضيق، وحكيت له ما حدث فضحك وطلب منى أن نلتقى حالا، وعلى وجه

السرعة، وبالفعل ذهبت إلى مقابلته، واستقبلنى فى حديقة الشاليه الذي كان يجلس به فى شارع الهرم، وكان وجهه بشوشًا وعندما لمحنى قال: أهلا بعروستى، وعندما استفسرت منه عن معنى كلمة «عروستى» قال تعنى الزواج والأبناء واصطحبنى المشير بعيدًا فى الحديقة وجلسنا على الأرض وقال لى أنت نجحت فى الامتحان ولهذا قررت أن أتزوجك وعندما أعلنت عن غضبى الشديد، لأنه راقبنى طوال الفترة الماضية مثل فئران التجارب وقلت له ألم يكن من الواجب أن تسألنى عن رأيي فى الزواج قبل مراقبتى، فرد علىَّ قائلا فى مثل حالتي يجب أن أوافق أنا الأول ثم أنت بعد ذلك ولهذا غضبت بشدة وقلت أنا غير موافقة، وانصرفت مسرعة باتجاه سيارتى وتركته وعدت إلى بيتى.

متى قابلت المشير بعد ذلك؟

- بعد ذلك اتصل بى عبدالحكيم عامر تليفونيا، وقال لى أنا الدكتور وكان هذا هو الاسم المعروف به وطلب منى الحضور إلى المكان نفسه، وذهبت بناءً على رغبته وبعد المقابلة عدت إلى بيتى أفكر فيما ينتظرنى من مصير هل أتزوجه أم أرفض؟ خصوصا أننى كنت قد تلقيت عرضا إيطاليًا للسفر إلى إيطاليا والإقامة هناك والحياة هناك لطرق أبواب العالمية وبينما أنا غارقة فى همومى دق جرس الباب، وكان الوقت متأخرًا ليلا وكان على الباب عبدالحكيم عامر ودخل الشقة للمرة الأولى وبمجرد دخوله ارتمى على الأريكة الموجودة بصالون الشقة، قبلها طلب العشاء وفتح باب ثلاجة المنزل، وكان به طبق من الجبن الموضوع عليه بعض الأشياء وقدمت له العشاء ثم اصطحبنى إلى المكان نفسه الذي كنا نلتقى فهي، وهناك أدخلنى قاعة لم أشاهدها من قبل وكانت فى نهايتها شاشة عرض كبيرة، وطلب تشغيل بعض الشرائط وكانت للأسف تحوى مشاهد مؤلمة نفسيا وبعد ذلك انصرفنا من هذه القاعة المتعبة وكان قد أعد لى مائدة عامرة بكل أنواع الطعام وعلى المائدة قال الخطوبة ستتم قريبا وبعدها الزواج وأكمل لقد تفاهمت فى ذلك مع والدتك وطلب منى أن يظل أمر الزواج والخطوبة سرًا لا يعرفه أحد ولكن كان يعرف ذلك أشقاء المشير حسن ومصطفى وعبدالمنعم بالإضافة إلى صلاح نصر وعباس رضوان ووالدتى، ومنذ تلك اللحظة انسحبت تدريجيا من كل الارتباطات وكل الأعمال وتمت الخطوبة فى شقتى وليلتها كان المشير لطيفا وتولى هو الرد على كل المكالمات التي كانت تطلبنى وكان يقول لكل من يتصل بى أنا شقيقها وضحكنا كثيرًا، وقدم لى فى هذه الليلة شبكة بسيطة جدًا وكان الشهود على عقد الزواج هما شقيقاه المهندس حسن عامر ومصطفى عامر.

ما الذي تتذكرينه عن سنوات الزواج؟

- لم أكن أتصور قبل الزواج أن المشير سيكون مشغولا عنى لهذه الدرجة، كانت حياته كلها عملا ولم تكن حياتنا كما أراد البعض تصويرها ورغم أننى زوجته كنت أعرف أخباره من الصحف ووسائل الإعلام، وعندما زادت مشاغله عنى، أحسست بالوحدة القاسية شكوت له لأننى لا أفعل شيئا سوى ممارسة الرياضة فى حديقة المنزل أو الذهاب إلى دور السينما وكان يُصاحبنى السائق فى هذه الخروجات وأحيانًا كان يأتى إلىّ فى السينما أحد حراس المشير وأثناء العرض السينمائى ويطلب منى ترك السينما والعودة سريعا إلى الفيلا.

أين كان المشير ليلة النكسة؟

- ليست نكسة، بل هى هزيمة بمعنى كلمة الهزيمة، وهذه جملة اعتراضية منى، وعمومًا المشير ليلة الهزيمة كان فى بيته ومع زوجته الأولى.

برأيك ما الأشياء البارزة التي لمستها فى شخصيته؟

- من وجهة نظرى، من الأشياء التي لمستها فى المشير عبدالحكيم عامر أنه لم يكن سياسيا بالمعنى المعروف، كان رجلا صريحا أكثر من اللازم، ولم يتعود المناورة، والسياسة تحتاج إلى رجل مناوّر ورجل له كثير من الحسابات وكثير من المصالح وعندما كان يختلف مع جمال عبد الناصر كانت أسهل الأشياء التي يُقدِمُ على فعلها هى تقديم استقالته وهذا قدم استقالته كثيرا ولكن جمال عبد الناصر كان يرفضها.

ما الأخطاء البارزة فى شخصيته من وجهة نظرك؟

- هو أخطأ مرتين، الأولى عندما كان يقول نعم ويوافق على قرارات الرئيس عبد الناصر وهو غير مقتنع بها، والثانية حينما قال لا لعبد الناصر.

هل كان يتحدث معك عن علاقته بالرئيس جمال عبد الناصر؟

- كما هو معروف لكل من كان قريبا منهما أن عبد الناصر وعامر هما أقرب صديقين لبعضهما وكان الرئيس يثق ثقة مطلقة فيه، حتى عندما سافر إلى سوريا كان يكتب له و يستشيره فى بعض الموضوعات وعبد الناصر كان يطلق عليه لقب «جان» نسبة إلى جان جاك روسو الفيلسوف، وكان يقول عنه الفيلسوف وأكثر الأشياء التي كانت تميّز عبدالحكيم عامر فى العلاقة مع عبد الناصر أنه كان يخالفه فى الرأي فى كثير من الأمور، وكان لا يوافق على أي شىء طالما لم يقتنع به وهو الذي رفض اقتراح عبد الناصر بتحديد الملكية الزراعية وقصرها على خمسة فدادين فقط، وقال إن هذا العدد صغير جدًا وسيضر بالفلاح والأرض، كما كان يقول لى إنه تعب من كونه المعارض الوحيد فى الجلسة للرئيس عبد الناصر وأحيانا كان يلفت نظر الرئيس إلى أنه لا معنى من حرصه الدائم على أن يسبق كل من كان يجلس معه على البلاج

بمسافة نصف المتر إلى الأمام وكان يقول له لا داعى لذلك وأنت تجلس على البلاج حتى لا يشعر من معك أنك دائما لا تعاملهم بنوع من المساواة.

ما نقاط ضعف زوجك عامر؟

- نقطة ضعفه الناس البسطاء، وهو كان ضعيفًا جدًا أمام الضعفاء أو المظلومين وكان أطفال عم إسحاق الجناينى الذي كان يُقيم معنا فى فيلا الأهرام يعتبرهم مثل أطفاله وكان يحضر لهم مساء كل يوم الحلوى ويجلس معهم فى حديقة الفيلا فى منتهى التباسط لدرجة أن الأطفال تعودوا ذلك وكانوا بمجرد وصول سيارته يجرون وراءها منذ لحظة دخولها الفيلا وحتى لحظة توقفها.

ما التركة التي تركها لك المشير؟

- التركة التي ورثتها عنه هى مبلغ ألفى جنيه وبعض المشغولات الذهبية وكان قد تركها لى مع شقيقه عبدالمنعم.

ما الذي ورثه ابنه عمرو؟

- عمرو ورث فدانين وقيراطين، مثله مثل بقية أشقائه والشقة التي أقيم فيها هى شقتى منذ أن كنت ممثلة ولم يترك له والده أي شىء باستثناء هذه الأرض.

معنى هذا أن المشير لم يكن مهتما بالمستقبل من الناحية المادية؟

- كان لا يفكر أبدًا فى بكرة وكان يمكن أن يجمع الملايين ولكنه كان شريفًا ويكفى أنه عندما عاد إلى بلدته «إسطال» فى المنيا بعد الهزيمة وكان يزوره الكثيرون هناك ومن أجل أن ينفق ويقدم لهم واجب الضيافة باع أرضا، حتى يعيش بثمنها والأرض هى بجوار نادى الصيد وبنيت عليها مستشفى الدكتور بدران.

- هل اتصل بك المشير يوم 5 يونيو.. يوم الهزيمة؟

- لم يحدث أي اتصال بينى وبينه فى ذلك اليوم.

كيف عرفت بقيام الحرب؟

- عرفت ببدء الحرب من خلال الإذاعة، ولم يتصل بى المشير تقريبا إلا بعد مرور أيام من بدء القتال، ولم أشاهده إلا فى يوم 8 يونيو، وكان ذلك فى منزل عصام خليل وليس فى بيت الزوجية بفيلا الأهرام.

كيف كنت تتابعين الأخبار فى ظل عدم اتصال المشير بك؟

- بكل تأكيد كنت أعرف العبء الكبير الذي يتحمله المشير، والضغوط النفسية التي يواجهها ولهذا كنت على اتصال بأشقائه وبطاقم مكتبه وكنت فى منتهى القل والخوف.

هل حرب الخامس من يونيو مؤامرة على مصر مثل حرب 1956؟

- هى بالفعل مؤامرة بدأت بداياتها فى الشهور الأولى ثم أخذت تتطور وتتعاظم فى المنطقة ناصبة الفخ لعبد الناصر لكى يتورط فى حرب شاملة مع إسرائيل، فقد بدأت بتمرير إسرائيل معلومة أنها ستقوم بعملية غزو شامل لسوريا للقضاء على النظام فى دمشق، وأن هناك بالفعل حشودا على حدود سوريا وكان هذا هو الطُعم الذي ألقته إسرائيل فى طريق الاستخبارات السوفيتية حتى تلتقطها السفارة السوفيتية فى تل أبيب، وأيضا عمدت إسرائيل إلى إرسال إشارات بالشفرة كى تلتقطها وحدات الأسطول السوفيتى فى البحر المتوسط، وكان من المنطقى أن تقوم أجهزة المخابرات الروسية بما لها من خبرة وتقنية عالية بتحليل هذه المعلومات وبعد تحليلها ودراستها اكتشفت لعبة إسرائيل، ومع هذا أخفتها عن جمال عبد الناصر، وشاركت فى المؤامرة وقد كان الهدف الحقيقى هو ضرب مصر وبلَعَ جمال عبد الناصر الطُعم، فبعد أن أرسل السوفيت المعلومات إليه لم يتردد فى إعلان حالة الطوارئ العامة وتحريك بعض القوات إلى سيناء، وبالفعل تم تكليف الفريق محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة آنذاك ـ- بإرسال طلب إلى الجنرال «ريكى» قائد قوات الطوارئ الدولية لكى يطلب منه سحب بعض قوات الطوارئ كى تتمكن بعض القوات المصرية من احتلال مواقع معينة على حدود سيناء مع إسرائيل.

لماذا حدث ما حدث بين المشير والرئيس عبد الناصر؟

- بعد الهزيمة ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا لم يتحدث فيه عن الضباط ودورهم، فذهب عدد كبير منهم إلى منزل المشير فى الجيزة ورغم رفض المشير حضورهم ومطالبته لهم بالعودة إلى مواقعهم العسكرية، فإنه فى اليوم التالى أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بتعيين الفريق محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة خلفا للمشير عامر وكان ذلك فى 11 من يونيو، ولكن هذا القرار رفضه الضباط لدرجة كادت تصل إلى طرد الفريق فوزى، وذهبوا إلى منزل المشير فلم يجدوه، فذهبوا إلى منزل الرئيس جمال عبد الناصر وهناك قابلهم الليثى ناصف قائد قوات الحرس الجمهورى، الذي رفض دخولهم فانصرفوا، وبعد ساعات تمت إحالتهم إلى الاستيداع وتطورات الأحداث سريعا وسافر المشير إلى بلدته «أسطال» فى محافظة المنيا بعد مقابلة عاصفة بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر.

متى كان آخر اتصال هاتفى بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر قبل حدوث هزيمة 67؟

- آخر اتصال تلقاه المشير من الرئيس جمال عبد الناصر كان يوم 4 يونيو، حيث كان مقررا أن يسافر المشير إلى الجبهة من أجل تهدئة القادة العسكريين الغاضبين من القرار الذي يرى أن خطة الحرب فى مواجهة إسرائيل تعتمد على انتظار الضربة الأولى من إسرائيل، ثم تبدأ القوات المصرية بعد ذلك الرد على الهجوم الإسرائيلى، ولهذا طلب الرئيس عبد الناصر من المشير السفر إلى الجبهة لقاء القادة وتهدئة الموقف، وهنا أذكر بالنص ما قاله لى الفريق صدقى محمود قائد سلاح الطيران فى 67 عندما زرته فى منزله بحى مصر الجديدة فقال: انتظرنا يوم السفر إلى المطار ولكن المشير لم يحضر، وبعد ذلك جاءت مكالمة من مكتب المشير تفيد بأن الرحلة تأجلت لليوم التالي، ولذلك كان على المشير أن ينام مبكرا ليلة الخامس من يونيو حتى يستيقظ مبكرا أيضا، حيث إقلاع الطائرة مع أول ضوء، وأثناء خلود المشير للنوم اتصل به الرئيس جمال عبد الناصر يطلب منه تأجيل الإقلاع إلى ما بعد السابعة والنصف صباحا حتى ترافقه طائرة أخرى تقل حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووفد عربى، وبالفعل أقلعت طائرتا المشير والشافعى وبدأت الحرب وهما فى الجو.

ما تفسيرك لهذه الواقعة؟

- ليس لدى تفسير، ولكن كل ما أقوله هو أن الرئيس عبد الناصر اتصل بالمشير ليلة النكسة، حيث كان المشير ينام فى منزله وليس فى أي مكان آخر كما أشاع البعض.

لماذا حدث ما حدث بين الصديقين جمال عبد الناصر وعبدالحكيم عامر بعد الهزيمة؟

- ما حدث بين الصديقين كان سببه أن جمال عبد الناصر أخل بالاتفاق الذي تم بينه وبين عبدالحكيم عامر بعد الهزيمة مباشرة.

ما الذي أخل به الرئيس عبد الناصر من وجهة نظرك؟

- ليس من وجهة نظرى أنا، وإنما من وجهة نظر المشير عامر، فالذي حدث أن عبد الناصر وعامر اتفقا بعد الهزيمة وتحديدا فى ليلة الثامن من يونيو بعد صدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، وفى حضور شمس بدران وزير الحربية على ضرورة ترك الثلاثة لجميع مناصبهم، واختيار وجه جديد يتولى رئاسة مصر، ومن شروط اختياره أن تكون لديه القدرة على التفاهم مع الغرب، واقترح عامر أن يرأس البلاد زكريا محيى الدين رغم عدم علاقة الود

التي كانت سائدة بينهما، ولكن الرئيس عبد الناصر اعترض على زكريا وقال: زكريا وجه غير مقبول، وأنا لا أوافق عليه ورشح بدلا منه شمس بدران، ولكن المشير اعترض على شمس بدران لنفس أسباب اعتراض الرئيس على زكريا وأضاف عليها سببا أهم هو أن شمس كان وزيرا للحربية فى هزيمة الخامس من يونيو، وبعد مناقشات اتفق الثلاثة على اسم زكريا محيى الدين بديلا لعبد الناصر وفى الاجتماع أيضا طلب المشير الإفراج عن الضباط المسجونين بالسجن الحربي، كما اتفقوا على أن يُذاع مع خطاب التنحى استقالة عبد الحكيم وشمس بدران.

ما الذي تذكرينه عن تفاصيل الساعات الأخيرة فى حياة المشير؟

- فى هذه الفترة زادت الشائعات التي تتحدث عن محاولات المشير المتكررة فى الانتحار، وأحس المشير بقرب نية قتله، وقالها لجميع من كانوا حوله وأنا كنت قد سمعت هذه المخاوف منه بل كتب ورقة قال فيها «إذا مت أو حدث لى شيء فإن فلانًا هو الذي قتلنى» وأعطاها لابن أخيه أمين عامر وتم إعطاء هذه الورقة لابنته نجيبة وعندما شاهدها صديق المشير الدكتور إبراهيم الوكيل قال لهم أنتم تحملون قنبلة وأخفتها ابنة المشير فى طيات ملابسها الداخلية، وهذا كل ما أعرفه عن هذه الوثيقة والشهود على قيد الحياة

- لماذا ترفضين وعلى الدوام نظرية انتحار المشير؟

- لأنه لم ينتحر بالفعل، وهذا ثابت من التقارير الرسمية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحمد حمروش

تعددت المناصب والمواقع القيادية التي شغلها الكاتب والسياسى أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، إلا أنه لم يشتبك فى خلافات أو يتمادى فى الحوارات الجانبية، واحتفظ بمكانته وشخصيته الهادئة، صوته يأتى فى التليفون ودودًا، تشعر أنه قريب منك، حتى لو كانت المكالمة الأولى بينك وبينه.. يحترم المواعيد مثل كل أبناء جيله ويفضل دوما أن تكون قبل التاسعة صباحًا إن كان متاحًا.

ترأس أحمد حمروش تحرير مجلة «التحرير» والتي كانت أول مجلة لحركة الجيش عام 1952، ثم ترأس كلا من صحف «الهدف»و «الكتائب»و «روزاليوسف»إضافة إلى امتلاكه عشرات المؤلفات والكتب فى السياسة والقصة والمسرح والرحلات، وعمل بالصحافة فى جريدة الجمهورية عام 1956. هو صاحب كتاب «ثورة يوليو وعقلية مصر» الذي أوضح أن كل الأعمال العظيمة لا يظهر مقدار عظمتها إلا بعد أن تدور عجلتها ويفصل

التاريخ فى أمرها، فحركة 23 يوليو، بدأت فى صورة انقلاب عسكرى ولكنها كانت تتطور كل ساعة، بل كل دقيقة، حتى وصلت خلال ثلاثة أيام فقط إلى صورة كاملة بكل ما تعنيه الثورة من أبعاد.

عمل كاتبًا بعد أن ترك القوات المسلحة عام 1955، ثم انتقل إلى الصحافة كاتبًا بجريدة الجمهورية وعين مديرًا للمسرح القومى عام 1956 ومديرًا لمؤسسة المسرح والموسيقى عام 1961، واختير سكرتيرًا عامًا للجنة المصرية للتضامن الأفريقى الأسيوى وانتُخِبَ رئيسًا للجنة المصرية للتضامن عام 1984، أصدر 25 كتابًا فى السياسة والفن والأدب.

تأثر بشدة بعد رحيل نجله الدكتور علاء حمروش وأتذكر فى المرة الوحيدة التي زرته فى منزله بالزمالك لإجراء حوار معه نشر فى جريدة الاتحاد الإماراتية يوم 19 ديسمبر 2001، أنه كان مشغولا إلى أبعد حد بتربية حفيده بعد رحيل الابن علاء، وتأكدت فى حينه أنه يمر بلحظة إنسانية مؤثرة، فهو يتألم من داخله على فراق الابن الغالى والسند فى الدنيا، وفى الوقت نفسه مهموم إلى أبعد حد بمستقبل الحفيد الذي يلامس سنوات المراهقة ويحتاج المتابعة والرعاية، كان يكرر أن كل إنسان فى الدنيا يحدد بشكل كبير نمط حياته وأن أصعب المواقف ربما تكون هى الدافع القوى فى التغيير إلى الأفضل والتحول من حال إلى حال ويستشهد على ذلك بواقعة مر بها فى بداية سنوات عمره وبعد تخرجه فى الكلية الحربية فيقول: تعرضت لكسر فى ساقى تطلب العلاج أن أمكث فى البيت عامًا كاملًا، شعرت بالحزن والضيق وتسرب اليأس إلى نفسى لكن سرعان ما اهتديت إلى فكرة بعدها تغيرت حياتى واتخذت من التجربة الصعبة فرصة لتعلم اللغة الإنجليزية فى المعهد البريطانى وقد كان، واكتسبت اللغة وترجمت أعمالًا عن الإنجليزية واحترفت الكتابة وتقلدت رئاسة المسرح القومى ومؤسسة الموسيقى والغناء ورئاسة تحرير روزاليوسف ورئاسة اللجنة المصرية لتضامن الشعـوب الأفرى آسيوية.

تلك مجرد كلمات بسيطة من صفحة أحمد حمروش الخالدة لم تقترب من دوره فى الثورة أو علاقته بالحركة اليسارية أو الوساطة التي لعبها فى تاريخ مصر وجميعها مهام تستحق التوقف.

رحل يوم الجمعة 28 أكتوبر 2011 عن عمر يناهز 90 عامًا.

نشر الحوار تحت عنوان أحمد حمروش:بعت أرضى بعد وفاة ابنى لأنها لا تجد من يرعاها، وعبد الناصر أستاذى.. والسادات اتهمنى باللون الأحمر

وبمقدمة تعبر عنه جاءت عباراتها، الكاتب والسياسى أحمد حمروش رئيس اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الأفروأسيوية من أبرز الأسماء التي لعبت

أكثر من دور فى تاريخ مصر الحديث.. فهو من الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة 23 يوليو 1952، وهو كاتب صحفى مميز اعتاد القارئ العربى متابعة كتاباته وآرائه السياسية وهو المدير الأسبق للمسرح القومى المصرى، حيث خلف فى رئاسة هذا الصرح الفنى الكبير الفنان الأشهر يوسف وهبى.

ولم تكن تلك المناصب هى كل ما تقلده أحمد حمروش، فهناك مناصب أخرى عديدة منها رئاسة تحرير مجلة «روز اليوسف» والاتحاد المصرى لرياضة الكروكيه واللجنة المصرية للتضامن.

ورغم زخم المناصب التي تقلدها إلا أنه ظل دومًا محاطًا بالتقدير من الكثيرين، بل يكاد يكون من القلائل الذين نجوا من النقد الشخصى، ولم توجه إليه الاتهامات التي طالت الكثيرين بسبب المناصب الرفيعة التي شغلوها.

ما الذي تتذكره عن البدايات الأولى التي أثرت فى شخصيتك؟

- البداية الأولى التي كانت سببًا فى أن أكون شخصية ناجحة تعتمد على نفسها، أننى نشأت دون أن أرى والدى، لأنه توفى عندما كان عمرى عام ونصف العام، ولذا لم أشعر بالعلاقة التي تربط الأب بالابن طول عمرى، وكانت والدتى ترعانى، وكان زوج شقيقتى ولى أمرى، وأعتقد أن هذا الظرف الإنسانى له بالغ الأثر على شخصيتى من حيث الاعتماد على النفس والالتزام بالعادات والتقاليد، وهناك حادثة أخرى كان لها تأثير كبير فى شخصيتى هى واقعة فصلى من مدرسة التوفيقية الثانوية عام 1934 بسبب خروجى فى مظاهرات تطالب بعودة دستور 1923، رغم أننى كنت وقتها لا أعرف ما هو الدستور، وبسبب مشاركتى فى المظاهرات تم فصلى نهائيا ومعى 35 تلميذًا، ولم نعد إلى المدرسة إلا بعد مرور 40 يومًا ومع عودة دستور 1923 وكانت هذه بداية اهتمامى بالسياسة.

هل كنت مدركًا لأهمية دستور 1923؟

- لم أكن أعرف عنه شيئا، لكن بعد فصلى بدأت أفكر، وأسأل عنه وأدركت أيضًا أن الضغوط الشعبية والمظاهرات يمكن أن تؤدى إلى نتائج إيجابية، ومن يومها بدأت أمارس السياسة مثل أي شاب مهتم بها.

هل التحاقك بالكلية الحربية كان من أجل العمل بالسياسة؟

- التحاقى بالكلية الحربية كان قرار الأسرة، لأن خريج الجامعة فى ذلك الوقت كان راتبه الشهرى 8 جنيهات فى حال نجاحه فى العثور على فرصة عمل، وكان خريج الكلية الحربية راتبه 12 جنيهًا إضافة إلى العمل المضمون فور التخرج، ولهذا سعت أسرتى من أجل أن ألتحق بالكلية الحربية.

دخول الكلية الحربية هل كان متاحًا للجميع فى ذلك الوقت؟

- بعد معاهدة 1936 كان دخول الكلية الحربية متاحًا للجميع بسبب الاستعداد للحرب العالمية الثانية وزادت الدفعات، وتم قبول أعداد كبيرة من الطلبة بالكلية خاصة من أبناء الطبقة الوسطى، رغم أن المصاريف الدراسية كانت مرتفعة (60 جنيها) وكان هذا مبلغًا كبيرًا فى ذلك الوقت يعجز عن سداده الكثيرون.

من كان يسدد لك المصاريف؟

- أسرتى، لأن والدى ترك لنا قطعة أرض فى البحيرة التي ننتمى إليها، بالإضافة إلى معاش من عمله، وهذا الدخل كان مصدر الإنفاق على أسرتى المكونة من ثلاثة أبناء وبنتين.

ما ترتيبك بين أشقائك؟

- ترتيبى الثانى، شقيقى الأكبر هو محمد عبده، ووالدى سماه بهذا الاسم حبًا فى الإمام محمد عبده، أما أنا فاسمى الحقيقى الذي لا يعرفه إلا عدد قليل من الأصدقاء هو «أحمد أبو خطوة عبدالحميد حمروش»، وهذا هو اسم مفتى الديار المصرية فى ذلك الوقت، وكان والدى يحبه كثيرًا، أما اسم أخى الأصغر فهو محمود سعيد وسماه والدى بهذا الاسم على اسم معلمه فى المدرسة، وكان والدى يضع على حوائط بيتنا صورًا لثلاثة فقط هم الإمام محمد عبده وصورة له وصورة للشيخ حسن العطار وهو شيخ الأزهر الذي أوفد رفاعة الطهطاوى إلى فرنسا.

بعد تخرجك فى الكلية الحربية فى أي الأسلحة عملت؟

- التحقت بسلاح المدفعية، ومكثت فى القوات المسلحة قرابة 17 عامًا من عام 1939 حتى عام 1956.

ما الذي اكتسبته من عملك العسكرى؟

- الانضباط والالتزام والاهتمام بالآخر، وسعادتى تتحقق عندما أرى السعادة فى وجوه الآخرين، لأننى لا أرى الابتسامة إلا فى وجوه الآخرين، ولا أرى السعادة إلا فى سعادة الآخرين، ولا أرى الشقاء إلا فى شقاء الآخرين.

بعد الخروج من المؤسسة العسكرية أين اتجهت؟

- عملت بالصحافة وكنت قد بدأت العمل بالصحافة قبل خروجى من الجيش وكان السبب وراء ذلك السعى نحو تحسين دخلى، لأن مرتب الجيش كان محدودًا وهو 18 جنيهًا ولهذا فكرت فى عمل شريف لتحسين دخلى، فالتحقت بالمعهد البريطانى لدراسة اللغة الإنجليزية وبدأت الترجمة الصحفية وأول

موضوع ترجمته وكان عن الاستعمار البريطانى للهند ونشرت الموضوع فى مجلة «فصول» التي كان يرأس تحريرها الكاتب محمد زكى عبدالقادر.

تركت الجيش عام 1956 أي بعد قيام الثورة بحوالى 4 سنوات ما طبيعة علاقتك بالضباط الأحرار؟

- كنت أعمل بالسياسة قبل التحاقى بتنظيم الضباط الأحرار وكنت فى تنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، وكنت مسئولا عن قسم الجيش، وعلاقتى بالسياسة بدأت بالصدفة البحتة عندما أثار فضولى مشروع لتحديد الملكية الزراعية تقدم به عضو مجلس النواب فى ذلك الوقت محمد بك خطاب وطالب فيه ألا تزيد الملكية الزراعية على 50 فدانا، وهذا المشروع لفت نظرى وأرسلت له خطابًا يحمل بعض الاستفسارات عن تفاصيل المشروع، فطلب مقابلتى وذهبت إلى منزله وكان يسكن فى جاردن سيتى، وخلال الجلسة بدأ يتحدث عن موضوعات تحتاج للإجابة عنها إلى معلومات عامة، وللأسف لم تكن معلوماتى العامة جيدة، فلم أكن أعرف متى بدأت الثورة الفرنسية ومن هو بالتحديد لينين، فاستدعى ابنه وكانت معلوماته جيدة، ومن يومها قطعت على نفسى عهدًا بضرورة الاطلاع والقراءة.

كيف بدأت علاقتك بتنظيم الضباط الأحرار؟

- كنت مسئولا عن قسم الجيش فى تنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وكان التنظيم يضم ضباطًا وصف ضباط، وفى أحد الأيام أبلغنا خالد محيى الدين أن هناك تشكيلًا آخر فى الجيش اسمه الضباط الأحرار وتم انتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا له، فكان لابد لنا من علاقة مع هذا التنظيم.

هل كنت تعرف جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت؟

- كنت أعرفه من خلال عمله كمدرس فى مدرسة الشئون الإدارية، خاصة أننى حصلت على فرقة شئون إدارية وقام بالتدريس لى.

ومتى انضممت إلى تنظيم الضباط الأحرار؟

- بعد مقابلة خالد محيى الدين أرسلنا زميلنا أحمد فؤاد وكان المسئول الثقافى فى الحركة إلى تنظيم الضباط الأحرار لإقامة العلاقة معهم وأصبح صديقًا لجمال عبد الناصر وبدأ من هنا الربط بين قسم الجيش فى الحركة وبين الضباط الأحرار دون أن يعرف أحد من الضباط أسماء أعضاء التنظيم حتى لا يتم القبض علينا، لأنه من الخطر أن يكون من بين الضباط يساريون.

أين كنت ليلة ثورة 23 يوليو 1952؟

- ليلة الثورة كنت فى الإسكندرية وقبل الثورة بيومين حضر إلى الإسكندرية شوقى شقيق جمال عبد الناصر، وقال لى إن جمال يريدك فى القاهرة، وكان ذلك يوم 20 يوليو وبسبب بعض المشاغل لم أتمكن من السفر إلى القاهرة إلا يوم 22، ووصلت إلى منزل جمال عبد الناصر فى حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ولم أجده وانتظرته أمام باب البيت، وبعد فترة حضر داخل سيارة صغيرة ومعه كمال الدين حسين وصلاح نصر واللواء أحمد شوقى، وسمعت فى ذلك الوقت أكبر كلمات سمعتها فى حياتى من جمال عبد الناصر وهى سنقوم بثورة، والظروف هى التي أجبرتنا على تقديم موعدها لأن المعلومات تسربت إلى الملك، والآن لديه فكرة بالتنظيم، ونخشى الانتظار، ولهذا لابد من القيام بالثورة بسرعة وطلب منى أن أتحمل مسئولية عدم تحرك الوحدات العسكرية فى الإسكندرية حتى لا يحدث صدام بينها وبين قوات الملك، وفضل جمال عبد الناصر أن تكون الإسكندرية هادئة فى الوقت الذي تتحرك فيه القوات فى القاهرة، وسافرت ثانية إلى الإسكندرية وذهبت إلى المعسكر، وكان قائد المعسكر جمال سلطان ـ الشقيق الأكبر لفؤاد سلطان وزير السياحة المصرى الأسبق ـ وسألنى لماذا سافرت إلى القاهرة؟ فقلت له لا شىء وظللت أنتظر لحظة قيام الثورة إلى أن أعلن البيان الأول عن قيام ثورة 23 يوليو ونجحت الثورة، واتصل بى عبد الناصر واللواء محمد نجيب وطلبا منى القبض على حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود ومنعه من السفر إلى ليبيا وأخبرانى بأنهما بصدد إرسال قوات إلى الإسكندرية لتثبيت الوضع هناك.

بعد الثورة فكرت فى ممارسة هوايتى القديمة، فاقترحت على جمال عبد الناصر إصدار مجلة تكون لسان الثورة ووافق يوم 1 سبتمبر 1952 والمجلة صدرت يوم 16 سبتمبر فى زمن قياسى، وكان اسمها «التحرير» وكان يعمل معى بها عبدالمنعم الصاوى وعبدالرحمن الشرقاوى وسعد لبيب وعبدالغنى أبوالعينين وكنت أنا رئيس تحريرها إلى أن فوجئت فى أحد الأيام بخبر إقالتي من رئاسة تحريرها وتعيين ثروت عكاشة بدلا منى وعرفت أن البعض شكا من توجهات المجلة.

أين ذهبت بعد ذلك؟

- بقيت ضابطًا فى الجيش حتى نهاية فترة الانتقال وعملت فى إدارة التعبئة وأصدرت مجلة اسمها «الهدف» كان يكتبها الدكتور حسين فوزى.

وماذا عملت بعد تركك المؤسسة العسكرية؟

- بعد خروجى من المؤسسة العسكرية، عملت فى مؤسسة دار التحرير الصحفية وبعدها تم تعيينى مديرًا للفرقة المصرية للتمثيل والمسرح وكان

ذلك قبل أيام من العدوان الثلاثى على مصر، والذي اختارنى هو الكاتب يحيى حقى وكان يشغل منصب مدير مصلحة الفنون، وجاء خبر تعيينى فى هذا المنصب بلا مقدمات وتوليت المهمة بعد الفنان يوسف وهبى وكانت الفرقة فى أزمة ومهددة بالتوقف، وحرصًا عليها تم اختيارى، وأول عمل فكرت فيه هو زيارة المدير الذي قبلى وذهبت إلى الفنان يوسف وهبى وقضيت معه ليلة كاملة وعرفت منه كل التفاصيل عن الفرقة.

هل وجدت لديه بعض الحساسية من تعينك؟

- كان مُرحبًا جدًا ويبدو أنه كان متعبًا من بعض الصراعات بالفرقة وقدم لى نصائحه وشجعنى ونصحنى بضرورة قبول المهمة.

كيف تعاملت مع الوسط الفنى؟

- كانت مهمة صعبة وتمثل نوعًا من التحدى ولكن التوقيت خدمنى لأن العدوان الثلاثى كان قد بدأ ولهذا أوقفت مسرحية «إيزيس» للكاتب توفيق الحكيم وفكرت فى أن أجعل للمسرح دورًا فى مقاومة العدوان وقدمت مسرحيات «دنشواى» و«كفاح الشعب» وتم إعدادها بسرعة وفتحت أبواب المسرح مجانًا أمام الجمهور، وكان موعد الحفلات من الساعة الثانية ظهرًا حتى الساعة الخامسة مساءً بسبب الظلام التام الذي كان يُخيّم على العاصمة المصرية، وبدأ الأمر فى كل حفلة كما لو كان مظاهرة من الناس، لدرجة أن الكاتب يوسف إدريس كان يتجول بين الناس ويتأمل وجودهم وحماسهم.

كم عامًا قضيتها فى المسرح القومى؟

- عملت مديرًا للمسرح القومى المصرى 5 سنوات وبعدها انتقلت إلى مؤسسة فنون المسرح والموسيقى وحتى اختيار الرئيس جمال عبد الناصر لى رئيسًا لتحرير مجلة روز اليوسف.

ما إضافتك إلى مجلة روز اليوسف؟

- المجلة منذ بدايتها مجلة وطنية وكنت حريصًا على أن تظل هكذا، وتكون مسرحًا لكل الآراء، ونشر بها موضوعات جعلتها بحق المعارضة الحقيقية فى الصحافة المصرية فى ذلك الوقت، وأذكر أن الرئيس عبد الناصر كان يتابعها والدليل على ذلك واقعة حدثت فى اجتماع عام بعد نشر المجلة تحقيقًا صحفيا بعنوان «جفت آبار الوادى الجديد» وبعد النشر أرسل عبد الناصر طائرة خاصة على متنها 12 وزيرًا و8 من أمانة الاتحاد الاشتراكى للتعرف على حقيقة الموضوع وبالفعل تأكد مما نشر بالمجلة ولهذا أوقف الصرف على المشروع ونشرنا تحقيقات عن تزوير ميزانية القطاع العام، وكان يعقد

فى الإسكندرية مؤتمر للمبعوثين وقال أحد الحاضرين للرئيس لا توجد حرية صحافة فى مصر فرد عبد الناصر قائلا له «مجلة روز اليوسف» تكتب موضوعات أنا غير موافق عليها، ولكن لا أستطيع عمل أي شىء سوى التحقق من الموضوعات، وهذا يدلل على أن المجلة كانت تكتب موضوعات كلها نقد ومعارضة.

ولكن هل تركت رئاسة التحرير فى عهد الرئيس عبد الناصر؟

- تركت رئاسة تحرير روز اليوسف فى عهد السادات وجاء قرار إقالتي ضمن عدد كبير من الصحفيين فى فبراير 1972 وعدنا إلى العمل بعد ذلك.

ما طبيعة علاقتك بالسادات؟

- علاقتى به بدأت منذ العمل فى مجلة «التحرير» وأذكر أنه حضر إلىَّ فى أحد الأيام وقال لى «المجلة حمرا قوى»، فقلت له: بالعكس هى زرقاء، وطلبت غلاف المجلة وكان الموضوع الرئيسى هو حددنا الملكية من أجل رفاهية الإنسان، والموضوع الثانى نحتمى بالدستور وبعد ذلك عملت معه فى صحيفة «الجمهورية» وكان السادات رئيسًا لمجلس إدارتها.

متى بدأت علاقتك باللجنة المصرية للتضامن؟

- انضممت إلى هذه اللجنة عام 1979 والذي شجعنى على ذلك الراحل عبدالرحمن الشرقاوى الذي ترأس المنظمة بعد استشهاد يوسف السباعى فى قبرص.

بعد كل هذه السنوات من العمل ما ملامح ثروتك؟

- لا أملك سوى بضعة أفدنة تركها والدى فى بلدى بالبحيرة وبعد وفاة نجلى الدكتور علاء اضطررت إلى بيعها لأنه كان أكثر حرصًا منى على متابعتها.

ما الذي تركته لأولادك؟

- أولادى غير محتاجين لى ولكن أهم شىء تركته لهم هو الاعتماد على النفس وطوال عمرى لم أفكر فى الجرى وراء الفلوس، وأنا لست ضد أن يعمل الإنسان ويجد، ولكن ضد الإسراف فى السعى وراء طلب المال.

متى تبكى؟

- أنا سريع البكاء، وقد أسمع أغنية فتبكينى ومن الممكن أن أبكى بسبب ظرف تعرض له شخص ولكن بكيت كثيرا عندما رحل ابنى الدكتور علاء عن الدنيا ومات وهو فى سن الشباب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

زوجة خالد محيى الدين

هذا الحوار قصة فى حد ذاته، أحتفظُ برقم تليفون منزل السيد خالد محيى الدين منذ سنوات وأتذكر أننى اتصلت على الرقم نهاية عام 2010 لترتيب حوار معه وأنا لا أعرف أن السيد خالد محيى الدين فى وضع صحى غير مستقر وجاء صوته مرحبا، ثم أكملت المكالمة زوجته السيدة سميرة سليم وقالت هو بخير لكنه لا يستطيع إجراء حوار، تمنيت له الشفاء وأغلقت الهاتف.

عاش فى شقته المطلة على نادى الجزيرة بالزمالك وهو يعارك الحياة وتصارعه، باحثا عن المدينة الفاضلة وعلى الرغم من أنه سليل عائلة إقطاعية تمتلك حيازات شاسعة من الأراضى الزراعية إلا أنه كان مولعا بالفكر الاشتراكى وأسس منبر اليسار المصرى وحزب التجمع الذي يرفع لواء الاشتراكية.

خالد مُحيى الدين من مواليد 17 أغسطس 1922 أحد الضباط الأحرار، وهو مؤسس حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى حتى اعتزاله العمل العام تزوج قبل الثورة من ابنة خالته سميرة سليم سليمان وأنجبا أمين وسميحة.

ارتبط بصداقات مهمة مع رموز مصر فى كل الحقب الزمنية يستند فى ذلك إلى شخصية مستقلة تؤمن بالمشروع ولا تسعى إلى الصدامات.

فى شهادته التي صدرت فى كتاب بعنوان «الآن أتكلم» يكشف وتحدث عن جمال عبد الناصر وأنور السادات ومحمد نجيب وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق بكل الصدق وعدم المحاباة وقدم وثيقة مهمة للمكتبة العربية هى «مذكرات خالد محيى الدين» و«الآن أتكلم» والتي أصدرها مركز الأهرام للترجمة والنشر فى عام 1992.

فى كتابه الآن أتكلم يتحدث عن جمال عبد الناصر فيقول منذ اللحظة الأولى أحسست انه شخصية قيادية، وحتى ونحن شبان صغار كان يفرض على الجميع وضعه القيادى وكان رجلا بعيد النظر لا يخطو خطوة إلا بعد حساب دقيق

كان عبد الناصر قارئا ممتازًا سواء قبل الثورة أو بعدها وحتى بعد أن أصبح حاكما متعدد المسئوليات وكان هناك جهاز خاص مهمته أن يلخص له الكتب المهمة وأن يترجم له العديد من الكتب والمجلات والصحف وكان عبد الناصر مستمعا جيدا وكانت علاقته بى حميمة دوما، فأنا تعاملت معه منذ البداية بوضوح وصراحة وإخلاص وكان يقدر ذلك دوما وعندما بدأت خلافاتنا فى مجلس قيادة الثورة طلبت أكثر من مرة أن أستقيل، لكنه قاوم ذلك بشدة

ودافع عنى أكثر من مرة وكان دائم الإلحاح على أعضاء مجلس الثورة أن يفرقوا بين موقفى وموقف محمد نجيب.

وعن عبد الحكيم عامر، قال خالد محيى الدين هو صديق قديم وعزيز أيضا ولعل الخطأ الأول فى حق عامر هو أنه عُينَ قائدا للجيش وقال لقد فعلها عبد الناصر، لأنهما كان صديقين حميمين فأراد أن يضمن به ولاء، لكن عامر لم يكن رجلا من هذا النوع، هو عمدة، طيب القلب ويحب أن يقيم علاقات حسنة مع الناس وأن يتباسط معهم وهو لا يهتم كثيرا بالضبط والربط، فحياته نفسها لم تكن منظمة فقد كان يسهر كثيرا و يصحو متأخرا. لقد ظلموه عندما عينوه قائدا للجيش فهو شخص جماهيرى

ووصف صلاح سالم بأنه صاحب شخصية ذكية ذكاء فطريا عاطفيًا إلى درجة كبيرة وكان تقلبه العاطفى يقوده إلى تقلب سياسى، فبعد أن فشلت جهوده فى السودان من أجل الوحدة وبعد أن أستقل السودان، قرأ كتابا للينين عن المسألة الوطنية وتأثر جدا بهذا الكتاب إلى درجة أنه قال لى ربما أصبح شيوعيا.

وعن يوسف صديق قال أنه صاحب الدور البارز ليلة الثورة

ويصف ابن عمه زكريا محيى الدين بأنه رجل لا يجامل وتصادم مع بد الناصر بعد أن أصبح رئيسا للوزراء لأنه كان من أنصار مشروعات القطاع الخاص والاستقلالية.

وعن الرئيس أنور السادات، فقد وصفه بأنه أكثرنا خبرة بالعمل السياسى وكان يعرف كيف يكون له وضع خاص، فعندما أُعِدَّ البيان الأول للثورة وفشل أحد الضباط فى تلاوته فى الإذاعة، تقدم السادات فى اللحظة المناسبة ليقوم بتلاوته، ليكتسب بتلك ميزة أنه هو الذي أعلن قيام الثورة ولم يختلف أبدا مع عبد الناصر ولهذا صمد طويلا مع عبد الناصر، وحتى صار خليفته رغم أنه لم يكن أبدًا الأقرب أو الأهم.

مرت السنوات ولا أدرى لماذا تذكرته بشكل ملح يوم الأربعاء 18 أبريل 2018 بدون مقدمات أو بسبب خبر صحفى منشور عنه، كل ما فعلته هو أننى تصفحت مفكرة الأرقام العتيقة التي احتفظ بها وطلبت المنزل، جاء على الطرف الآخر صوت لسيدة وقلت لها أنا صحفى من الأهرام وأريد الاطمئنان على صحة السيد خالد محى الدين، قالت بخير وطلبت الانتظار لإحضار السكرتير الخاص له والذي يرافقه منذ أكثر من ربع قرن، وقال: الأستاذ خالد بخير وهو يعيش نفس الحالة منذ عام 2011 لم يخرج من البيت يرقد على سرير المرض ونرعاه ونفهمه ويفهمنا بدون كلام، وأكمل يمكن أن تتصل بابنه أمين بك وأعطانى رقم التليفون الخاص به.

اتصلت بالمهندس أمين وهو مهندس زراعى والابن الأكبر، وقال إن والده منذ 8 سنوات يلازم الفراش، و كان طوال حياته شخصية مستقيمة يؤدى الصلوات ويصوم رمضان وأدى مناسك الحج مرتين وعلمنا أشياء كثيرة، من بينها أهمية القراءة والثقافة ولم يتدخل فى اختياراتنا بما فيها التوجهات السياسية، وفى النهاية قال نحن الآن نتابعه وندعو له ووالدتى تتفرغ تماما لرعايته، وقال والدى زعيم اليسار شخصية مستقيمة، وهو أب يهتم على الرغم من مسئولياته، والأم هى التي تتولى المسئولية فى التربية.

وكشف عن أنه بشوش ضاحك طوال الوقت وبعد عودته من المنفى تحسنت العلاقة بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر وأسس جريدة المساء وبعدها تولى جريدة أخبار اليوم.

وقال أن الميراث الذي ورثه من والده هو ثروتنا، مشيرا إلى أنه لم يكتب وصية لكن المبادئ العامة التي يؤمن بها معروفة لنا وهى العدالة والحرية وكان حزب التجمع يمثل أهمية قصوى له.

فى مساء نفس اليوم اتصلت ثانية بالمنزل، وطلبت أن أتحدث مع الزوجة، كان لديها فكرة مسبقة من الابن المهندس أمين وتحدثت عنه بطريقة تتجاوز مشاعر الحب التي تملؤها إلى درجة عالية من درجات التقدير ودللت على ذلك بأنها لم تخرج من الشقة منذ عام 2011 ارتباطا به.

أجريت الحوار معها ونشر يوم 22 أبريل 2018 وكان مفاجأة للكثيرين بأن خالد محى الدين مازال على قيد الحياة وقال الكاتب الصحفى صلاح منتصر فى مقاله اليومى «مجرد رأى» بالأهرام لولا الحديث الذي أجراه محرر الأهرام ماهر مقلد يوم 22 أبريل مع السيدة سميرة سليم رفيقة خالد محيى الدين لفترة 69 سنة زواج، لما تذكرنا أن الشاب الوسيم صاغ الفرسان مواليد أغسطس 1922 مازال حيا، وأنه منذ عام 2011 وهو يمضى وقته ملازما بيته يفتح أذنيه على قرآن الصباح، وتمسك زوجته بيده معظم ساعات النهار يتبادلان الحنان والحب دون كلام.

وكتب الدكتور وحيد عبد المجيد فى مقاله اليومى بالأهرام «اجتهادات» يوم 28 أبريل 2018 رجل قوى يحترم غيره. هكذا وصفت السيدة سميرة سليم زوجها السيد خالد محيى الدين فى حوار رائع أجراه معها الزميل ماهر مقلد، ونشرته «الأهرام».

جزء من المقال

استمد خالد محيى الدين قوته من احترامه لنفسه وشموخه ونبل مقاصده التي عمل من أجلها منذ أن شارك فى قيادة تنظيم «الضباط الأحرار» فى

لحظة كانت عوامل التغيير تتفاعل فى قلب المجتمع المصرى فى أواخر أربعينيات القرن الماضى.

كان أحد أبرز من قادوا هذا التغيير فى يوليو 1952، ومن أوائل الذين ابتعدوا عندما وجد أنه يمضى فى اتجاه غير ما كان يحلم به، أو يأمل فيه. فضلّ مغادرة مصر فيما يشبه المنفى الاختيارى لسنوات، وهو الذي كان فى وسعه أن يحظى بنفوذ واسع

روى قصة خلافه مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأغلبية أعضاء قيادة مجلس الثورة أكثر من مرة. وتضمن كتابه الصادر عام 1992 (والآن أتكلم) قبساً من تلك القصة. يرى البعض أنه صمت طويلاً. ولكنه لم يصمت هرباً أو خوفاً، بل حرصاً على المصلحة الوطنية فى مرحلة صعبة خاضت خلالها مصر معارك كبيرة فى المنطقة والعالم.

كما رفض أن يتكلم فى الوقت الذي فتح صامتون آخرون، مثل عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم، نار غضبهم على عبد الناصر فى موسم النيل منه في السبعينيات. وعندما قرر أن يتكلم كان صادقاً ومنصفاً كعهده، وموضوعياً فى منهجه.

لقد قدم الفارس النبيل، أقصى ما فى استطاعته من أجل تحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. فتحية للزميل ماهر مقلد على هذا الحوار الذي رسم من خلاله صورة قلميه بديعة تجمع بين حالته الصحية وقبسات من تاريخه المضيء.

يومها حمل عنوان الحوار معها عبارة زوجة خالد محيى الدين: أمسك يده لساعات كل يوم وهو نائم ربما يحس قلبه

وسطرت كلمات المقدمة، غابت أخبار خالد محيى الدين زعيم اليسار المصرى ومؤسس حزب التجمع عن الإعلام. اسمه لم يعد يتردد على الرغم من أنه ما زال على قيد الحياة. يعيش على سرير المرض فى شقته بحى الزمالك أمام نادى الجزيرة تحت رعاية أسرية وطبية فائقة.

خالد محيى الدين أحد أعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو 1952 وصاحب التاريخ الطويل فى العمل السياسى والإعلامي، كان وما يزال اسما لامعا ترك بصمات فى تاريخ مصر الحديث. من مواليد شهر أغسطس عام 1922 وتخرج فى الكلية الحربية عام 1940، وأصدر مركز الأهرام للترجمة والنشر مذكراته فى عام 1992 بعنوان «والآن أتكلم»، تحدث فيها عن ثورة يوليو وحركة الضباط الأحرار فى مصر كما عايشها كرجل مؤثر فى أحداثها الفارقة.

فى حوارها تكشف السيدة سميرة سليم زوجة خالد محيى الدين تفاصيل عن حياته وكيف يعيش وهو فى سن الثامنة والتسعين؟ وذكرياتهما مع الرئيسين جمال عبد الناصر وأنور السادات، والمنفى فى سويسرا.

اعتذرت عن عدم نشر صورتها، وقالت يكفى صورة خالد حتى يراه الناس، كما قالت أتمنى أن تبقى صورته كما كانت فى ذهن الجميع. رجل قوى يحترم غيره. وكشفت أن أهم الصور التاريخية التي جمعها صديق عمره الدكتور رفعت السعيد اختفت بعد وفاة الأخير.

وتقول كان يقضى ساعات يومه دون كلام أو حديث لكنه يستمع إلى آيات القرآن الكريم بصوت القارئ المفضل له الدكتور أحمد نعينع، ويظل صوت القرآن فى المكان لساعات طويلة ويصلى الصلوات خلف الممرض (ممدوح) الذي يؤمه فى الصلاة وهو راقد على سرير المرض، ويستمع إلى صوت أم كلثوم، وتشاركه الممرضة التي كانت ترعاه حب هذا الصوت.

وكشفت أن نظامه الغذائى المتبع كان الاعتماد على الخضروات وطبق السلطة ويرفض تماما أن يتناول المعلبات الجاهزة تحت أي ظرف. وعلى الرغم من عدم قدرته على الكلام والتعبير، إلا أن الجميع يعرف أنه لا يقبل أي طعام من المعلبات، لكنه منذ عام تقريبا لم يعد قادرا على الأكل بطريقة عادية والبديل كان وضع الخضروات فى الخلاط وطحن الحبوب من الأدوية.

وتقول إن ساعات نومه كانت غير منضبطة فهو فى أحيان يخلد إلى النوم مبكرا وفى ليال أخرى يظل مستيقظا. يداعبه مرافقه شريف ياسين بذكريات من الماضي. يبتسم كما لو كان يقول إنه راض تماما عما يتذكر ويتردد على زيارته فى البيت الابن المهندس الزراعى أمين والابنة السيدة سميحة والتي كانت تشغل منصب وزير مفوض فى جامعة الدول العربية وتسكن فى نفس الحى بالزمالك، كما كان يتردد على زيارته بالطبع الأحفاد وإخوته البنات للاطمئنان عليه.

جاءت صيغة السؤال الأول، لماذا غابت أخبار السيد خالد محيى الدين خلال السنوات الماضية؟

- لأنه كان يمر منذ عام 2011 بظروف صحية بسبب السن وأمراض الشيخوخة

من كان يرعاه طبيا؟

فى البيت كان يقيم معنا مرافقون، نعتبرهم من العائلة يحبونه ويتعاملون معه بروح الأب و كانت كل الرعاية الطبية تقدم له

كيف كانت تتواصل المشاعر؟

أكثر من نصف ساعات اليوم كنت أجلس إلى جواره فى سرير المرض، وهو نائم لا يشعر بوجودي، وأمسك بيديه إيمانا منى بأنه يحس بكل هذه المشاعر فى قلبه وهذا أقل شىء معنوى أقدمه له.

هل قرأتِ مذكراته.. «والآن أتكلم» الصادرة عام 1992 عن مركز الأهرام للترجمة والنشر؟

-أعترف وقت صدورها لم أقرأها لكن وللغرابة وبعد أن أصبحت غير قادرة على القراءة بسبب متاعب النظر بدأت فى قراءتها عن طريق المرافقة التي تعاونني، فهى تقرأ لى والمفاجأة أنى مستمتعة بدرجة تفوق الوصف من الكتاب.

مالذي جذبك فى الكتاب؟

-أكثر شيء شدنى الصدق والتجربة الثرية واستعادة مشاهد التاريخ التي كنت حاضرة وتأثرت كثيرا بكلمات الإهداء التي كتبها لى «إلى زوجتى التي تقاسمت معى بكل رضاء وصبر مصاعب الحياة تلك التي فرضها الآخرون علينا وتلك التي نفرضها على أنفسنا وفاء لحق الشعب والوطن»

بعيدا عن الإهداء؟

- عندما يتحدث عن طفولته فى كفر شكر يقول حتى صوت الآذان فى طفولتى كان هادئا.. وديعا وكأنه دعوة حانية للقاء حميم.

من يهتم من أولاده أو الأحفاد بحزب التجمع؟

- لا أحد.. العلاقة مع التجمع انتهت مع تركه المسئولية والأولاد والأحفاد ليست لهم علاقة بالحزب. لا يوجد أحد من عائلة خالد محيى الدين فى حزب التجمع كل شيء انتهى بخروج الجد

هل عرف بوفاة الدكتور رفعت السعيد؟

- لم يعرف كما لا يعرف بوفاة شقيقه أو ابن شقيقه.

هل يمكن القول إنه شخصية فى العلن كما هى فى السر؟

- هو كتاب مفتوح وكل من تقرب منه يعرف ذلك وكان كريما وما يملكه ليس ملكه وإنما لغيره ومهموما بالبسطاء.

هل جمع ثروة كبيرة فى رحلته؟

- نحن أبناء عائلات ورثنا عنها وهو كان له ميراث كبير.

ماذا عن دوره كزوج وأب؟

- فى البيت، شخص وديع يحكم البيت من غير ما تشعر، بالنسبة إلى أولاده كان مثاليا وبالنسبة لى أقول سعدت بكل لحظة قضيتها معه.

متى كان الزواج؟

- تزوجنا قبل ثورة 1952 بثلاث سنوات، وهو ابن خالتي.

ماذا عن فترة المنفى التي أبعده فيها الرئيس عبد الناصر؟

- فترة المنفى جاءت بعد أن كتب خالد استقالته لـ جمال عبد الناصر، يومها التقى عبد الناصر وعرض عليه الاستقالة ورد عليه «قبلت» «وأكمل «شوف يا خالد إحنا أصدقاء لكن المصلحة العامة حاجة تانية وأنت عارف أنك زى العسل، وسوف يتجمع حولك كل الذباب وتبقى مشكلة ونتصادم وأنا أفضل انك تسافر.. فقال أسافر إلى باريس فقال له لا باريس فيها حركة سياسية يسارية نشطة وسوف تدفعك للانغماس فيها وأنا أفضل أن تكون فى مكان هادئ» وهو سويسرا وبالفعل تسلم جواز سفر دبلوماسى وأمام المهنة كتبوا رئيس بعثة مجلس تنمية الإنتاج القومى وسافر إلى باريس أولا وحده ثم لحقنا به. وسافرت مع ابنى أمين وبوسى وعشنا هناك فى سويسرا.

هل صحيح أن الرئيس عبد الناصر استدعاه بطائرة من المنفى لحضور خطاب تأميم القناة؟

- لم يحدث، لكن خلال الإقامة فى سويسرا تعرضت لمتاعب صحية صعبة جدا فى الكلى ولم يفلح الأطباء هناك فى علاجى وكادت حالتي تسوء بدرجة لا يمكن وصفها وطلبت أن أعود لتلقى العلاج فى مصر وبعد مراسلات عن طريق السفارة والأجهزة فى مصر جاءت الموافقة عن طريق زوج شقيقته وهو شقيق زكريا محيى الدين، وكان الرد هو السماح لنا بالعودة إلى مصر لمدة شهر واحد. وقتها أتذكر أنى ترددت وخشيت أن يتم القبض عليه وبعد تفكير قررنا العودة مهما كلفنا الأمر وتم علاجى فى مصر وهذه شهادة لمصر.

من يصدق فشل الأطباء فى سويسرا فى علاجك؟

- هذا ما حدث معى وأنا المريضة وهى قصة حقيقية وهذه شهادة لمصر. فما حدث فى سويسرا هو عدم السيطرة على حالتي، ولم تفلح طرق العلاج، وكان علاجى على يد طبيب مصرى هو الدكتور مصطفى. أذكره بكل خير لكن اسمه الثانى نسيته للأسف.

معنى هذا أن الرئيس عبد الناصر لم يكن يرغب فى عودته؟

- الرئيس عبد الناصر كان يخطط لعودة خالد ولكنه كان يبحث عن مبرر يقوله للشعب يجيب به عن السؤال لماذا نفيته؟ وسبب عودته؟ وهذا استنتاج مني.

خلال العودة هل تم إبلاغكم بأي تعليمات؟

- كانت التعليمات عدم الإعلان عن عودة خالد محيى الدين وتكون الزيارة سرية وحتى العائلة لا يتم إخبارها.

هل حدث هذا؟

- المفاجأة أن يوم العودة فى الساعة السادسة والنصف طرق موزع صحف الصباح باب منزل أمي، وقال لها مبروك خالد رجع، والساعة 9 صباحا تلقينا تليفونا من زكريا محيى الدين والساعة 9.30 صباحا تلقينا تليفونا من الرئيس جمال عبد الناصر واستقبل خالد.

ما الذي قاله جمال عبد الناصر فى المكالمة؟

- قال حمدًا لله على السلامة وكانت مكالمة ودية جدا تعكس مدى الحب والاحترام.

علاقته بالرئيس السادات من وجهة نظرك؟

- علاقة متوترة والسادات لم يكن يحب خالد.

فى رأي الكثيرين الرئيس السادات كان يتمتع بالذكاء الكبير؟

- أعترف بأنه كان حادا فى الذكاء وبطريقة تخاف منها. وعلى الرغم من العلاقة المتوترة بينه وبين خالد، كنت أراه شخصية خفيفة الظل وعلى علاقة طيبة جدا مع حرمه السيدة جيهان السادات. ويكفى أنه يشهد لأنور السادات ودوره فقال فى كتابه «إن السادات كان على علاقة بيوسف رشاد، رجل الملك المخلص، ومع هذا لم يفش سرنا له كضباط الثورة ولو فعل لكان مصيرنا كلنا الإعدام. فقد كان السادات يعرف كل أعضاء لجنة القيادة ولو أبلغ لكان وجه مصر تغير تماما، لكنه لم يفعل. وليس دفاعا عنه فى واقعة مشاجرته فى السينما، فهذا مرتبط بخبرته السابقة، فقد حوكم أكثر من مرة وفصل من الجيش وأراد أن يُحصِّن موقعه لو فشلت الحركة، لكنه لم يتخلف، ثم تلا بيان الحركة فى الإذاعة.

ما الذي يميز السيدة جيهان السادات؟

-جيهان السادات كانت شخصية ذكية جدا وتحتفظ بعلاقات وطيدة مع كل الناس التي عرفتهم أثناء وبعد خروجها من الحكم وتحتفظ بالصداقات، عكس السيدة سوزان مبارك، وتركت فى نفسى أثرا كبيرا.

ما الذي فعلته معك؟

-كانت تعلم بالخلاف بين السادات وخالد ومع هذا تتصرف بطريقة طبيعية وكانت تفرق بين المواقف وعندما ترانى تترك الجميع وتأتى لمصافحتى بكل الود.

بمناسبة جيهان السادات ماذا عن السيدة تحية عبد الناصر؟

- كان بيننا تواصل على المستوى الشخصى وكنت أزورها بصفة شخصية لكن لم يحدث أن اجتمعنا كعائلة فى وجود الرئيس عبد الناصر وخالد محيى الدين. كنت أتعامل معها بشكل شخصى وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر كثفت من السؤال عنها، لأننى وجدت أن الكل يتعامل بطريقة فيها تجاهل وكررت زياراتى لها وزرتها فى المعمورة وكنت متعاطفة معها.

هل هناك تفسير لموقف سامى شرف من خالد محيى الدين؟

-لا أعرف السبب وخالد لم يذكره بأي شيء فى كتابه «والآن أتكلم» وحتى أكون دقيقة لم أنته بعد من قراءة الكتاب كاملا لكن أوشكت على النهاية ولم أجد ذكرا له.

بعد نشر الحوار بأسبوعين وبالتحديد يوم 6 مايو 2018 تُوفىَ خالد محيى الدين ونشرت فى الأهرام تقريرا جاء فيه «رحل المناضل الكبير خالد محيى الدين عن عمر يناهز 96 عاما بعد حياة حافلة بالعطاء والانجازات، ومن حسن الطالع أنه كتب شهادته عن عصره وعن حياته وعن رفقاء السلاح والثورة قبل رحيله بسنوات بشهادة الضمير والحق».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هانى النقراشى

المهندس هانى النقراشى نجل محمود فهمى النقراشى باشا رئيس وزراء مصر قبل ثورة يوليو 1952، شخصية مصرية تمتاز بالطيبة والبساطة ومهموم بمصر وتطورها، فهو عضو فى المجلس الاستشارى لرئيس الجمهورية ويعيش بين مصر وألمانيا وعندما يأتى لزيارة مصر يحرص على أن يرسل رسالة عبر خاصية الواتس آب للأصدقاء بموعد وصوله والفترة الزمنية التي سيبقى فيها بمصر.

أجريت معه حوارا، وبسبب ظروف مساحات النشر لم تتح الفرصة لنشره فى الأهرام على مساحة مناسبة وتم نشر تصريحات محدودة منه، كان توقيت الحوار فى فورة أزمة مصر مع جماعة الإخوان ووالده شهيد سقط على يد جماعة الإخوان، عرضت الحوار على الزميل أحمد صبرى رئيس تحرير موقع صدى البلد فأبدى حماسا كبيرا للنشر وبعد ساعة من المحادثة

كان الحوار على موقع صدى البلد، هو مهتم جدا ببدائل الطاقة وأمنية حياته أن تدخل مصر مجالات استخدام الطاقة الشمسية. والتوسع فيها، ويشعر بأن هناك ما يقف حائلا أمام هذه الأمنية، فهو مؤمن بمصر، وخلال محادثة هاتفية معه طلب رقم تليفون الكاتب الصحفى صلاح منتصر بعد أن قرأ مقالا له عن أهمية الطاقة الشمسية، ويود أن يعرض عليه خبراته الطويلة فى هذا المجال، مما يعنى أنه يطرق كل الأبواب لغاية تحقيق أمنيته.

جاء عنوان الحوار

والدى: أول رئيس وزراء يحل (الجماعة) بعد سلسلة مروعة من الجرائم والاغتيالات

والمقدمة، كشف الدكتور هانى النقراشى نجل محمود فهمى النقراشى باشا رئيس وزراء مصر لمرتين. والذي تم اغتياله فى 28 ديسمبر 1948، أن والده كان يعارض الاحتلال الإنجليزى لمصر وأن الإنجليز هم الذين استخدموا الإخوان فى عملية اغتياله فى مبنى وزارة الداخلية، وهى الجريمة التي نفذها عبد المجيد أحمد حسن الطالب فى كلية الطب البيطرى وهو من تنظيم الإخوان، كان عمرى وقتها 13 عاما عندما تم اغتيال والدى، وأتذكر قبل اغتياله بشهور كان عائدا من الأمم المتحدة، وكنت أقضى إجازه الصيف فى الإسكندرية فى هذا التوقيت، وطلبت أن أعود إلي القاهرة حتى أكون فى استقباله فى المطار، ولكن والدتى رفضت بعد أن عرفت أن الآلاف من المصريين سيزحفون إلى المطار لاستقباله بعد خطابه القوى فى الأمم المتحدة ومطالبته للإنجليز بالخروج من مصر، وقال نصا للإنجليز: «أخرجوا من بلادنا أيها القراصنة»، وخرجت الجماهير إلى المطار لاستقباله، وشاهدت الاستقبال فى دور السينما، حيث لم تكن الفضائيات أو التلفزيون وتابعت الأعداد الغفيرة.

ما الذي تتذكره الآن عن والدك محمود فهمى النقراشى باشا؟

- أنه بدأ حياته عصاميا وكان مدرسا لمادة الرياضيات وتعرف على الزعيم الوطنى سعد زغلول وتدرج فى العمل العام حتى أصبح رئيسا لوزراء مصر مرتين.. وكان يعتز بنفسه كثيرا ويرد الهدايا التي يتلقاها إلى أصحابها معتذرا عن عدم قبولها، ويقول من يعطى هدية ينتظر خدمة فى مقابلها، لكن فى محيط الأسرة والعائلة كانت الهدايا عادية.

هل قرأت شهادة المؤرخ المصرى الكبير عبد الرحمن الرافعى عن والدك؟

- هى من أهم الشهادات لكونها جاءت من مؤرخ كبير ومشهود له ويذكر المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى (1889 ¬ 1966) ان النقراشى باشا كان

وطنيا شريفا نزيها نظيف الذمة المالية ومن القلائل الذين لم يتربحوا من وراء مناصبهم.

هل ما تزال تتذكر يوم اغتياله؟

-كما قلت كان عمرى 13 عاما يوم اغتياله، ولكن حتى الآن لم أنس الحادث الإرهابى الذي أودى بحياة والدى.. والقصة شبه معروفة وهى أن والدى كان رئيسا للوزراء وفى نفس الوقت يشغل منصب وزير الداخلية وفى مبنى الوزارة فى العاشرة إلا الثلث من صباح ذلك اليوم دخل ضابط بوليس برتبة ملازم أول صالة وزارة الداخلية فى الطابق الأول فأدى له حراس الوزارة التحية العسكرية، وأخذ يقطع الوقت بالسير البطيء فى صالة الوزارة كأنه ينتظر شيئا وعندما أحس بقرب وصول والدى دولة النقراشى باشا اتجه نحو المصعد ووقف بجانبه الأيمن، وفى تمام العاشرة وخمس دقائق حضر النقراشى باشا ونزل من سيارته محاطا بحرسه الخاص، واتجه إلى المصعد فأدى له هذا الضابط التحية العسكرية فرد عليه مبتسما وعندما أوشك والدى على دخول المصعد أطلق عليه هذا الضابط ثلاث رصاصات فى ظهره فسقط على الأرض، ونقل جثمانه إلى منزلنا فى مصر الجديدة.

هل اتهام الإخوان باغتياله ثابت ومؤكد؟

- من اغتال والدى هم جماعة الإخوان المسلمين، لكن الذي طلب منهم تنفيذ ذلك هم الإنجليز نظرا لمعارضة والدى الشديدة للاحتلال البريطانى، وتم تجنيد الإخوان ونفذوا الجريمة وهذا الاتهام ثابت باعترافات القاتل نفسه، ومنذ سنوات مضت قابلت باحثا سودانيا فى ألمانيا حيث أعيش يدعى «كرم حلا» وهو باحث فى التاريخ ونشر كتابا مهما، ذكر فيه أن الإنجليز حرضوا الإخوان على ضرورة التخلص من والدى بذريعة حله لجمعية الإخوان المسلمين.

وقصة اغتياله تفاصيلها معروفة فقد اتضح انه ضابط مزيف كان يتردد على قهوة بالقرب من وزارة الداخلية، وقال رواد المقهى أنهم عرفوا الضابط المزيف باسم «حسنى أفندي» وانه تلقى مكالمة تليفونية قبل الجريمة بعشرين دقيقة من شخص مجهول اخبره أن النقراشى باشا فى طريقه إلى مكتبة بوزارة الداخلية.. وجاء فى اعترافاته: قتلته وأعترف بذلك لأنه اصدر قرارا بحل جمعية الإخوان المسلمين، وهى جمعية دينية ومن يحلها يهدم الدين.. قتلته لآنى أتزعم شعبة الإخوان منذ كنت تلميذا فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية، وحكم القضاء عليه بعقوبة الإعدام.

والخلاف بين والدى والإنجليز طويل حيث قُدِّم قبل منصب الوزارة للمحاكمة وتم تلفيق تهمة له عقوبتها الإعدام وكانت هيئة المحكمة يرأسها قاضٍ

انجليزى ومعه قاضيان مصريان، ولكن نجح المحامى الشهير مكرم عبيد فى الدفاع عنه وتفنيد الاتهامات وحكم على والدى بالسجن ولهذا تأخر سن زواجه ولم يتزوج إلا بعد عمر 48 عاما

ما الذي دفع والدك إلى حل جمعية الإخوان؟

- سلسلة من الجرائم المروعة التي ارتكبها الإخوان فى حق مصر والشعب المصرى

فى اعترافات القاتل ذكر ثلاثة أسباب لاغتياله، فما هى؟

- نعم القاتل عبد المجيد أحمد حسن قال: إن اغتياله جاء بسبب تهاونه فى شأن قضية وحدة مصر والسودان، وخيانته لقضية فلسطين، واعتدائه على الإسلام بحل الإخوان.

ما الذي تبقى من ارث النقراشى باشا؟

- تاريخه الوطنى أهم ارث تركه لنا، ولمصر، وشقيقتى صفيه تبرعت بمذكراته ومكتبته إلى مكتبة الإسكندرية بعد وفاة والدتى، حتى تكون هذه الوثائق متاحة للناس وأنا فخور به ولى ولدان يقيمان فى ألمانيا يشعران بالفخر الكبير أيضا

وأذكر أنه كان حريصا على جودة التعليم ولهذا أرسلنى وأنا طفلٌ إلى مدرسة فى حدائق القبة للتعليم، سُميتْ بعد اغتياله بمدرسة النقراشى باشا، وكان يقول أنها من أفضل المدارس، حيث تجمع بين التعليم والتربية وممارسة الرياضة، وبعد وفاة والدى حصلت على منحة تعليم مجانى حتى تخرجت فى كلية الهندسة جامعة القاهرة قبل أن أسافر إلى ألمانيا

هل كنت تتوقع أن يصل الإخوان لحكم مصر؟

- لم أكن أتوقع ولكن الذي لم أتوقعه على الإطلاق أن ينهار حكم الإخوان بهذه السرعة، وفى تقديرى أن ربنا كان لطيفا بشعب مصر ولهذا رحل نظام الإخوان سريعا عن حكم مصر

الدكتور محمد عبد القادر حاتم

فى شهر مايو عام 1997 ذهبت حيث كان يقيم الدكتور محمد عبد القادر حاتم رئيس المجالس القومية المتخصصة ووزير الإعلام ورئيس وزراء مصر فى فترة انتصار أكتوبر عام 73.كان يسكن فى منزل محاط بحديقة فى الزمالك، وفى هذا العام كان قد أصدر كتابا بعنوان ديمقراطية الإعلام والاتصال وجاء الكتاب بمثابة الشهادة التاريخية عن علاقة الجمهور المتلقى بوسائل الإعلام، ومساحة الديمقراطية المتاحة وأهمية الصحافة الحرة.

كان مكتبه فى الطابق الأرضى، يومها تحدث عن ذكرياته الطويلة مع تنظيم الضباط الأحرار وجمال عبد الناصر والمهام التي أسندت اليه وأصعبها منصب نائب رئيس الوزراء المكلف بمهام رئيس الوزراء أبان حرب السادس من أكتوبر 73 وكيف مرت أيام الحرب دون حدوث أية مشاكل تموينية أو جنائية.

وضع خبراته الطويلة فى مجال الإعلام فى الكتاب وذكر فيه أن هناك ارتباطا منطقيا بين ديمقراطية الإعلام والاتصال وديمقراطية المجتمع، فالديمقراطية الأولى هى التي تحقق الثانية، والعكس غير صحيح، وكما استشهد بالقول المأثور المشهور «صحيفة حرة قد تكون أقوى من حزب سياسى».

قال إن أهم عقبة تواجه ديمقراطية الإعلام هى البنية الأساسية للإعلام التي تجعله يتدفق رأسيا من أعلى إلى أسفل بمعنى كما قال: أن تتحدث القلة وتستمع الأغلبية دون أن تشارك فى الحوار، وتعطى هذه القلة لنفسها حق التحدث عن مشاكل واحتياجات الأغلبية الصامتة

الدكتور حاتم كان يشترط لكى يتم التغلب على هذه الحواجز التي تعرقل ديمقراطية الإعلام والاتصال، توسيع نطاق مشاركة الشعب من خلال توفير حرية الرد والتصويب والنقد وكل أنواع ما يعرف بالتغذية المرتدة وإنشاء علاقات منتظمة بين رجال الإعلام والاتصال والمواطنين، هذه نقطة، أما الثانية فهى مساهمة غير المختصين فى العمل الإعلامى والاتصال مثل إنتاج برامج ومصنفات إعلامية، وذلك بأن يمنحوا الفرصة للتعبير عن خواطرهم وإمكاناتهم إضافة إلى تحقيق اللامركزية فى وسائل الاتصال الجماهيرى والتزام الأمانة والإخلاص والمصداقية فى كل ما يُنشر أو يُذاع مع الإيمان بمبدأ لا حرية بلا مسؤولية».

يومها توقف الدكتور حاتم عند لغة الإعلام والاتصال وتأثيرها على الديمقراطية، إذ تتأثر مكانة الديمقراطية ببعض الممارسات السلبية ومنها استخدام بعض أعضاء المجالس النيابية لألفاظ لا تتفق مع آداب وأخلاق التخاطب مما ينعكس ليس على الفرد الذي استخدمها فحسب، بل على الديمقراطية نفسها.

وشرح مفهوم الحرية وديمقراطية الإعلام والاتصال فى أن موضوع سرية المعلومات يُجِدُّ من ديمقراطية الإعلام والاتصال، إلا إذا وُضِعَتْ فى القواعد العادلة لهذا الموضوع، فلا يكفى أن يصدر قانون بسرية المعلومات حتى يطاع هذا القانون دون أي مناقشة قبل إصداره، أي أن فرض الرقابة على المعلومات والأنباء إذ لم تراع فيه قوانين ومبادئ الأمم المتحدة وحقوق الإنسان فإن هذا يعد اعتداء على ديمقراطية الإعلام والاتصال، وأن الرقابة وفرض القيود والمعوقات من أجل ملكية أجهزة الإعلام أو تركيز ملكيتها فى

بعض الجهات أو وضع مؤثرات على أجهزة الإعلام وخاصة الإعلان سواء كان حكوميا أو من القطاع الخاص هو عمل لا يتفق مع حقوق الإنسان وبالتالى لا يحقق ديمقراطية الإعلام والاتصال.

كما أن التمويل واستخدامه وسيطرة المحتكرين لأجهزة الإعلام بواسطة المال هو عمل يتعين أن تمنعه الحكومات بقوانين منع الاحتكار وقبل أن تضع مثل هذه القوانين يجب ألا تحتكرها أجهزة الإعلام والاتصال، كذلك قد يكون فى داخل جهاز الإعلام نفسه سيطرة لشخص أو قلة من الأشخاص على الأنباء والمعلومات وهذا فى حد ذاته عامل من عوامل الاحتكار وضد حقوق الإنسان وديمقراطية الإعلام، لذلك يلزم وضع نظام سواء للإدارة أو التمويل وإدارة التحرير والعمل الفنى فى كل مؤسسة.

وذكر أن بعض الدول تتدخل وتضع العراقيل المختلفة التي تحول بين المواطن وحقه فى ممارسة حرية التعبير وعندما تتخذ الدول مثل هذه الإجراءات بشكل سافر فإن الشائعات تنتشر، وقد يلجأ المواطنون إلى المبالغة والتهويل فى نشر الأنباء وإذاعتها بشتى الطرق المتاحة، كذلك تلجأ بعض الدول لاحتكار أجهزة الإعلام والسيطرة عليها لنشر أيديولوجيات وإذاعة أخبار معينة.

وفى ضوء ذلك كما قال، يتضح أن حق التعبير هو من الحقوق الأساسية والإنسانية للفرد، وأن الابتكارات الحديثة سوف تتغلب على العراقيل الحكومية فضلا عما تسببه هذه العراقيل من مشاكل لا حصر لها، وفيما يتعلق بالصحف هناك وسائل تتبعها بعض السلطات الحاكمة لمضايقة الصحف والصحفيين وتقييد حريتهم، فقد تلجأ إلى ممارسة الضغوط ومحاولة استمالة رجال الإعلام وتقريبهم من السلطة بمعونة وسائل الترهيب والترغيب

كان عنوان الحوار مثيرا وهو د- عبد القادر حاتم:عبد الناصر كان يتدخل فى كل التفاصيل والسادات كان ينفذ مذبحة

وفرض السؤال الأول نفسه لمعرفة تفسير عدم وجود نظرية موحدة للديمقراطية على مستوى العالم؟

- بالفعل لا توجد نظرية موحدة للديمقراطية، فمثلا هناك تباين واضح بين الديمقراطية المطبقة فى كثير من البلدان الأوروبية العريقة حتى الاشتراكية، فإنها تضم 28 نوعا من الاشتراكية، وبالتالى لا يمكن عزل الدول العربية عن هذا الإطار، ولا أستطيع أن أحدد مفهوم الديمقراطية عربيا، لأنه حتى وقت ليس ببعيد كانت كثير من الدول العربية تحت الاحتلال، والديمقراطية هى بناء تراكمى عبر السنوات، لكن الذي يمكن التأكيد عليه أن كثيرا من الدول فى العالم العربى خطت خطوات كبيرة فى اتجاه الديمقراطية ووفقا لظروفها.

ما الشروط التي يجب توافرها لكى تتحقق ديمقراطية الإعلام والاتصال؟

- أعتقد أن أهم هذه الشروط هو أن يشارك الشعب فى أجهزة الإعلام المختلفة، الجميع يشترك بآرائه المختلفة فى الموضوعات التي تُعرضُ على الشعب، بجانب هذا يجب أن يتمتع رجل الإعلام بمواصفات معينة، منها أن يكون مثقفا وقادرا على نقل ثقافته للآخرين ويؤمن بالحرية ولديه المقدرة على إدارة الحوار ومتخصص، لأن دور رجل الإعلام خطير جدا.

ما ملاحظاتك على أداء محطات التليفزيون؟!!

- أنا أعترض على أن تستضيف مذيعة أو مذيع راقصة وتظل تحاورها لمدة ساعة كاملة فهل يعقل أن تسند مهمة تثقيف المشاهدين لأمر راقصة؟

هل تعتقد فى مقولة «صحيفة حرة قد تكون أقوى من حزب سياسى»؟

- ربما كان واقع الأحزاب السياسية فى مصر خير برهان على هذه المقولة، فهناك صحف عديدة أقوى من الأحزاب، فكثير من الأحزاب تفقد الجماهير والتأثير.

هل تذكر تجربة صحفية عكست هذا القول؟

- بلا شك، كثير من صحف المعارضة المصرية عكست ذلك وبدقة.

كيف كانت علاقتك بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر؟

- علاقتى تعود لسنوات الدراسة، حيث كنت زميلا له فى مدرسة العطارين الابتدائية بالإسكندرية وكنا نذاكر معا، ثم بعد قيام الثورة عملت مديرا بمكتبه لشئون الإعلام والصحافة، ثم كلفنى بعد ذلك بإنشاء الهيئة العامة للاستعلامات وأن أكون المتحدث الرسمى باسم الحكومة، وخلال الدراسة كنا نشارك فى المظاهرات وكان دائما يُلقىَ القبض على الرئيس عبد الناصر لأنه طويل القامة وهذا يجعله معروفا للبوليس الإنجليزي.

هل كان عبد الناصر يتدخل فى تفاصيل العمل الإعلامي؟

- عبد الناصر كان يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة ويتابع بنفسه أدق التفاصيل ولا يكتفى بقراءة ملخص للصحف والنشرات الإخبارية بل كان يفضل قراءة الصحف والإستماع للإذاعات، ويوميا كانت تذهب إليه حقيبة منتفخة بها كل الصحف والمجلات وكنت أعانى من كثرة عدد الصحف والمجلات اللبنانية فى ذلك الوقت حيث كان عددها يزيد على 50 صحيفة ومجلة تملأ وحدها حقيبة صحف الرئيس.

الإعلام المصرى خلال حرب أكتوبر 1973 كان بشهادة العالم مختلفا عن إعلام نكسة 1967، أين كنت أثناء النكسة من الإعلام المصرى؟

- كنت حتى سبتمبر 1966 نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للثقافة الإعلام والسياحة ثم تم تعيينى مستشارا فى مجلس الوزراء وطبعا المستشار حتمًا تُطلب منه الاستشارة ليقولها، وأذكر عندما فكرت فى إنشاء وزارة الإعلام حدثت قصة طريفة، حيث تقدمت بطلب لإنشاء وزارة الإعلام بدلا من وزارة الإرشاد القومى وهناك من كان يؤيدنى وقال فى الاجتماع إنها وزارة ضرورية وهامة جدا لأن الإعلام هو الراية التي ترفرف على كل مصر، فتدخلت ضاحكا وقلت إن الهمزة أسفل وليست أعلى، فضحك الجميع وهى أول وزارة فى العالم العربى والحقيقة لم أكن موجودا خلال النكسة.

ولكن ما شهادتك على الإعلام المصرى خلال عام 1967؟

دون الدخول فى تفاصيل كثيرة، كانت هناك مبالغات كبيرة من جانب الإعلام المصرى خلال حرب 1967 وبعد الهزيمة طلبنى عبد الناصر فى يوم 15 يونيو، وكلفنى من جديد بإعادة تخطيط العملية الإعلامية لتجاوز حالة الإحباط التي كانت مسيطرة على القوات المسلحة والشعب.

ربما تكون من القلائل الذين حظوا بثقة الرؤساء عبد الناصر والسادات ومبارك لماذا؟

- بمنتهى الصدق أقول إن سلاحى العريق خلال هذه السنوات كان الدراسة والاجتهاد، حيث ركزت فى بداياتى كل جهدى فى الحصول على أكبر قدر من الشهادات والدرجات العلمية المتنوعة.

ما ذكرياتك مع الرئيس السادات؟

- أذكر أن الرئيس السادات دعانى فى 13 مايو 1971 بأن أحضر لأتولى وزارة الإعلام، لأنه فى ذلك الوقت كان هناك مشاكل بينه وبين عدد من الوزراء والذين أطلق عليهم اسم «مراكز القوى» وقال لى إن تعليمات وزير الإعلام محمد عبدالسلام الزيات والذي تم تعيينه منذ 48 ساعة فقط لا تنفذ وهذا يعنى أن سيطرة الإذاعة والتليفزيون خرجت عن رئاسة الجمهورية، وطلب منى الذهاب حالا إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون وقلت له سأذهب فى الصباح ولكنه أصر على أن أذهب وكان الوقت ليلا، مهددا بأنى إذا لم أذهب إلى التليفزيون فورا، فسيضرب المتظاهرين هناك ويحدث مذبحة فاضطررت إلى الذهاب، وكان قد أعلن فى التليفزيون قبل ذهابى عن ذلك وهناك وجدت حوالى 5 آلاف شخص من العاملين خارج المبنى فى انتظارى وحملونى من

السيارة حتى مكتبى، و اتصلت تليفونيا بالسادات وأخبرته بما حدث وجاء بعد ذلك إلى التليفزيون.

كنت نائبا لرئيس الوزراء خلال حرب أكتوبر 1973، كيف تعاملت مع هذا الحدث الضخم؟

- عندما كلفنى الرئيس السادات قبل حرب أكتوبر 1973 بأن أكون مسئولا عن الحكومة وأن أنوب عنه فى رئاسة مجلس الوزراء بجانب مسئوليتى عن وزارة الإعلام، كان أول شيء فكرت فيه هو تحليل الموقف الدولى بصفة عامة والرأي العام بصفة خاصة، وانعكس ذلك على قرارى الأول فى مجلس الوزراء وهو عدم الإدلاء بأي تصريح مباشر أو تلميح عن الإعداد أو الاستعداد للحرب وانطبق لك على العسكريين والسياسيين أيضا وكنا فى هذا نستفيد من الدروس السابقة نتيجة التصريحات غير المسئولة والتهديدات الجوفاء التي طالما ترددت واستغلتها إسرائيل لمصلحتها، حتى حدثت هزيمة يونيو.

وبالتالى كانت إحدى أولوياتى هى استعادة ثقة الشعب فى الحكومة وفى وسائل الإعلام الوطنية، ثم بدأت إدارة الدولة بسرية تامة ولعل من أبرز ملامح تلك الفترة النغمة الجديدة التي لم يألفها الشعب من المسئولين من قبل، حينما أُعلنَ أن مصر تسعى لتحرير أرضها المغتصبة، لأن هذا حقها وكلمة التحرير مقبولة لدى جميع الأجهزة الإعلامية الغربية بعكس كلمة الحرب.

هل كان مجلس الوزراء المصرى يعلم أن هناك حربا مقبلة مع إسرائيل؟

- نعم وكانت اجتماعات مجلس الوزراء تستمر 4 ساعات كاملة وفى سرية تامة ثم يُعلَنُ أنها لدراسة التعليم أو التموين وهى فى الحقيقة كانت لإعداد الدولة للحرب، وأنا أذكر محاكمة مدير الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية وهى التي تمت بعد حرب 1973، وذكر فيها أن الإعلام المصرى خدعنا أكبر خدعة، وأن هناك تنظيما جيدا بجوار الرئيس السادات أدى لبلاده أكبر خدمة للنصر.

متى يكتب الدكتور محمد عبدالقادر حاتم مذكراته؟

- كلما أمسك القلم لأكتب عن الماضى، أجد قلمى لا يتحرك فى يدى، لأن عقلى وعاطفتى لا تحرك هذا القلم وتأبى أن تكتب عن الماضى فلم أتعود أن أتحدث إلا عن المستقبل.

معنى هذا أنه لن تكون هناك مذكرات بقلمك؟

- نعم وإنما سأكتب الدروس المستفادة من تجربة حياتى لتُنشر بعد وفاتى

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الثانى

الحوارات الشائكة

عبد الصبور شاهين

فى عام 1999 أجريت حوارًا مع الدكتور عبدالصبور شاهين - طلبته على التليفون وشرحت له رغبتى فى حوار للرد على الاتهامات الطويلة ضده، والتي أطلقها بعض علماء الدين بعد نشر كتابه الشهير»أبى آدم «، ومن بين هؤلاء الشيخ يوسف البدرى الذي لجأ إلى القضاء ورفع دعوى حسبة ضده باعتباره خرج عن دين الإسلام.

وافق وقال أنتظرك: فى الثامنة مساء بمنزلى الجديد بمنطقة حدائق الأهرام، فى ذلك الوقت كانت من المناطق السكنية البعيدة نوعًا ما وغير مأهولة بالكثافة السكانية التي هى عليها الآن، ذهبت بسيارة الأهرام لإجراء الحوار لمجلة نصف الدنيا، الوصول إلى المكان لم يكن بالأمر اليسير، كان قد ترك شقته فى شارع الهرم وبنى فيلا وبجوارها مسجد يخطب الجمعة فيه، وبمجرد أن جلسنا قال: منذ انتقلت للإقامة هنا لا أفكر فى النزول إلى وسط المدينة إلا فى الحالات القصوى، ووصف الطبيعة الجديدة بأنها صحية خالية من التلوث، بالفعل كانت فى ذلك الوقت بهذا الوصف مبان صغيرة متناثرة ولا مظاهر من قريب أو بعيد للضوضاء أو الزحام.

حول كتاب «أبى آدم» قال: بالفعل قبل أن يُخلَقَ سيدنا آدم كان هناك «أوادم «كثيرون وهى جمع كلمة آدم وتحدى من يشكك فى مصادر كتابه وقال: إن الشيخ يوسف البدرى تعود على إثارة الجدل ولا يهتم بمواقفه ويعرفه منذ أن كان طالبًا فى كلية دار العلوم.

وكشف أن هذا الكتاب استغرق البحث فى مادته 25 سنة، وهو نواة لمجموعة محاضرات كان قد بدأها فى المملكة المغربية بحضور الملك الراحل الحسن الثاني، والهدف من الكتاب هو تنوير الفكر الإسلامى، وتحريره من الإسرائيليات التي زرعت فى العقل الإعلامى أشياء غريبة جدًا، وألتزمُ بالقرآن فى الكتاب واحتكمت إلى منطوق القرآن.

ترجم عشرين كتابًا من الفرنسية إلى العربية على رأسها «دستور الأخلاق فى القرآن» للدكتور محمد عبدالله دراز، أصدر سبعين كتابًا ما بين تأليف وترجمة وتحقيق.

استبعد من الخطابة بمسجد عمرو بن العاص بعد ثلاثة عشر عامًا كان خطيبًا للمسجد، وجاء توقيفه عن الخطابة على خلفية موقفه من آراء الدكتور نصر حامد أبو زيد عندما رفض ترقيته إلى درجة أستاذ فى كلية الآداب بجامعة القاهرة فى العام 1993، منتقدًا آراء أبوزيد التي رآها تخرج عن إجماع العلماء المتعلقة بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

فحين قدم أبوزيد أبحاثه بعنوان «نقد الخطاب الديني» للحصول على درجة الأستاذية للجنة تكونت من أساتذة جامعة القاهرة برئاسة الدكتور عبدالصبور شاهين الذي رفض الأطروحات فى الأبحاث المقدمة حول القرآن الكريم.

اتهم «شاهين»فى تقريره «أبوزيد»بالعداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة والدعوة لرفضهما. والهجوم على الصحابة وإنكار المصدر الإلهى للقرآن الكريم، والدفاع عن الماركسية والعلمانية وعن سلمان رشدى وروايته «آيات شيطانية».

المفارقة أن الدكتور عبد الصبور شاهين واجه نفس الموقف بعد كتابه «أبى آدم» وتعرض لعاصفة من الهجوم انتهت بدعوى تفريق بينه وبين زوجته أقامها الشيخ يوسف البدرى،

كان عنوان الحوار عبدالصبور شاهين: أستحِقُ وسامًا.. وليس الاتهام بالكُفر

والسؤال الأول مفتاح القضية كلها هو لماذا أصدرت كتاب «أبى آدم» المثير للجدل فى هذا الوقت بالذات؟

- كتاب «أبى آدم» قصة حياتى وعشت فترة طويلة جدًا أفكر فى قدرة الله سبحانه وتعالى وفى خلق الإنسان وعن استخلاف الإنسان فى الأرض، ولم أشأ أن يكون ماضى هذه الخليقة محصورًا فى الرواية الإسرائيلية خاصة أن تفسير الطبرى وجد أن الرواية العربية لقصة سيدنا آدم هى حرفيا الرواية العبرية؛ ولهذا أصدرت هذا الكتاب خصوصًا أن الذي يبحث يجد كثيرًا من الشواهد التي تجمع بين الرواية العلمية وبين النصوص الدينية.

هناك من يرى أنه لا أهمية للنصوص العلمية فى ظل وجود النصوص الدينية والنبوية؟

- لا، هذا رأي ناقص، لأن الله سبحانه وتعالى لم يقصر علمنا على الكِتاب والسُنّة وحدهما، بل دعانا إلى أن نلتمس العلم بالسعى فى الأرض «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق» قضية بدء الخليقة أسرارها فى الأرض بنص القرآن، إذن فلابد من أن نقول هل نقبل ما يأتى به العلم من باطن الأرض؟ مما يشير إلى تاريخ الإنسان على هذه الأرض أم أننا نرفضه ونغلق عقولنا دون هذه الأدلة العلمية التي أصبحت الآن تقترب إلى مرتبة

اليقين فى بعض المسائل، نحن قد نشك فى النظريات العلمية، لكننا لا نشك فى الحقائق العلمية.

لماذا فتحت بهذا الكتاب باب التأويل الموصد؟

- التأويل لم يوصد.. التأويل موجود وقد تعلمنا التأويل منذ أن كنا صغارًا فى الأزهر وعندما كنا فى المدارس الابتدائية كنا ندرس التوحيد، وكان المشايخ يدرسون لنا فى التوحيد تأويل النصوص وأن هذا التأويل يقوم عليه كثير من حلول المشكلات العقلية، بمعنى أن الله عز وجل عندما يذكر أن يد الله فوق أيديهم، كانوا يقولون إن لله يدًا ولكن ليست كأيدينا، فإذا آخرون لم يقتنعوا بهذا، لجأوا إلى التأويل وقالوا إن اليد هنا تعنى القدرة هذا تأويل، هل خرج هؤلاء السلف عن مقتضى ما يفرضه فهم القرآن وعما ينبغى أن يكون للقرآن من احترام ومن تقدير ومن مهابة فى النفوس، معنى اليد أنها هى القدرة أو تشير إلى القدرة، لا يعنى هذا أبدًا أننا نهمل النص أو نهدمه وإنما معناه أننا نضيئه إضاءة معينة تتناسب مع قدرة الله وعظمته، ومن الخطأ هنا أن نضع الناس أمام أمور مشتبهة، وينبغى أن نكون فعلا على جادة الفهم وعلى طريق التأويل الذي يحفظ للنص القرآنى قدسيته.

وما ردك على الذين يرون أن فتح باب التأويل يشكل خطرًا كبيرًا على الدين الإسلامى؟

- هذه أوهام يعيشها البعض، هنالك طريقان، طريق الاجتهاد وهو أمر واجب أن نجتهد فى الدين وأن نحاول أن نبيّن محتوى النصوص، لأن فى النصوص أسرارًا لن تظهر إلا بهذا الاجتهاد، والتأويل وسيلة من وسائل الاجتهاد، أما التأويل بمعنى الهوى أي توظيف النص للتعبير عن أمور لا تتفق مع أساسيات الدين ومع مبادئه هذا هو الهوى، والتعبير بالرأي المنهى عنه هو التعبير بالهوى كأن يقول أحدًا مثلا «وأنه فى أم الكتاب لدينا لعلىٌّ حكيم» (سورة الزخرف آية ٣) ويفسر «على» أنه على بن أبى طالب، هذا نوع من الهوى والجنون والهدف الذي أسعى إليه هو أسمى مما يتصور كثيرون أنه الجمع بين حصيلة العلم فى زماننا وبين النصوص الدينية.

وهل لهذا قلت إن سيدنا آدم ابن البشر؟

- هذه نظرية نظرت فيها فى ضوء نصوص القرآن، ونصوص القرآن تتحدث أول ما تتحدث عن خلق البشر ثم تنتقل إلى الحديث عن الإنسان وبين البشر والإنسان مسافة فى التعبير القرآنى.

ما الفرق بين البشر والإنسان؟

- البشر اقترن بمرحلتين مرحلة التسوية، ومرحلة نفخ الله فيه من روحه، وهى خاصة لم تكن إلا للإنسان، فالله خلق هذا الإنسان على ثلاث مراحل: مرحلة إيجاده كبشر ثم مرحلة التسوية ثم مرحلة النفخ من روح الله فيكون هذا، المخلوق الذي تسجد له الملائكة، أما أن يكون بشرًا بدون تسوية، فلا، بدون نفخ من روح الله فلا لأنه يكون بذلك هيئة لم تكتمل فتسوية الله لهذا البشر عبر ملايين السنين الذي اقتضاها هذا الأمر، وهذه الإرادة الإلهية إنما تحدث عن طريق أن كل جيل من أجيال البشر يتغير ويتقدم على ما سبقه من الجيل السابق، وعبر التغييرات التي تحدث عن طريق التسوية بتزويده بالعقل، فأصبح للإنسان عقل ثم اكتمل هذا العقل باللغة. ولكنه كان مجتمعًا بلا قانون، بلا قيم أو ضوابط ومعروف أن الله عز وجل حين أراد أن يوجد هذه الحضارة للإنسان أرسل الدين، فالدين هو صانع الحضارة واختار الله آدم واصطفاه بنص القرآن ومعنى «الاصطفاء» أن يُختارَ من بين مجموعة من البشر.

هل سبقك أحد العلماء فى هذا التفسير الذي يفتح الباب واسعًا أمام الاجتهادات؟

- قد يكون سبقت تلميحات عند ابن القيم مثلا عندما قال إن آدم سُبِقَ «بأوادم» كثيرين، يعنى أن آدم الذي نعرفه وهو أبونا آدم كان قبله آدم وآدم فليست الفكرة جديدة.

وما الجديد فى فكرتك إذن؟

- الجديد هو أن البعض لم يتصور أننا نهتدى إلى هذه الفكرة من القرآن، وهذه الفكرة لا تخرج أبدًا عن سلوك القرآن، فسلوك القرآن إنما يخاطب الإنسان ويخاطب الناس ويذكر الإنسان، ولكنه لا يخاطب البشر لم يقل القرآن يا أيها البشر إطلاقا والذي انتهيت إليه أن هناك علاقة قطعًا بين البشر والإنسان.

ولهذا قلت إن الإنسان أرقى ما وصل إليه البشر؟

- لاشك أن الإنسان هو نهاية الكمال البشرى ولذلك الإنسان يعنى ذلك الجيل من بنى آدم، أما البشر فهو أعم، فكل إنسان بشر وليس كل بشر إنسانا.

ولكن هناك من العلماء من يعترض على ذلك ويستشهد بالقرآن فى وصف الإنسان ببعض الصفات القاسية؟

- فى ضوء التكليف، لأن التكليف جاء فكان هناك طائعون وعاصون وكان هنالك ساجدون ومتمردون، إذن فالإنسان يوصف فى جانبه الطائع بالذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم، أما فى جانبه العاصى فهو

الإنسان الظلوم الجهول، كل هذا له مواضعه وإلا فإن الله سبحانه وتعالى ينبغى أن نتذكر دائما أنه لا يظلم مثقال ذرة وأن الإنسان منه الأنبياء.

لماذا قال الله سبحانه وتعالى لمحمد إذن.. «قل إنما أنا بشر مثلكم» ولم يقل له قل إنسان مثلكم؟

«بشر مثلكم» هنا وصف بالزعم ونحن قلنا إن وصف البشرية وصف عام يشمل الخليقة منذ أن وجدت إلى يوم القيامة، لكن منها فصل خاص هو فصل الإنسان، هذا الإنسان هو المُكَلَّف، كل إنسان كما قلت يوصف بأنه بشر، لكن ليس كل بشر إنسانا، لأن الذين كانوا يسفكون الدماء ويفسدون فى الأرض قبل ظهور آدم هؤلاء كانوا بشرًا لكنهم لم يكونوا مكلفين ولم يكونوا أصحاب دين، لم يرسل إليهم نبى، لأن هذا كان قبل الاكتمال، فهم لن يحاسبوا والفترة من خلق البشر الأول إلى آدم هذه فترة وإن كانت تعد بملايين السنين، هى فترة، تمت فى غيبوبة الزمن، لم يكن هناك من يقرأ ولا يكتب ولا يحسب وكانت التجربة فى مراحلها المتدرجة والدليل قول الله سبحانه وتعالى «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» سورة نوح وهذا يصدق على طور الطفولة والشباب والشيخوخة ثم هو يصدق أيضًا على أنه خلقنا فى فترة لم نكن مكلفين وفى فترة كَلّفنا ثم فى فترة خَلَقَنا ثم فى فترة سَوانا، كل هذا أطوار.

أليس هذا التفسير هو رأي دارون فولف فى كتاب أصل الأنواع؟

- دارون يتصور أن الخليقة أو الموجودات على الأرض سلسلة متصلة من الحلقات.

وما الفرق بين ما قاله وما تقوله أنت فى كتابك «أبى آدم»؟

- هو قال بتسلسل الأنواع، بمعنى هنالك موجودات مائية ثم تطورت إلى برمائية، ثم تطورت إلى برية، ثم تطور خلق بعض البريات، فأدت إلى نشأة أنواع كثيرة، كل هذا يؤدى إلى نشأة الشمبانزى، ثم نوع من القردة العليا التي لم يحددها إلا ببعض الصفات، تلك التي تطورت فصارت إنسانا أو صارت بشرا، ومعنى ذلك أن هناك تسلسلا فى الأنواع وهو يعبّر على أن الخالق هو التطور.

وكيف تنظر لهذه النظرية؟

- دارون مخطئ وجميع العلماء قالوا ذلك وفى كتابى ما يؤكد ذلك ويُخَطِّئهُ، خاصة أن نظرية دارون لم تعد الآن إلا فصلا من فصول نشأة علم الحياة فقط، ليس لها من فائدة إلا هذا، أما نحن فنقول بوحدة الخلق وأن الخلق البشرى خلق مستقل منذ قال الله للتراب «كُن» فكان بشرا سويا وأصبح بعد ذلك يتمتع بنفخ الله فيه من روحه، ثم صار بعد ذلك آدم المصطفى، لتكون

ذرية آدم هى الذرية الوحيدة المتاح لها أن تستمر على الأرض، وأن تُكلّفَ بالدين.

لماذا رصدت الآيات القرآنية حسب ترتيب النزول؟

- على حسب ما يمليه علىّ القرآن الكريم الموجود بين أيدينا، أول ذكر لحديث آدم فى سورة «ص» يليها سورة «الأعراف».

ولكن بعض الفقهاء يرفضون رصد القرآن حسب نزول الآيات ويأخذون بالترتيب حسب المصحف؟

- لا يرفض أحد تفسيرا على حسب النزول، إنما المفروض أننا نلتزم بالترتيب القرآنى فى تناول المصحف، نحن نأخذ المصحف وله ترتيب معين، أما ترتيب النزول فلا يرد على ذهن أي إنسان، فلو قلنا إننا نريد المصحف مرتبًا على حسب النزول لاستحال علينا، وفيه مخالفة لإرادة الله، نحن نتناول المصحف كما رتبه رسول الله، أما عندما نريد أن ندرس ونتتبع التعبير فى القرآن من خلال ترتيب النزول فلا حرج فى هذا.

لماذا فسرت كلمة «السجود» بالخضوع؟

- السجود خضوع إذ إننا لا يمكن أن نفهم السجود إلا على أنه خضوع واستسلام للخالق العظيم، والملائكة عندما أمرهم الله عز وجل بالسجود سجدوا، السجود هنا لا يكون عن طريق وضع الجبهة على الأرض كسجودنا نحن، هذه مخلوقات نورانية ولا نتصور هيئة سجودها.

هناك اتهام –عفوا- بأنك أنكرت الزمان؟

- نعم أنكرت الزمان بالنسبة لله عز وجل.

وما الفرق؟

- الله عز وجل لا يحده زمان ولا مكان، الزمان مخلوق والمكان مخلوق، والله سبحانه وتعالى هو خالق الزمان والمكان، إذن هو خارج الزمان والمكان وهو المطلق لا يحده زمان ولا مكان.

إلى أي مدى أزعجك رأي الشيخ يوسف البدرى فى كتابك واتهامك –عفوًا- بالكفر؟

- أنا لا أناقش يوسف البدرى وأرى أنه لا يفهم أي شىء فى الكتاب إطلاقا، هنا لا أعيبه وإنما أصفه، الرد لا يكون إلا على عالِم، بينما هو رجل يغلق عقله دون الفهم تماما، يريد أن يدير ظهره للدنيا وللعلم وللحضارة، ويحبسنا فى فهمه الضيق المحدود، ماذا أقول؟

أقول استغفر الله العظيم من هذا الكلام السخيف الذي قاله، لقد كَفَّرنى سامحه الله.

ولكنه يقول بأنه على استعداد لمناظرتك وكشف ما وقعت فيه من أخطاء جسيمة؟

- أنا أناظر من يصل إلى مستوأي وأنا لا أعترف أبدًا ليوسف البدرى بأي مستوىً علمى، ليس هذا تعبيرا عن الاحتقار أبدًا، هذه المسألة قضية غيبية وأنا قلت فيها بما استطعت أن أفهمه باجتهادى وليقل الآخرون رأيهم، هنالك أناس قرأوا وفهموا.

معنى هذا أنه لم يعترض أحد غير يوسف البدرى على الكتاب؟

- للحقيقة اعترض غيره، محام من السعودية اتهمنى بأن منهجى هو منهج المتكلمين، لكنه لم يقدم شيئا أكثر من أنه ساق مجموعة من الآيات ومجموعة من الأحاديث، وأنا لم أجد عنده جديدًا لأننى قرأت هذا الكلام قبل أن يكتبه وقبل أن يخطر بباله.

ولكن يتردد أن بعض الأساتذة فى كلية دار العلوم ضد كتابك؟

- لم يحدث ذلك.

وماذا عن موقف الأزهر؟

- ناقشنى الدكتور إسماعيل الدفتار والدكتور عبد المعطى بيومى عميد كلية أصول الدين بالأزهر، وأثنيا على العمل وكانا فى غاية السعادة به، وناقشنى الدكتور عبدالحليم عويس، ودكتور آخر من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الذين يصفون أساتذتها بأنهم أكثر الناس تشددا، ومع هذا كان فى غاية الفهم وغاية الاقتناع لوجود مثل هذا الاتجاه الذي يزيل كثيرًا من الغموض، وأنا لا أمنع أي إنسان أن ينتقد، لكن استنكر أن يكون بذيئًا سافلا.

معنى هذا أن الكتاب لم يصادر؟

- الكتاب لم يُصَادَر مع أننى أهديت أول نسخة منه لأستاذ أزهرى كان يناقش معى رسالة ماجستير فى كلية دار العلوم، بل بالعكس لقد ألقيت هذا الكلام بين يدى جلالة الملك الحسن الثانى فى المغرب و بمحضر من علماء العالم الإسلامى كله، ولم ينكر أحد منهم شيئا مما قلت، لأنهم وجدوا أننى أقول كلاما سليما، وليس فيه أي تناقض مع النص الكريم وليس فيه ما يمنع من أن يُفْهَمَ القرآنُ على هذا النحو مع العلم الحديث، وقال لى الملك الحسن: لا يوجد عاقل يستطيع أن يخالفك فيما قلت، تعبير من ملك مثقف أعتز به جدًا.

لماذا ربط البعض بين اجتهادك واجتهاد الدكتور نصر أبوزيد؟

- هناك فرق كبير بين كتابى وكتاب نصر أبوزيد.

هل لأنك أنت الذي فجرَّت قضيته؟

- أنا فجرتها كقضية علمية داخل الجامعة، وكنت صاحب التقرير العلمى ضده، وهذا التقرير أصبح هو القاعدة للقضاء ولكل شىء جاء بعد ذلك، وبعد أن قدمت تقريرى لم يعد لى علاقة لا بنصر ولا بقضاياه، وما تلى ذلك كان سببه هذا التهييج الذي قامت به الصحف.

وما دور الشيخ يوسف البدرى فى قضية «الحسبة» التي رفعها المحامى محمد صميدة ضد نصر أبوزيد؟

- هو كان حريصًا على أن يتعلق بالقطار، فقد تعلق «بالسبنسه»وصار مع صميدة المحامى الذي رفع القضية يحضر الجلسات فيما أخبرنى المحامى، ويحدث ضوضاء وشوشرة، كأنما يريد أن يقول أنا هنا، وكل الذي حدث أن الأحكام صدرت بجهود المحامى، أما هذا الرجل «يوسف البدرى» هو مجرد صوت غوغائى أستطيع أن أقول إنه استؤجر ضد الإسلام.

ما حدود علاقتك به؟

- أنا قابلته فى حياتى ثلاث مرات، مرة فى مجلس الشعب وكان فى حالة يرثى لها، ومرة صلى ورائى فى مسجد عمرو بن العاص عام 1985، وسمعت أنه عندما سمعنى فى الخطبة أقول نشهد أن لا إله إلا الله قال: الخطبة باطلة لأننى كما قال:لم أقل وأشهد وقلت «ونشهد»، والمرة الثالثة لا أتذكرها ولم يكن بينى وبينه أي طريق.

بصراحة هل تشعر بالندم على مصير الدكتور نصر أبوزيد وأنت تعيش نفس أزمته؟

- لم أكن سببًا فى شىء، لو كنت سببًا ربما عطفت عليه، لكن «نصر»سعى إلى حتفه بنفسه، هو الذي اختار هذا الطريق والماركسيون أغروه بأنهم سوف يجعلونه نجمًا أشهر من عُطارد، وكانت النتيجة أنهم وكسوه وأضاعوه.

هل استعددت للقضية التي ينوى رفعها عليك يوسف البدرى، وبنفس حيثيات قضية نصر حامد أبوزيد؟

- أنا برىء يا بيه ـ- وضحك عبدالصبور شاهين وأكمل قائلًا ـ- أهل القانون سيتبعوننى عندما يرون ما قلت، وربما مُنِحتُ وسامًا على ما قلت ذات يوم، لأننى أعتبر ما قلت هو فتح للفكر الإسلامى.

لماذا تعتقد بذلك؟

- لأن ما قلت هو فتح للفكر الإسلامى، وآن الأوان أن نتحرك ضد تراث الإسرائيليات ونتخلص من هيمنة الفكر الإسرائيلى، إن الفكر الإسرائيلى يشوّه ثقافتنا، وها نحن فى صراع مع هؤلاء الإسرائيليين، وهم يتصورون أنهم سادة وأصحاب فضل علينا، حتى إن الرسالة التي قدمت معى عن دراسات الإسرائيليات فى تفسير الطبرى، عُرض على صاحبتها نصف مليون دولار من إحدى الجامعات الصهيونية لأخذ الرسالة ونشرها على حساب إسرائيل، ورفضت بمشورتى، وحاولتُ أن تُنشَرَ فى رابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة وسُلِّمتْ بالفعل منذ شهر، أظن أننا نعمل لوجه الله، وأن هدفنا يتشعب شُعبتين، شُعبة ضد الإسرائيليات، وشُعبة للتوفيق بين القرآن و نصه الكريم الحق وبين حقائق العلم التي أصبحت لا خيار فيها ولا جدال عليها.

رحل الدكتور عبد الصبور شاهين يوم 26 سبتمبر 2010 عن عمر يناهز 82 عامًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الشيخ يوسف البدرى

أجريت حوارات عديدة مع الشيخ يوسف البدرى وزرته فى منزله بضاحية المعادى، كان يسكن فى شقة بمنزل تملكه عائلة الكابتن عبد العزيز عبد الشافى نجم النادى الأهلى الأسبق، كان لا يتردد لحظة واحدة فى الاشتباك القانونى والإعلامى مع كل من كان يعتقد أنه يخالف العقيدة والسنة، ورفع دعاوى قضائية شهيرة ضد علماء وفنانين وعلماء دين رسميين.

شخصية فى ظاهرها ثائرة، وعندما تتعامل معه تكتشف أن هناك شخصية أخرى وفى مواقف يكون حادًا، مثل قضيته مع جريدة الفجر، حيث أقام دعوى ضد جريدة الفجر لقيامهم بانتهاك حريته الشخصية وتصويره دون إذن، تفاصيل القضية كانت بقيام صحفية الفجر فاطمة الزهراء بمقابلة الشيخ يوسف البدرى لعمل (رقية) خاصة بها إلا أنها استطاعت تصويره أثناء قيامه بالرقية نظير مقابل مبلغ مادى يتقاضاه الشيخ مما سبب له حرجًا أمام الرأي العام.

يومها قال الشيخ يوسف البدرى: إن ما قامت به الفجر يعد جريمة شنعاء فى حقه لاقتحام خصوصيته وتصويره دون إذنه وتسجيل أحداث المقابلة.

وأكد أنه سيغرم جريدة الفجر مبلغا قدره مليون جنيه تعويضًا ماديًا وأدبيًا عمّا سببته له.

وخلال اتصال هاتفى مع الكاتب الصحفى عادل حمودة الذي تربطنى به علاقة ود وتقدير لتجربته المهنية جرى التطرق إلى الموضوع فتطوعت بأن أبحث

مع الشيخ يوسف البدرى الأمر وطلبته فى المساء على التليفون، وبمجرد فتح الموضوع غضب غضبًا شديدًا وقال هذا الموضوع غير قابل للنقاش.

ومن الحوارات النادرة معه حوار نشر فى مجلة الأهرام الرياضى، حيث عرضت عليه أن يكون بعيدًا عن الفتاوى والقضايا التي يرفعها ضد من يختلف معهم، وأن يكون الحوار مصورا وهو يمارس الرياضة التي يمارسها دون العمامة والزى الأزهرى، ووافق وارتدى زيًا رياضيًا وذهبت به إلى نادى المعادى وهناك أدى التدريبات على الأجهزة ولعب كرة التنس وقال فى الحوار أنا «زملكاوى أعيش فى بيت أهلاوى.

وجاءت مقدمة الحوار: الشيخ يوسف البدرى رجل مثير للجدل والخلاف، فهو الشيخ المحترف فى رفع دعاوى الحسبة ضد الفنانين والكتاب.. بل يكاد يكون هو الوحيد فى مصر الذي يقف وراء هذه القضايا ويمولها.. خصوماته عديدة وآراؤه متشددة.. هوايته الوحيدة هى ملاحقة المبدعين ومطاردتهم فى ساحات المحاكم لدرجة أن الكثيرين يرون أنه تخطى مرحلة الهواية واحترف المطاردة.

«الأهرام الرياضى» تكشف عن الوجه الآخر غير المعروف للشيخ يوسف البدرى والذي يخلع فيه عمامته الشهيرة ويرتدى «التّرنج»لممارسة الرياضة، خاصة التنس اللعبة المحببة إلى قلبه.. وعندما سألته هل تحرص على مشاهدة مباريات كرة القدم فى التليفزيون؟

قال وهل تظن أن الشيخ ممنوع من مشاهدة التليفزيون؟.. عندى فى البيت تليفزيون، وجهاز فيديو، واتارى وكمبيوتر ومكتبة صوتية وسمعية ضخمة، ثم جاء الحوار المثير معه بعد حوارى مع الفنان عادل إمام الذي قال فيه عادل إمام إنه على استعداد لمناظرة الشيخ يوسف البدرى على الهواء، بالمصادفة كنت أمام سير الحقائب بصالة الوصول بمبنى الركاب رقم 2 فى مطار القاهرة بعد عودته من باكستان، وشاهدته وصافحته كان كمن يبحث عنى وقال لى أود الرد على حوارك مع الفنان عادل إمام وقال إن: وكالة الأنباء الفرنسية اتصلت بى وطلبت منى التعقيب على كلامه واستعدادى لمناظرته، رحبت بالحوار معه وأجريت معه حوارا نشر فى المجلة بعنوان»أخلع عمامتى لو عرف الزعيم نواقض الوضوء». وكان الحوار المثير لمجلة نصف الدنيا وجاءت مقدمته: على مدى السنوات الماضية لم يفوّت الشيخ يوسف البدرى أي فرصة للانقضاض على خصومه وإظهار أنه عالم الدين الأول، لدرجة أنه بات فى نظر الكثيرين ظاهرة صوتية لا تتوقف أبدًا عن الكلام، فهو لا يفرّق بين خصومة، لدرجة أن رفيق الأمس الدكتور عبدالصبور شاهين أصبح عدو اليوم، وطالته اتهاماته القاسية وتهديده بسحبه إلى ساحة القضاء لمحاكمته على كتابه المثير «أبى آدم» واشتعلت المعركة بين الرجلين وتندر الناس بأن

لعنة الدكتور نصر أبو زيد أصابتهما ـ- يوسف البدرى يشتبك على كل الجبهات مع الدكتور شاهين ويستخدم كل الأسلحة لإثبات أن كتابه ضد الإسلام والدين.

حاورته حول موقفه المتشدد من الكتاب ومؤلفه ولماذا هذا الهجوم عليه؟ وتمسكه بمناظرته وحقيقة خلق آدم.

الشيخ يوسف البدرى توفى 23 فبراير 2014.

جاء عنوان الحوار الشيخ يوسف البدرى: لن أترك عبدالصبور شاهين حتى يتوب

والسؤال الأول لماذا اتهمت الدكتور عبدالصبور شاهين بالكُفر؟

- لم اتهمه بالكفر.

بماذا إذن اتهمته؟

- اتهمته بأنه ألف كتابًا قلب فيه تعاليم الإسلام رأسًا على عقب.

كيف قلب تعاليم الإسلام؟

- أنكر آيات فى القرآن الكريم وأوّلها وأخرجها عن مضمونها وأنكر السُنة النبوية المطهرة وخضع لآراء علمية لا تثبت ولم تثبت حتى الآن من أجل أن يلغى نصف الإسلام.

تحديدًا ما اعتراضاتك على كتابه «أبى آدم»؟

- أولا أنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة، ذلك أنه فى كل ما ساقه أنكر خلق الإنسان وأنكر خلقه من تراب.

ثانيا: أنكر نصف الإسلام، حيث أعرض عن ذكر الأحاديث الصحيحة لأنها ضد ما ذهب إليه واختار أحاديث موضوعة ومكذوبة.

ثالثا: لوَى أعناق النصوص والأدلة لكلام مراده.

رابعا: عدم الأمانة العلمية، حيث ينقل من الكتب ومع ذلك لا يذكر شيئا عما نقل.

خامسا: فتح باب التأويل بدون ضابط وهذا باب خطير لو فتح من الصعب أن يغلق.

سادسا: أساء الأدب عند الحديث عن الله تعالى، حيث يذكر ألفاظا لا تليق بمقام الله.

وأخيرًا: ينسب العصمة لنفسه ويرى كلامه هو الحقيقة الوحيدة ويؤكد ذلك بقوله إنه وصل إلى حقائق حاسمة لا تُنْقَضُ.

وكيف تقول إنه أنكر آيات فى القرآن؟

- هو أنكر معنى بعض الآيات وظاهرها وأتى بنظرية لم يقل بها أحد منذ 14 قرنًا من الزمان.

ما هذه النظرية؟

- إن سيدنا آدم ليس أول الخلق، وإنما أول الخلق البشر، وأنهم أتوا قوما همجا سفاحين، هؤلاء البشر السفاحون هم آباء آدم وآدم ابن لهم.

هل إنكار آيات من القرآن يرقى إلى الكُفر؟

- دعك من الكفر ولكننى أقول إن عقيدته على خطر عظيم، لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، الدكتور شاهين قال آدم ابن البشر فى حين الرسول عليه الصلاة والسلام قال آدم أبو البشر وأنا أسأله، أأسمع لك يا دكتور أم أسمع لرسول الله؟!!

لماذا لم يعترض غيرك والمحامى السعودى على كتابه؟

- من قال هذا هات لى شيخا يُقر بهذا.

لكن لم يعترض أحد عليه، صح؟!

- بدورى انا يوسف البدرى أقول لم يعترض أحد على الدكتور نصر حامد أبوزيد وهذا سر.

الدكتور عبدالصبور شاهين هو أول من اعترض؟

- لم يعترض ـ- تقريره موجود ولم يقل فيه أبدًا شيئا فى الإسلام، قال «كتب لم ترق إلى المستوى العلمى الذي يمكن أن يأخذ به درجة الأستاذية، ومع ذلك ألف الأستاذ عبدالله حسين الموجان وهو صديق شخصى لعبد الصبور شاهين كتابًا يعترض فيه على كتاب «أبى آدم».

لماذا لم يعترض الأزهر الشريف عليه طالما هو ضد الإسلام؟

- الأزهر هو الذي يُسأل وأنا لا أتطوع بالإجابة عن الأزهر.

هل أنت أحرص من الأزهر الشريف على الدين الإسلامى؟

- كل هذا لا أستطيع الإجابة عنه، أنا لىّ سؤال هو: آدم هل خُلِقَ من تراب أم له أبوان؟

الدكتور عبدالصبور مع دارون فى خانة واحدة، دارون قال: إن آدم من أب قرد وأم شامبنزى، وهو قال: آدم مولود من بشر همج صم بكم، فالفرق بينهما لا شيء.

متى قرأت هذا الكتاب لأول مرة؟

- منذ شهور واستغرقت قراءته منى شهرين واكتشفت أنه أخذ كلامه من كاتب شيوعى وما قاله الشيوعى هو ما قاله عبدالصبور شاهين.

فرق بين البشر والإنسان. هو قال ألفت كتابى فى 25 عامًا، والشيوعى قال الكلام نفسه، وقال إن البشر مرحلة سابقة للإنسان والشيوعى ذكر الكلام نفسه.

من الشيوعى هذا؟

- المهندس محمد شحرور.

عفوا لماذا تتشدد فى اعتراضك على كتاب ألفه عالم دينى معروف؟

- ما دخل عبدالصبور شاهين بالإسلام؟ هو عالم صوتيات فى الأصوات وفى فقه اللغة لم يتخصص فى التفسير ولا فى الفقه ولا فى الحديث، وهو أنكر الأحاديث الصحيحة واستشهد بالأحاديث الموضوعة وأنا أتحداه أن يجلس أمامى.

ولكنه يرفض مناظرتك، هذا صحيح؟!

- هو قال إنى لست من مستواه، وأقول إن مادح نفسه يقرئُك السلام، و أتحداه أن يفرّق لى بين الرأيين و القولين والوجهين فى المسألة.

لو فرَّق بينهما أنا أوافقه على كل ما قال.

ما المسألة؟

- أية مسألة تقول الفرق بينهم.

لماذا إثارة هذا الموضوع فى هذا التوقيت والكتاب صدر منذ عام مضى؟

- لأن عبد الصبور شاهين بهذا الكتاب أشد خطرًا على الإسلام من أعدائه، لقد فتح باب التأويل وهو أستاذ جامعى، أسأله هل كتب كتابه بمنهج علمى، هو سطا على آراء كثيرين، سطا على كتاب «بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز» للفيروز أبادى وأخذ منه تعريف السجود وهو رأي ضعيف ونبذناه، أخذ من الشيخ عبدالوهاب النجار الحوار النفسى ولم ينسبه لأحد،

أخذ مسألة البشر والإنسان من الشيوعيين ونسبه لنفسه كل كتابه تلفيق من آراء عدة نسبها لنفسه.

هناك من يقول إنك باحث عن الأضواء بإثارة هذه القضية؟

- هذا حساب النوايا.

بدليل أنك طلبت مناظرته فى التليفزيون؟ فما ردك؟!

- وهل المناظرة أضواء؟ أنا أرسلت له رسالة منذ شهور أطلب منه فيها التوبة، ولو كنت باحثًا عن أضواء لكنت أرسلتها إلى الجرائد.

هل تعتقد أن المناظرة التليفزيونية حلٌ لمناقشة قضية شائكة كهذه؟

- نعم والقاعدة الفقهية عندنا تقول إذا نشرت كلامي جهرًا فلابد من مناقشته جهرًا.

ما الذي تريده تحديدًا الآن؟

- أن يقف عند هذا الحد. ولابد أن يقف، ولابد أن يتوب، ولابد أن يقر أنه تلميذ «دارون»، يا فرحة الشيوعيين به، نحن نقول إن آدم بداية الخلق الإنسانى البشرى.

ولكنه يقول إن هناك تلميحات لابن القيم تشير إلى أن هناك «أوادم» كثيرين قبل آدم؟

- هذا الكلام قاله أبو العلاء المعرى، وقال جائز أن يكون آدم هذا قد أتى على إثر آدم، هذا كلام قيل من قبل والكلام نفسه قاله سيد القمني.

ما الفرق إذن بين سيد القمني وعبدالصبور شاهين؟

- هما يحتكمان إلى الأحجار ويبطلان كلام الخالق الجبار، أنا ضد سيد القمني وأقول إن عبدالصبور شاهين يحتكم إلى أحافير.

ولكن هل تنكر أن ابن القيم قال ربما كان هناك «أوادم» كثيرون؟

- لم يقل هذا.

ولكنه يستشهد بالقول «إن الله اصطفى آدم»، ويقول معنى «الاصطفاء» أنه اختاره.

- الحديث الشريف يقول إن الله خلق الخلق واختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم قريشًا واختار من قريش بنى هاشم وأنا خيار من خيار من خيار.

«الاصطفاء» معناه أنه اختاره من دون الخلق كلهم ليكون خليفته.

وما سر رفضك الاجتهاد؟

- لأن الخلق لا يأتى بنظرية، هذا غيب.

ما الفرق بين كلمتى الإنسان والبشر؟

- الإنسان والبشر مخلوق واحد خلق فى وقت واحد، ولكن كلمة «بشر» المخلوق الراقى وهذا عكس ما قاله، والإنسان المخلوق المنحط بدليل أن كلمة إنسان فى القرآن لم تأت إلا فى أسوأ الصفات.

هل حقا عملت من قبل مصححًا فى مطبعة؟

- لم يحدث وأنا خريج دار العلوم مثله تمامًا وهو متخصص فى علم اللغة والصوتيات ولو فرَّق بين الدليل الفقهى والقاعدة الفقهية وبين الأصل الفقهى وبين الفرع الفقهى، أنا أريد أن يفرّق بين الأربعة وأريد أن يقص علىّ واحدة من الـ400 قاعدة فقهية.

لكن أنت عملت فى دار نشر من قبل؟

- كنت مفتى دار النشر وجميع كتبه التي كانت تنشر فى هذه الدار كان لابد من الحصول على موافقتى حتى تُطبع وأكتب عنها تقريرًا أنها تستحق الطبع.

معنى هذا أنك لا تفرّق بينه وبين نصر حامد أبوزيد فى هذه القضية؟

- نصر حامد أبوزيد اتخذ طريق الإلحاد وهو التأويل ليفرّغ القرآن من مضمونه، عبدالصبور شاهين فتح الباب نفسه فهو أوَّلَ معنى الشجرة وأوَّل معنى الملائكة وبالتالى فتح باب التأويل.

ولكنه يقول إن باب التأويل مفتوح؟

- لقد اتفق الفقهاء أن المتشابهات لا تؤول والمتشابهات.. هذا متشابه لقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» صدق الله العظيم.

برأيك ما الفائدة التي تعود من هذا الجدل؟

- حماية الناس وعصمة الدين من الزيف والضلال.

وفائدته هو؟

- هو مجتهد يعتقد أنه لو أخطأ له أجر وإن أصاب له أجران.

ولكن لا تنس أنه هو الذي فجر قضية الدكتور حامد أبوزيد؟

- هو لم يفجرها.

ومن الذي فجرها؟

- الشيوعيون والعلمانيون.

وماذا كان دورك؟

- كنت شاهد إثبات فيها وشكلنا فريقا من 8 أشخاص ضد «أبوزيد»يضم الدكتور شعبان إسماعيل من جامعة الأزهر والمحامى صميدة ويوسف البدرى والشيخ جمال قطب والدكتور إسماعيل سالم وفؤاد مخيمر والراحل الدكتور رزق الطويل.

إذن دورك كان شاهد إثبات فقط.

- بل كنت أيضا الناطق الصحفى عن رافعى القضية.

ولماذا قال المحامى محمد صميدة بأنك لا علاقة لك بالقضية ونشرت الصحف ذلك؟

- هذا الكلام قاله فعلا لأنه كان خائفا من اتهامه بأننا كَوَّنَّا تنظيما سريًا وبعد نشره هذا الكلام اتصلت به وقلت له كيف تكتب هذا الكلام يا رجل؟ فقال لى.. إنهم يتهموننا بتشكيل تنظيم، فقلت أنا لوحدى وراء القضية، وقال لى معلهش يا شيخ.

هل حقًا حماقة يوسف البدرى هى التي ألغت قانون الحسبة؟

- حماقتى هذه هى التي تحمى عبدالصبور شاهين من تطليقه من زوجته ولولا هذا القانون لكان حكم بتطليق زوجته منه فى أيام، خاصة وأن فريقا من المحامين اتصلوا بى وطلبوا رفع قضية ضده.

إلى أي مدى تخالفه توقعه بأنه ربما ينال مستقبلا وساما على كتابه؟

- لو رأي أذنه بعينه سينال هذا الوسام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الدكتور مصطفى محمود

مر الدكتور مصطفى محمود فى سنوات عمره الأخيرة بالأزمة الشهيرة بسبب كتابه «الشفاعة» عندما قال: إن الشفاعة الحقيقية غير التي يروج لها علماء الحديث، وأن الشفاعة بمفهومها المعروف أشبه بنوع من الواسطة والاتكالية على شفاعة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعدم العمل

والاجتهاد، أو أنها تعنى تغييرا لحكم الله فى هؤلاء المذنبين، وقتها تعرض للهجوم وصدر 14 كتابًا للرد عليه. فى حينه أجريت معه حوارًا نشر فى مجلة الأهرام العربى يوم 8 أبريل عام 2000 حول كتابه «الشفاعة» حيث زرته فى شقته الصغيرة التي تطل على مشروعه الخيرى فى المهندسين وهى شقة متواضعة من حجرتين وأتذكر يومها من فرط بساطته أنه قابلنى وهو يرتدى ثياب البيت «البيجامة»وقال: نصًا أنا لم أنكر الشفاعة وأمنت بها وبحقها وبشروطها وأنكرت المنكر، وحينما كتبت عن الأقوام الذين لا تجوز فيهم شفاعة، قالوا إن الآية التي ذكرتها هى عن الكفار وأننى أغفلت السياق ولا أعرف كيف أقرأ القرآن. فرددت عليهم بآية أخرى يقول ربنا فيها «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين». وقلت أليس هؤلاء مسلمين يدخلون النار والآية الأخرى التي يقول فيها ربنا، «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما» وتساءل الدكتور مصطفى محمود هل هذا القاتل المسلم الذي قتل أخاه المسلم نفعه إسلامه أو أنقذته شفاعة، ويكمل إذن لا شفاعة إلا لله. وبعد نشر الحوار تلقيت ردا منه ليس على مضمونه الذي جاء كما قال نصا بل على نشر صورة مع الحوار كانت فى سنوات شبابه وهو يمسك آلة العود ويحتضن صغيره واعتبر أنها فى غير السياق.. و لم تكن من اختيارى بل كانت رؤية زميل غيرى، ولا أدرى هل طيبت خاطره يومها أم لا؟

أنشأ فى عام 1979 المشروع الخيرى الشهير فى المهندسين المعروف بـ «مسجد مصطفى محمود». ويتبع له ثلاثة مراكز طبية تهتم بعلاج البسطاء، عاش ومات بسيطًا متواضعا وكان سابقا بفكره عندما أسس هذا الصرح الذي بات من أكبر المؤسسات الخيرية فى مصر التي تقدم الخدمات الصحية للمحتاجين. واشتُهِرَ من خلال برنامج العلم والإيمان الذي كان يقدمه وهو أشهر برنامج فى تاريخ التلفزيون المصرى عن علاقة العلم والدين وكان يقدمه بطريقة علمية سهلة تستحوذ على اهتمام جموع المشاهدين.

من مواليد 27 ديسمبر 1921 وتوفى فى 31 أكتوبر 2009.

كان عنوان الحوار الدكتور مصطفى محمود: لم أنكر الشفاعة.. أنكر عذاب القبر

السؤال الأول هل تشعر بالصدمة بسبب رفض علماء الأزهر لكتابك «الشفاعة».؟

كان استقبال كتابى «الشفاعة» استقبالا حادًا عصبيًا أشبه بالتشنج.

هناك 12 كتابا صدرت للرد على كتابك؟

أنا أشعر بالدهشة، فأنا أعلم تماما ماذا كتبت وماذا قلت وأعلم بقينا أننى لم أنكر الشفاعة ولم أنكر السنة فى أي صفحة من كتابى وكل ما قلته إن الشفاعة شأن إلهى وأن الله قال لرسوله فى القرآن الذي أنزله عليه «قل لله الشفاعة جميعا» وتكرر ذلك فى ثلاث آيات بصيغ مختلفة وعَلَّمنا الله فى صريح قرآنه ذلك وقال «ما من شفيع إلا من بعد إذنه» سورة يونس

وقال «لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء» سورة النجم وقال «ولايشفعون إلا لمن ارتضى» سورة الأنبياء قرآن محكم يؤكد أن الشفاعة مشروطة وليست نهبا لأي طامع

معنى هذا انك لم تنكر الشفاعة؟

أنا ما أنكرت الشفاعة وإنما أمنت بها بحقها وبشروطها

وما الذي أنكرته إذن؟

انكرت المنكر وحينما كتبت عن الأقوام الذين لا تجوز فيهم شفاعة قالوا إن الآية التي ذكرتها هى عن الكفار وأننى أغفلت السياق ولا أعرف كيف أقرأ القرآن، فرددت عليهم بآية أخرى يقول فيها ربنا. «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين» سورة النساء وقلت أليس هؤلاء بمسلمين يدخلون النار خالدين فيها وما هم منها بمخرجين والاية الأخرى التي يقول فيها ربنا «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما» سورة النساء، هل هذا القاتل المسلم الذي قتل أخاه المسلم نفعه إسلامه آو أنقذته شفاعة؟! إذن لا شفاعة إلا لله.

لماذا كان الحديث منك الآن وتحديدا عن الشفاعة؟

الشفاعة موضوع لا ينتهى الحديث فيه، لأن الكثيرين يعتقدون أن الشفاعة بوابة للتواكل.

كيف؟

البعض يعتقد فى المثل القائل: «اعمل اللى يعجبك وصلى على اللى يشفع فيك» هذا هو المثل السائد.

ولكن ما السر فى طرحك لهذا الموضوع رغم أنه قائم منذ عقود؟

هذا موضوع مثار منذ سنوات طويلة وتناولته كتابات عديدة والكلام أعيد فيه أكثر من مرة

وما دافعك من وراء إثارته؟

شئ طبيعى أن أتناول قضية النهاية، لأنها تهم كل إنسان«

ولكن البعض يرى فى تناولك لموضوع الشفاعة مجرد تشكيك وإثارة؟

هذه شعارات يرددها البعض حتى خطباء المساجد التقطوا هذه الشعارات ليرددوها فى ببغائية دون نظر موضوعى ودون أي قراءة موضوعية للكتاب، القرآن يؤكد أن الشفاعة مشروطة وليست نهبا لأي طامع.

وهل الاجتهاد فى مثل هذه القضايا فى صالح الدين؟

فى المسائل الخلافية يصبح الاجتهاد امرًا ضروريا

ولكن لماذا كان الاعتراض على اجتهاد الدكتور نصر حامد أبو زيد والدكتور عبدالصبور شاهين؟

الدكتور نصر حامد أبو زيد لم يجتهد، لأنه يقول أشياء غريبة مثل قوله إن القرآن من تأليف محمد وهذا ليس اجتهادا

أما الدكتور عبد الصبور شاهين، فأعتبره اجتهد فى كتابه «أبى ادم» وأنا سبق لى تناول هذا الموضوع فى كتابى «القرآن محاولة لفهم عصري» والذي عرضت فيه موقف الدين من قضية التطور وإلى أي مدى هو مع أو ضد التطور.

وهل تعتقد مثله أن قبل آدم «أوادم» كثيرين؟

نعم وبعض علماء الدين أكدوا هذا الكلام

من إذن تنطبق عليه شروط الاجتهاد؟

أهل العقول، ومادام الإنسان يستطيع أن يبرهن على كلامه.

بماذا ترد على قول الكثير من علماء الدين بأنك غير متخصص فى الدين؟

نعم هم قالوا أننى لست متخصصا فى الدين لكونى طبيب أمراض صدرية ولا يجوز لى أن أتكلم فى الدين وبدورى أتساءل.. هل القرآن نزل للمتخصصين؟ هل نزل لـ الأزهر ورجاله، هل كان أبو بكر وعمر وعلى وعثمان رضى الله عنهم متخصصين؟! لقد كان عثمان تاجر أقمشة وكان على صبيا، ليس فى ديننا كهنوت ولا طلاسم.

قضية الشفاعة من وجهة نظرك هل تخدم الدين؟

تخدمه جدا حتى يعرف الناس الحقيقة وأن الآخرة ليست فيها واسطة ولن يأتى أحد بشفاعة.

وماذا عن شفاعة الرسول؟

«ما من شفيع إلا بعد إذنه» ولو ربنا أراد أن تكون له شفاعة لفعل

وما صحة الحديث الشائع من زار قبرى وجبت له شفاعتى؟

«اركن» كل هذه الأحاديث، أنا أتحدث بالقرآن. القرآن يقول «ما من شفيع إلا من بعد إذنه» وهل هناك أحد أرحم من ربنا؟! هو سمى نفسه أرحم الراحمين.

ولماذا أنكرت عذاب القبر؟

هذا كلام فى غيب.. لا يوجد شيء اسمه عذاب القبر فى القرآن كله.. لأن الإنسان فى نفس لحظة موته يبدأ حسابه والآية الصريحة فى القرآن الكريم تقول «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ». انتهت الآية أين عذاب القبر هنا؟! العذاب يبدأ منذ لحظة الحشرجة.

معنى كلامك أنه لا يوجد شيء اسمه عذاب القبر؟

الحديث عن شيء اسمه عذاب القبر جدل فى جدل وكل إنسان حر فى أن يُكَّذِبَ أو يُصَدِّقَ كلامي

ولكن أنت أول من ينكر عذاب القبر؟

علماء غيرى قالوا هذا الكلام ولكن أنت لا تقرأ، الناس فى غفلة ويصدقون الكلام الفارغ والكتب المنتشرة على الأرصفة

عفوا يا دكتور، لك تجارب سابقة مثيرة للجدل ولهذا يخشى البعض من أن تتراجع مستقبلا عن رأيك المعلن الآن فى الشفاعة وعذاب القبر؟

الشفاعة وعذاب القبر هذه قضايا تحتاج إلى فهم، ورأيى فيهما يستند إلى القرآن الصريح ومَنْ هُمْ ضدى على خطأ فاحش.

ولكن علماء الأزهر خاصة الذين يفهمون القرآن معى

ولكن الأكثرية من علماء الأزهر ضدك؟

من هم ضدى لا يفهمون القرآن

ولكنك قلت إن كتابك الشفاعة مجرد اجتهاد؟

فى الشفاعة لا اختلاف إلا عند المجموعة التي تصر على أنه توجد فى الآخرة واسطة ومحسوبية

ولكنه حدث اختلاف؟

بسبب «البهايم» الذين لايفهمون الدين

وهل تنسى أن الأزهر ضدك؟

الأزهر مؤسسة فيها المخلص وفيها غير المخلص ولا يجب النظر على أن كل علماء الأزهر فوق مستوى النقد، بدليل أن كل الأطباء يتخرجون فى كلية الطب. ومع هذا نجد طبيبا «حمارًا» وطبيبا آخر نابغة، فلا يجب الحديث عن علماء الأزهر بهذه الصورة وإن كل ما يقولونه هو الصحيح وما يقول غيرهم هو الخطأ.

بمن تعترف من بين علماء الإسلام؟

اعترف بالصح وليست لى علاقة بالأشخاص القضية فيها أهل الصواب والخطأ. أهل الصواب على عينى ورأسي

وهل قلت إن فى النار أشجارا تعيش؟

توجد نظرية حتى بين علماء الدين تقول ذلك والنار من الحاجات الغيبية وعندما يقول الله عن شجرة «الزقوم» «إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» سورة الصافات. أو أن الناس وهم يعذبون فى النار يشربون ويسميه ماء الجحيم إذن الجحيم فيها ماء وفيها شجر إذن معنى هذا أنها نار غير النار التي نعرفها، بدليل أن الناس يتكلمون وهم فى النار بل ويتلاعنون.. إذن الإنسان بعد البعث مختلف.

وهل لهذا قلت إن الألم فى النار ألم لذيذ؟

لم أقل هذا من قبل.

وما جدوى الحديث عن الغيبيات؟

هذا ليس غيبا

ولماذا اعترضت على صحيح البخارى؟

لان صحيح البخارى ليس كله صحيحا

وما الأدلة؟

قصة سيدنا موسى الموجودة فى صحيح البخارى والتي تقول إن سيدنا موسى ضرب مَلَكَ الموت عزرائيل على عينه، عندما أرسله ربنا له ليقبض روحه، فيرفض سيدنا موسى أن يموت ثم يضرب المَلَكَ على عينه، فيفقأ عينه، فيعود عزرائيل إلى ربنا يشتكى من موسى الذي فقأ له عينه، فيرد له الله بصره هذه قصة فى البخارى هل يمكن تصديقها.

وهل تطالب بمراجعة الأحاديث؟

لا بُدَّ من تنقية السنة وتنقية كل التراث الإسلامى وهذا ليس بدعة، لأن رواة الأحاديث أنفسهم يعترفون بأن هذا حديث ضعيف وهذا موضوع.

وما هى الجهة التي تناط بها هذه المهمة؟

الأزهر طبعا هو المسئول عن مهمة كهذه وهذا هو دوره الحقيقى ويجب عليه أن يفعل هذا

هل تعتقد أنه دُسَّ كما تقول هذه الأحاديث فى صحيح البخارى؟

الأحاديث المدسوسة خاصة واقعة سيدنا موسى مع مَلَكَ الموت عزرائيل دسها دون شك الإسرائيليون وهى إسرائيليات.

بموضوعية ما هى مصلحتهم فى ذلك؟

حتى يظهر سيدنا موسى على أنه شيء عظيم وأنه تمكن من ضرب مَلَكَ الموت وللأسف يتشدق البعض بصحيح البخارى ويقولون كيف تتجرأ على صحيح البخارى.

عفوا يا دكتور لماذا تشاهد عروض الأزياء؟

حتى أستطيع الحكم عليها

وما جدوى حكمك وأنت عالم الدين على الأزياء؟

وكيف أحكم عليها من دون مشاهدتها، لا بد وأن أشاهدها حتى أستطيع الحكم عليها

وما أهمية الحكم عليها؟

أليست عروض الأزياء حدث ضمن أحداث الحياة؟!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى منزل أيمن الظواهري

على مدى أسبوعين متتاليين نعت أسرة الدكتور أيمن الظواهرى زوجته السيدة عزة نويرة وابنه الولد الوحيد محمد اللذين لقيا مصرعهما فى غارة جوية بجبال «تورا بورا «بأفغانستان شنتها القوات الأمريكية على أعضاء تنظيم القاعدة الذي كان يتزعمه أسامة بن لادن، المتهم الرئيسى فى أحداث 11 سبتمبر 2001، النعى على غير المعتاد نشر فى المرتين بصفحة الوفيات يوم الجمعة بجريدة الأهرام.

واقعة نشر غير مسبوقة فى التاريخ، منسوبة لعائلة أشهر مطلوب للعدالة فى مصر والعالم والرجل الثانى من حيث الأهمية التي كانت تبحث عنه الولايات المتحدة الأمريكية، كنت قد قرأت النعى بجريدة الأهرام وكان صباح يوم الجمعة، فى مساء نفس اليوم قررت الذهاب إلى ضاحية المعادى بفضول الصحفى لحضور العزاء.و محاولة التعرف عن قرب على عائلته ويومها أجريت حوارات خاطفة ونحن فى مراسم العزاء مع شقيقته وزوجها وشقيق زوجته نشرت فى مجلة الأهرام الرياضى يوم 6 ديسمبر 2001.

بعد أن وصلت شاهدت تجمعا يضم عددا من الرجال والسيدات فى الصالة الرئيسية للمنزل، بينهم والدة الظواهرى وشقيقته وهما غير منتقبتين، بينما جلس عدد قليل فى حجرة ملحقة بقاعة الاستقبال يشاهدون التلفزيون الذي كان مفتوحًا على قناة الجزيرة ومتابعة نشرة الأخبار فى وقت كانت قناة الجزيرة تستحوذ على اهتمام المشاهد فى مصر والعالم العربى.

بعد أن دخلت اتجهت مباشرة إلى الحجرة الملحقة بالصالة الرئيسية، وهو مكان أكثر خصوصية كنت شخصا غير معرف لعائلة الظواهرى، ولا لعائلة زوجته، فى حين أن غالبية الحاضرين من العائلتين.

بعد مرور بعض الوقت حضر رجل مهذب وجلس إلى جوارى وعرفنى بنفسه وقال أنا الدكتور ضياء دردير زوج الدكتورة هبة شقيقة الدكتور أيمن الظواهرى، قدمت له واجب العزاء وأخبرته بأننى أعمل صحفيا فى جريدة الأهرام، وأود كتابة موضوع صحفى عن عائلة الظواهرى، وأتمنى أن تتاح لى الفرصة للقاء والدة أيمن الظواهرى، فاعتذر عن عدم تحقيق هذه الرغبة بسبب سوء الحالة النفسية التي تمر بها، لكنه كان ودودا لا يتردد فى الإجابة على أسئلتى ودار حديث طويل وسألته عن كيف تلقوا خبر مصرع الزوجة والأولاد؟ وبدأت فى طرح بعض الأسئلة حول شخصية أيمن ومتى سافر؟ لماذا تطرف بهذا الشكل؟ وآخر مرة تحدث فيها مع والدته، وكيف تواصلت معه الأسرة وهو هارب فى أفغانستان.

كررت رغبتى فى مقابلة الأم، لكنه اعتذر من جديد عن عدم تحقيق تلك الرغبة، مؤكدا على أنها فى حالة نفسية سيئة واعتذرت للجميع عن عدم الكلام بالمطلق، وقال إن صهره له شقيقان وشقيقتان وأن الأسرة فى مصر تعيش ظروفا نفسية صعبة بسبب الأطفال وقال كل ما نرجوه هو عدم الإساءة إليه من خلالنا.

وقال عرفنا بخبر مصرع زوجة أيمن وأطفاله من خلال الأخبار التي بثتها قناة الجزيرة وروى لى قصة مغادرة الظواهرى مصر إلى المملكة العربية السعودية، ثم بعدها انتقل إلى أفغانستان وقال إنه كان يمتلك عيادة طبية فى

المعادى وما تزال لافتة حتى توقيته باسمه معلقة عليها، وكشف عن أنه قبل سفره إلى المملكة العربية السعودية تم القبض عليه وقضى فترة محبوسا بسبب انتمائه للجماعة الإسلامية، وبعد وصوله أفغانستان كان يرسل خطابات إلى أمه لاتزال تحتفظ بها مع بعض الصور لكن فى السنوات الأخيرة انقطعت الاتصالات.

بعد ذلك جاءت شقيقة أيمن الدكتورة هبة وهى تعمل أستاذ مساعد فى المركز القومى للبحوث، وكانت شديدة الانفعال، غاضبة جدا من تجاهل المسئولين فى مصر، وعدم اهتمام وسائل الإعلام بقضية مصرع عائلة شقيقها، وعدم التحرك من قبل الدولة المصرية لإعادة بناته الصغار وإنقاذهن من القصف، وقالت إنها أرسلت خطابات مناشدة لرئاسة الجمهورية وإلى كبار الكتاب حتى يدافع هؤلاء عن حقوق عائلة الظواهرى المواطن المصرى. ومن بين هذه الخطابات خطاب إلى الكاتب الصحفى سلامة أحمد سلامة وهو الوحيد الذي تفاعل معها ونشر رسالتها فى عموده اليومى بجريدة الأهرام.

كما قالت نحن فى موقف نتمنى فيه الاطمئنان على زوجته وبناته الصغار الذين لا تتجاوز أعمارهن العاشرة فقد أصبحن بلا مأوى أو عائل وسط الجبال والثلوج فى أفغانستان، وهما أطفال أبرياء ولا مجال للكلام عن أيمن كما نتمنى من وسائل الإعلام عدم تحميلنا ما لم نصرح به وإلصاق أقوال وتصريحات منسوبة لنا لم نقلها.

يومها قال المهندس عصام نويرة شقيق زوجة أيمن الظواهرى إنه لم يقابل شقيقته منذ 17 عامًا وكان ذلك فى عام 2001 وأن الأسرة غير متأكدة من وفاتها ووفاة ابنها محمد، وعن سر مبادرة الأسرة بنشر نعى على مدى أسبوعين فى صحيفة الأهرام يؤكد وفاة شقيقته ونجلها، قال هذا ما عرفناه من الإعلام ولم نجد وسيلة غير هذه خاصة بعد أن بدأ الناس يقدمون لنا واجب العزاء، وبالتالى كانت رغبة والدى الذي رأي ضرورة نشر نعى تكريما شقيقتى الوحيدة وحتى نحسم الأمر.

قال إن شقيقته حاصلة على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة وأنها تحجبت وهى فى الجامعة ثم ارتدت النقاب بعد ذلك وبعد التخرج تزوجت من أيمن الظواهرى دون سابق معرفة، حيث جاء الزواج عندما رشح البعض شقيقتى له، لأنه كان يبحث عن زوجة منتقبة وسافرت معه إلى المملكة العربية السعودية حيث كان يعمل هناك فى أحد المستشفيات، وبعد ذلك رحلت معه إلى أفغانستان وكانت حتى خمس سنوات مضت تتصل بنا أو ترسل لنا بعض الخطابات تحكى فيها عن حياتها وظروفها ولكن منذ ذلك التاريخ انقطعت كل أخبارها، ولم نشاهد من أطفالها سوى الابنة الكبرى فاطمة والتي ولدت فى

مصر قبل سفرها وتركتها مع والدتى وبعدها سافرت والدتى بها إلى السعودية.

وعن أيمن الظواهرى قال: كان شخصًا عاديًا خلال تواجده فى مصر ووالده كان أستاذا فى كلية الصيدلة ووالدته لا ترتدى النقاب وكان يصلى ويصوم فقط ولم أشاهد منه أي اتجاه سياسى ولم يكن يخطر ببالى ما حدث بعد ذلك.

عندما أعود إلى الحوار الخاطف مع الدكتورة هبه شقيقة الظواهرى، أتذكر كم كانت عاتبةً على الدولة المصرية وعلى وسائل الإعلام بدعوى أنها تتجاهل مناشدتها، لم أجد حرجا من أن أذكر أمامها أن من تتحدث عنه هو متورط فى تفجير السفارة المصرية فى باكستان وغيرها من العمليات الإرهابية، فكيف تتوقع من الدولة أي دور غير القبض عليه، يومها ردت أنها تتحدث عن الأطفال الأبرياء الصغار وقالت أنها أرسلت رسائل إلى رئيس الجمهورية وإلى عدد كبير من كتاب الأعمدة الصحفية وجاءت الاستجابة الوحيدة من كاتب واحد فى جميع المؤسسات الإعلامية.

التقارير الإعلامية المتداولة عن أيمن الظواهرى (69 عاما)، تعتبره القائد الأول لتنظيم «القاعدة»بعد أن قتلت وحدة قوات خاصة تابعة للبحرية الأمريكية أسامة بن لادن العقل المدبر للتنظيم فى مدينة أبوت أباد الباكستانية عام 2011.

ولديه قائمة طويلة من الأسماء المستعارة التي تشمل أبو محمد، الطبيب، المعلم وعبدالقادر عبدالعزيز عبدالمعز، الدكتور، أبو فاطمة، عبدالمعز، نور، الأستاذ، وأيمن الظواهري.

يتورط الظواهرى فى هجمات إرهابية مثل تفجير السفارة المصرية عام 1995 فى إسلام آباد بباكستان ولعب دوراً بارزاً فى سلسلة منسقة من تفجيرات السفارات الأمريكية عام 1998 فى شرق أفريقيا.

وبعد صعود «داعش»المفاجئ منذ حوالى خمس سنوات بعد الانفصال عن «القاعدة»، خرج الظواهرى للتنديد بوحشية التنظيم المنافس، فى محاولة استراتيجية لعدم تنفير شرائح واسعة من المعارضين لعقلية «داعش»

قناة «السحاب» لسان حال القاعدة نشرت عبر حسابها على «تليجرام» رسالة من الظواهرى مدتها 44 دقيقة تؤكد على الوحدة بين التنظيمات وتذكر بعصر بن لادن فى محاولة لاستثارة حمية الشباب المغرر بهم.

ريتا كاتز، المديرة التنفيذية لـ«معهد البحث عن الكيانات الإرهابية الدولية» (سايت)، ذكرت أن الظواهرى أحد المتواطئين فى هجمات الحادى عشر من

سبتمبر، لا تزال هناك اختلافات بين أجهزة الاستخبارات حول موقعه الحالي، ففى أوائل عام 2017، كان التركيز على باكستان باعتبارها الملاذ المحتمل، وفقا لمصادر أمريكية إلا أنه فى الآونة الأخيرة، حدد عملاء استخبارات فى الولايات المتحدة والشرق الأوسط موقعه فى المناطق القبلية غير الخاضعة لسيطرة أفغانستان المجاورة لباكستان، ومع ذلك، قال مصدر رفيع المستوى أيضًا لـ«فوكس نيوز» إن سوريا يتم تمشيطها أيضًا كاحتمال كبير.

بينما أشار ستيفن ستالينسكي، المدير التنفيذى لمعهد بحوث إعلام الشرق الأوسط (ميمري) ومؤلف كتاب «خائن أمريكي»، الذي يوثق حياة أمريكى مقرب من الظواهرى إلى تواجد الأخير فى منطقة التضاريس الجبلية الوعرة على الجانب الباكستانى من الحدود الأفغانية.

فى أوائل عام 2016، شنت الولايات المتحدة غارة جوية بطائرة بدون طيار على موقع الظواهرى المؤكد فى وادى «شوال»فى شمال وزيرستان فى باكستان، وفق ما أوردته نيوزويك، لكنه تمكن من الفرار.

قبل عقد، قيل إن الولايات المتحدة شنت غارة جوية على قرية دامادولا الحدودية الباكستانية، بالقرب من أفغانستان، فبناءً على معلومات استخباراتية، كان الظواهرى محصنًا هناك، لكنه لم يكن من بين القتلى.

وقبل ذلك بعام، اعترضت وكالة الأمن القومى اتصالات لتنظيم «القاعدة»موجهة له من موقع فى بغداد إلى مسكنه الذي تعقبته فى باكستان، وفى عام 2008، قال مسؤولون باكستانيون إنهم داهموا منطقة فى شمال غرب البلاد، لكن محاولة الاعتقال جاءت خالية الوفاض.

يقول المحامى منتصر الزيات فى كتابه «أيمن الظواهرى كما عرفته» عندما أُلقى القبض على أيمن الظواهرى يوم 23 /10 /1981 تبين أنه عضو فى خلية سرية تكونت عام 1968، كان هو أمير التنظيم ومشرفا على التوجيه الفكرى والثقافى للجماعة ويقول الظواهرى فى كتابه «فرسان تحت راية النبي»أن إعدام سيد قطب عام 1966 كان بداية لتفاعل ومد إسلامى يرى الجهاد سبيلا للنهوض ومقاومة أنظمة الحكم. كما تأثر الظواهرى بالدكتور صالح سرية، وهو فلسطينى كان مقيما فى مصر أعدم عام 1974 فيما عرف بقضية «الفنية العسكرية»

ويسرد الزيات فى كتابه سافر أيمن الظواهرى بعد الإفراج عنه عام 1985 للعمل طبيبا فى مستشفى بالسعودية لكنه لم يمكث هناك طويلا إذ سافر إلى باكستان

ثم أفغانستان، وكان قد سافر إلى هناك من قبل عام 1980 للعمل مع الجمعية الطبية السلمية.

وفى أفغانستان أعاد الظواهرى بناء تنظيم حركة الجهاد وجمع خيوط التنظيم فى يديه بمساعدة بن لادن، وانتقل الظواهرى بصحبة أسامة بن لادن ومعهما مئات الشباب العرب إلى السودان عام 1993، وبعضهم هاجر إلى اليمن. وكان يقوم بترتيب دخول الشباب مرة أخرى إلى مصر للقيام بعمليات تنظيمية وعسكرية.

وبعد سيطرة حركة طالبان على الحكم فى أفغانستان عام 1996 هاجر الشباب إلى أفغانستان مرة أخرى.، فقد أعلن عن تشكيل حركة الجهاد العالمية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مأمون الهضيبي

كلما اقتربت جماعة الإخوان المسلمين من السياسة احترقت، وخسرت، وكلما صعدت هوت فى القاع، من قبل تم حل جماعة الإخوان مرتين بقرار من الحكومة بعد أن خلطت بين الدين والسياسة وتجاوزت، وأصبحت تشكل عبئا على المجتمع ونسيجه الوطني، وشكلت خطرا كبيرا على هوية مصر الوسطية، وجاء حلها للمرة الثالثة، ويبدو أن هذه المرة ستكون نهاية النهاية للجماعة المثيرة للجدل التي كلما كسبت رضا خسرت أرضا جديدة.

فى فكر الجماعة تختلط المفاهيم ما بين الدين والدولة، وتسيطر دوما على قناعاتها أفكار تميل إلى الصدام وفرض سياسة الأمر الواقع وتغليب التشدد على الوسطية، والسعى نحو الاستحواذ على الوطن ومنع تنوعه ونموه.

عاشت جماعة الإخوان تخطط للوصول إلى سدة الحكم لكنها لم تكن تدرى كيف تتعامل مع كرسى الحكم بعد أن تجلس عليه، وارتبكت وأربكت الوطن كله معها وفقدت الرصيد والإسم.

الإخوان المسلمون جماعة وجمعية كانت حديث العالم بعد أن نجحت فى الوصول إلى حكم مصر والفوز بأغلبية برلمانها وانتخاب رئيس من بين أعضائها لحكم مصر وذلك للمرة الأولى منذ تأسيسها، قبل 80 عاما، لكنها سرعان ما خسرت كل شيء وفقدت خبرة التاريخ وشهوة الحكم والشعبية الممتدة، وباتت فى نظر القانون جماعة لا تستند إلى شرعية أو قانون ووجب حلها ومصادرة كل ممتلكاتها.

وأكد على ذلك قرار وزير التضامن الاجتماعى الدكتور أحمد البرعى بحل جمعية الإخوان المسلمين تنفيذا للحكم القضائى النهائي.

وقال أحمد البرعي، إن حل جمعية الإخوان المسلمين جاء طبقا للإجراءات القانونية المنصوص عليها فى المادة(42) من قانون الجمعيات الأهلية، حيث تمت إحالة مخالفات جمعية الإخوان المسلمين للجنة الشئون القانونية للاتحاد العام للجمعيات، والتي أصدرت قرارها بالإجماع بحل الجمعية بعد ثبوت المخالفات المنسوبة إليها، والتي من بينها لجوء أعضائها للعنف واستخدام مقر الجمعية لتخزين السلاح، وإطلاق الرصاص الحى من مقرها بالمقطم، والذي نتجت عنه وفاة 9 وإصابة 91 فى الأحداث المعروفة «بأحداث المقطم» والتي تظاهر فيها المواطنون ضد جماعة الإخوان، والرئيس المعزول محمد مرسي.

وكانت محكمة القاهرة للأمور المستعجلة أصدرت فى 23 سبتمبر 2012 حكما يقضى بحل جمعية الإخوان المسلمين وحظر نشاطها ومصادرة ممتلكاتها، وذلك بناء على دعوى مستعجلة وقضايا عديدة، تم تحريكها ضد الجماعة، لحظر أنشطة تنظيم الإخوان المسلمين وجمعيتها.

كما طالبت الدعوى بحظر أي جمعية تتلقى التبرعات إذا كان بين أعضائها أحد المنتمين إلى الجماعة أو الجمعية أو التنظيم، وضرورة قيام لجنة حكومية بإدارة الأموال المصادرة.

المرة الأولى التي تم فيها حل الجماعة كانت فى 8 ديسمبر 1948، عندما أصدر محمود فهمى النقراشي، رئيس الحكومة المصرية، آنذاك، قرارا بحل الجماعة بتهمة التحريض والعمل ضد أمن الدولة

وبعد مرور 10 أيام فقط على القرار جرى اغتيال النقراشى فى 18 ديسمبر من العام نفسه، على يد طالب يدرس فى كلية الطب البيطرى اسمه عبدالمجيد حسن واعترف بجريمته بسبب حل الجماعة، وحينها أدان الإخوان ما حدث وقال حسن البنا: إن القتلة ليسوا إخوانا، وليسوا مسلمين.

وتم حل الجماعة للمرة الثانية فى 29 أكتوبر 1954، بعد حادث المنشية بالإسكندرية وهو محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر وظل قرار حل جماعة الإخوان ساريا إلى أن تُوفى جمال عبد الناصر فى 1970، ليبدأ الإخوان عهدا جديدا مع الرئيس أنور السادات، حيث بدأ بالإفراج عن الإخوان منذ عام 1971 حتى أفرج عن الجميع فى عام 1975.

مؤسس جماعة الإخوان المسلمين هو حسن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتى الشهير بالإمام حسن البنا من مواليد عام 1906 بمدينة

المحمودية، تخرج فى دار العلوم وحصل على دبلوم دار العلوم سنة 1927، وعين مدرسا فى مدينة الإسماعيلية فى المدرسة الابتدائية الأميرية.

وبدأ دعوته لتأسيس الجماعة فى المقاهى فاختار ثلاث مقاهٍ كبرى ليلقى فى كل منها درسين فى الأسبوع.

فى عام 1928 بايعه ستة هم: حافظ عبد الحميد، وأحمد المصري، وفؤاد إبراهيم، وعبدالرحمن حسب الله، وإسماعيل عز، وزكى المغربي، بايع هؤلاء حسن البنا على العمل للإسلام والجهاد فى سبيله وعندما سألوه بم نسمى أنفسنا؟ قال: نحن إخوة فى خدمة الإسلام، فنحن إذن الإخوان المسلمون.

ثم استأجروا حجرة وسموا هذا المكان: مدرسة التهذيب للإخوان المسلمين.

وقد وصل عدد الإخوان فى نهاية العام الدراسى 1927 - 1928 حوالى سبعين. وفى السنة الثانية كانت جماعة الإخوان قد تشكلت بوضع الجمعيات القانونية، وصار لها نظام أساسي، ومجلس إدارة، وجمعية عمومية.

وبنى الإخوان المسجد ودار الإخوان، أي المدرسة التي أطلقوا عليها اسم: معهد حراء الإسلامى ولخص حسن البنا منهاج الإخوان المسلمين فى أنه محدود المراحل واضح الخطوات، وقال فنحن نعلم تماما ماذا نريد؟ ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة وما أهم ما يريد الشعب المسلم، ونحن لهذا نعمل أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يسمع صوتنا فى كل مكان، وأن تنتشر فكرتنا وتتغلغل فى القرى والنجوع، والمدن والمراكز، الحواضر والأمصار، لا نألوا فى ذلك جهدا، ولا نترك وسيلة، ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود هذا الشعب إلى المسجد، ونحن لهذا لا نعترف بأي نظام حكومى لا يرتكز على أساس الإسلام، ولا يستمد منه، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية، ولا بهذه الأشكال التقليدية التي أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامى بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام.

ويعتبر أنصار جماعة الإخوان وصايا حسن البنا بأنها طريق للسير لا يمكن الابتعاد عنه أو حتى مناقشته وهو أمر يعادل البيعة للمرشد الذي يتولى أمر الجماعة وتم اغتيال حسن البنا فى 12 فبراير عام 1949 وبعد وفاته واجهت الجماعة أزمة لاختيار مرشد ثان، وبعد سنتين تمت مبايعة حسن الهضيبى بالوصية. أي أن البنا كان قد أوصى بأن يتولى منصبه بعد وفاته.

بعدها بدأت مبايعة المرشدين بيعة المقابر، أي أن المشيعين يهتفون باسم المرشد الجديد بينما يشيعون المرشد السابق. واستمرت بيعة المقابر حتى زمن المرشد السابع مهدى عاكف، الذي دعا إلى إجراء انتخابات.

المرشد الأول حسن البنا تمت مبايعته بالقسم على المصحف والسيف وعلى السمع والطاعة، بعدها باشر الإخوان بمبايعة المرشد على المصحف والمسدس وطبعا السمع والطاعة.

كما أن من دور المرشد الإشراف على التنظيم الخاص أو التنظيم السري

وفى عهد المرشد محمد بديع الذي فاز بالمنصب فى يناير 2010 لمع نجم الإخوان السياسى بعد ثورة 25 يناير وفاز مرشحها الدكتور محمد مرسى برئاسة مصر بعد رفض ترشح المهندس خيرت الشاطر من لجنة الانتخابات، بعدها اعتقد الإخوان أن السيطرة على مصر سهلة، لكن جاءت ثورة 30 يونيو لتنهى تماما على الجماعة وتضع نهاية النهاية.

.....

فى عام 1998 أجريت حوارا مع المستشار مأمون الهضيبى وكان وقتها نائب المرشد العام للجماعة مصطفى مشهور، قبل أن يتولى منصب المرشد السادس للجماعة فى عام 2002، جرى الحوار فى مقر الجماعة المنحلة بحى المنيل و كان عنوان الحوار «مأمون الهضيبى: نحن جماعة سياسية تسعى إلى الحكم» جاءت مقدمة الحوار كما نشر

«لم تثر جماعة دينية أو سياسية، طوال القرن الماضى، الجدل الذي أثارته جماعة «الإخوان المسلمون» المحظورة.. فهى عند البسطاء من الناس تبدو جماعة دينية ولكنها عند الدولة وأجهزة الحكم جماعة سياسية شعارها دينى واللافت للانتباه أن الإخوان لا يعترضون على هذا التعريف أو ذاك ويعترفون بأنهم جماعة سياسية تتطلع إلى الوصول إلى الحكم ولا فرق بين الدين والسياسة عندهم ومنذ ظهور الجماعة على يد مؤسسها الإمام حسن البنا فى عام 1928، وتحديدا فى نهاية عام 1927 والصراعات مع الجماعة وحتى من داخلها لم تتوقف، ولكن عندما استشعر الأمن والنظام الخطورة الحقيقية للإخوان أصدر قراره «المؤجل» لسنوات طويلة واستبدل كلمة «المحظورة» وهى الكلمة التي كانت تلتصق باسم الجماعة بكلمة «المنحلة» وتم إغلاق مكتبها الشهير في وسط القاهرة فى شارع التوفيقية المكتظ بالباعة.. وتلاشت بعد ذلك أخبار الجماعة إلا من بعض الأخبار التي تنسب إلى الأمن فى تعقبه بعض الأسماء التي تحاول، كما ينشر، إحياء نشاط الجماعة.

«الأهرام العربى» حاورت المستشار محمد المأمون الهضيبي، الشهير بـ مأمون الهضيبى، نائب المرشد العام للجماعة المنحلة والمتحدث الرسمى باسمها فى مقر الإخوان الجديد المطل على نيل القاهرة حول كيان الإخوان والعلاقة مع الجماعات الأخرى وحزب الشريعة المرفوض وسر الخلاف مع أبو العلا ماضى”.

ما الذي تبقى من جماعة «الإخوان المسلمون»؟

جماعة الإخوان باقية كما هى لم تفقد شيئا مما كانت عليه، فهى لاتزال تعتنق المبادئ التي تؤمن بها ولاتزال تدعو إلى الله وتعمل من خلال نظرة وسطية للإسلام.

ما ملامح هذه النظرة الوسطية؟

إن الإسلام دين وسط ليس فيه تطرف ونحن نلتزم بهذا

ولكن ما الذي تبقى من «كيان» جماعة الإخوان المسلمون»؟

الكيان اتسع أكثر مما كان

ما دليلك على أن كيان الإخوان اتسع؟

أي مكان تذهب إليه تجد الإخوان، فهم جماعة موجودة فى كل دول أوروبا وأيضا فى الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن وجودها فى هذه الدول وخاصة أمريكا يكون بأسماء مختلفة لأن القوانين هناك تصور من يحمل اسم الإخوان بأنه إرهابى ورغم أن أمريكا تعلم جيدا أن هذه الجماعات التي تحمل أسماء غير الإخوان تعتنق فكر جماعة الإخوان والآن أصبح عدد المسلمين فيها 12 مليون مسلم معظمهم من الإخوان.

وهل يوجد تنسيق مع هذه الجماعات الموجودة فى الخارج؟

فى السابق كان يحدث هذا وكنا نلتقى بهم و لتدارس أمور الدعوة الإسلامية

والآن؟

نحن الآن ممنوعون من السفر والغريب أنه يُسمح مثلا «للحلاقين» بالاجتماع ومناقشة أمور مهنة الحلاقة ولا يُسمح لنا

وما الذي كان يدور فى الاجتماعات مع هذه الجماعات؟

بكل تأكيد لم نكن نتحدث فى شئون «الموضة.

وفيما كنتم تتحدثون؟

كنا نتحدث عن الدعوة الإسلامية ومسارها والعقبات التي تعترضها ونناقش أمور الجماعات الإسلامية والعقبات التي تعترضها ونناقش أمور الجماعات الإسلامية الأخرى التي ظهرت وترتكب أحيانا عنفا وتؤثر بذلك على موقفنا وصورتنا والاجتماعات كانت تدور حول فكر جماعة الإخوان

تحديدا ما فكر الإخوان؟

فكر الإخوان كما هو معروف، هو الالتزام بالشريعة الإسلامية والتي تنظم حياة الفرد حتى قبل ولادته، إن تطبيق الشريعة الإسلامية هو فكر وهدف الإخوان

وما الفرق إذن؟

هناك قوانين وشرائع إسلامية كثيرة والإسلام الكامل الشامل ليس معناه أن أذهب إلى المسجد وأصلى فقط ولا علاقة لى بالشارع. وما يجرى به، إذن نحن ننظر إلى المجتمع ككل من حيث كيف يعمل النظام السياسى للدولة وما هى حقوق غير المسلمين فى الدولة المسلمة وكيفية تنظيم الدولة الإسلامية لجعل علاقتها مع غيرها من الدول هادئة.

وهل هذا اعتراف صريح بأن جماعة الإخوان هى سياسية وليست جماعة دينية؟

لا فرق بين الدين والسياسة ولا ننكر ذلك.

ما دمت قد تحدث عن الجماعات الإسلامية إلى أي مدى أساءت الجماعات إلى صورة الإخوان؟

لا أستطيع أن أتحدث عن أية أخطاء للإخوان الآن وعلى كل حال لا توجد أخطاء رئيسية.

وما الذي يمنع من أن تعترف بالأخطاء خاصة وأن كل عمل يحمل بعض الخطأ؟

التوقيت الذي تمر به جماعة الإخوان، فهو توقيت عاصف ونحن محاصرون وغير مسموح لنا بعمل أي شىء، فهل جائز أن أتحدث عن أية أخطاء؟

إذن توجد أخطاء مؤجل الحديث عنها؟

إنْ وُجدت فلا تتحملها جماعة الإخوان فهى مجرد أخطاء صدرت بشكل فردى خاصة من أشخاص كانوا فى التنظيم الخاص أو السرى كما يطلق البعض عليه والذي نشأ لظروف أملتها المرحلة التاريخية.

وهل حادث المنشية الشهير لاغتيال الرئيس عبد الناصر كان تصرفا فرديا؟

حادث المنشية بالذات تمثيلية لا تصدق والذي يرجع إلى تسجيلات الإذاعة ليلة الحادث يسمع رواية ملخصها أن محمود عبداللطيف المتهم وهو من الإخوان تم القبض عليه بعد إطلاقه عددا من الرصاصات صوب الرئيس عبد الناصر وفى يده مسدس 6 مللى وبعد أسبوع نشرت الأهرام صورة للرئيس وأمامه شخص يقدم له مسدسا آخر، هذا الشخص هو خديوى آدم ونشرت قصته،

فهذا الخديوى ساقته الظروف لأن يكون فى مكان خطاب عبد الناصر وعند إطلاق الرصاص سقط على الأرض فعثر على المسدس فى أثناء سقوطه فخاف أن يتهم بأنه هو الذي أطلق الرصاص فهرب ومعه المسدس وبعد أيام أخبر شقيقه بالقصة فنهره وطلب منه ضرورة تسليم السلاح إلى الشرطة ولكن الخديوى ذهب بنفسه إلى القاهرة سيرا على الأقدام من الإسكندرية حتى وقف أمام عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة لتسليمه السلاح هل هذا معقول؟

ولم لا؟

كيف يدخل رجل بسيط إلى مجلس قيادة الثورة ومعه مسدس؟! وما الحقيقة؟! هل تم القبض على محمود عبداللطيف ومعه المسدس المستخدم أم عثر عليه الخديوى، هذه ألغاز حتى الآن لم تحل وأتحدى أن يظهر أحد الحقيقة المسكوت عنها.

بعد مرور هذه السنوات هل تعتقد بأن الحادث كان مدبراً؟

أنا قلت هذا وحسن التهامى مستشار السادات قال هذا، بل قال: إن أحد الخبراء الأمريكيين هو الذي خطط لهذه التمثيلية حتى يتمكن عبد الناصر من تصفية قيادات وأعضاء الإخوان.

بماذا ترد على من يقول إن كل الجماعات المتطرفة خرجت من تحت عباءة الإخوان؟

أراهن أي إنسان يستطيع أن يحدد لى بالضبط ماذا تعنى عبارة عباءة الإخوان

أعتقد أن المعنى بسيط هو أن هذه الجماعات خرجت من تنظيم الإخوان؟

هذا اجتهاد منك أنت ولكن أنا أود أن يُعَرِّفَهُ مَنْ يردده.

بعد مرور نصف قرن على رحيل مؤسس الإخوان حسن البنا، ما الذي تغير فى مقولته الشهيرة نحن مسلمون وكفى؟

لا شيء ولكن المقولة لها تكملة وكما قلت الإسلام الكامل الشامل ليس معناه أن أذهب إلى المسجد فقط وتنقطع علاقتى بالشارع وما يحدث به.

وهل تطلعات الإخوان فى الوصول إلى الحكم يوما ما هى التي تحرك الجماعة المحظورة؟

التطلع إلى الحكم ليس عيباً ولا جريمة، فالكل يسعى إلى الحكم ويريده، العيب فقط فى أن تصل إلى الحكم بهدف أن تحوله إلى غنيمة، أما إذا كنت تريد أن يكون الحكم له صبغة معينة وعقيدة معينة فهذا حق وسواء، أنت

الذي ستنفذ هذه الصبغة أم غيرك فلا فرق، ولو جدت غيرك يقوم بهذه المهمة وينفذ ما تريده ويطبق تلك العقيدة يجب ألا تنازعه.

وما الصبغة التي تسعى إليها جماعة الإخوان؟

لسنا من الغباء حتى نظن أن الشريعة ستطبق كلها بين يوم وليلة، نعلم أن هناك أمورا عديدة تحتاج لوقت طويل، مثل النظام الاقتصادى الذي يحتاج إلى عمليات معقدة وتطور كبير وحكمة فى التعامل معه.

70عاما هى عمر الإخوان ومع هذا لم تظهر لها نظرية أو رؤية اقتصادية تصلح للتطبيق؟

من قال هذا؟! فهناك كتاب عبد الحميد الغزالى «الاقتصادى السياسى الإسلامى» وكتاب آخر ليوسف كمال، ومع هذا الإخوان حركة إسلامية محاصرة وتتهم بأنها متطرفة فكيف تطلب منها هذا؟!

لماذا فشلت تجربة سيطرة الإخوان على النقابات المهنية؟

لم تفشل، بل كانت ناجحة وكل عمل لابد أن تشوبه بعض الأخطاء ولكن المهم أن نتحدث عن نسبة الخطأ وهل هو خطأ أخلاقى غير مقبول، حتى لو كانت نسبته 1٪ مثلاً فهل نحن معصومون من الخطأ؟! وبرغم كل هذا، فالإخوان فى النقابات تركوا وراء هم رصيداً كبيراً من الإنجازات مستمرا حتى الآن، يستفيد منه الأعضاء.

هل أسعدك أو أغضبك قرار لجنة الأحزاب برفض إنشاء حزب الشريعة؟

لا أقبل أن تكون هناك لجنة هى التي توافق أو تمنع إنشاء الأحزاب السياسية فى مصر.

ومن الذي ينظم مسألة إنشاء الأحزاب؟

من حق كل إنسان أن يُكَوِّنَ حَزباً، المهم أن تكون القواعد والأهداف الخاصة بالحزب لا تتعارض مع المقومات السياسية للمجتمع المنصوص عليها فى الباب الأول من الدستور وألا يستعمل العنف أو يدعو إلى العنف أو أن يكون صاحب تشكيلات عسكرية، ومن يعترض الحزب المزمع إنشاؤه يتقدم إلى المحكمة الدستورية وهى التي تقرر هل هذا الحزب يدعو إلى شىء مناقض للمقومات الأساسية للمجتمع أم لا.

وأما اعتراضك على لجنة الأحزاب؟

لجنة الأحزاب هى لجنة حكومية والحكومة هى التي تمتلك القرار النهائى فيها لوجود خمسة أصوات فى داخلها من الحكومة.

بعيداً عن لجنة الأحزاب، ما حدود التنسيق مع ممدوح إسماعيل مؤسس حزب الشريعة المرفوض؟

لا يوجد أي تنسيق معه من أي نوع.

معنى هذا أنه لم يتشاور معكم حول فكرة إنشاء الحزب؟

لم يحدث أن عرض علينا الفكرة ولم يتشاور مع أي مسئول فى الإخوان، هو اتخذ قراره بنفسه ومع المؤسسين لهذا الحزب ولكن لا أنكر أنه زارنا وأطلعنا على حزبه بعد ذلك، ثم أرسل لنا البرنامج عن طريق البريد شأننا فى ذلك شأن مئات الجهات والشخصيات التي أرسل إليها برنامج الحزب.

وما وجه التشابه بين الإخوان وحزب الشريعة؟

الخلافات كبيرة وأساسية.

وما الخلافات؟

لا أريد أن أناقش برامج غيرى، نحن لنا آراء وحزب الشريعة له آراء أخرى.

مثل؟

الإخوان يؤمنون بالنظام الديمقراطى والآليات الخاصة بهذا النظام ولا أعرف أيضاً هل يقبل بأن تتمتع المرأة بكامل حقوقها فى حدود ما يحفظ كرامتها وعرضها، كما لا أعرف نظرته إلى غير المسلمين فى الدولة المسلمة.

وهل حزب الشريعة لم يوضح موقفه من هذه القضايا؟

كما قلت لا علاقة لى بحزب الشريعة حتى أتحدث عنه وعن برنامجه.

بصراحة هل كان حزب الوسط أكثر وضوحاً فى برنامجه؟

لن أتحدث عن هذا الحزب تحديداً.

هل بسبب الخلاف مع أبوالعلا ماضى؟

لا توجد علاقة من أي نوع مع أبوالعلا ماضى.

ولكنه من جماعة الإخوان؟

كان من الإخوان ومن أعز الإخوان ولكنه تركنا «الله يسهل عليه» وليس بيننا وبينه شىء، ولا نتهمه بشىء ولا نرد على ما يقوله ضدنا.

وما طبيعة العلاقة مع حزب العمل؟

هناك تنسيق مع حزب العمل.

وهل جماعة الإخوان ستنضم إلى العمل فى الانتخابات البرلمانية المقبلة؟

لو جرت الانتخابات بنظام القائمة لا بديل عن خوضها إلا من خلال حزب سياسى، أما لو جرت بنظام الانتخاب الفردى لا ضرورة لمشاركة أي حزب ولكن فى الانتخابات ننسق مع العمل حتى فى توزيع الدوائر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عماد أديب

يوم 19 نوفمبر 2018 نشرت حوارًا فى الأهرام أجريته مع الإعلامى عماد الدين أديب بعد حواره المثير مع الإرهابى الليبى عبد الرحيم المسمارى، كان قد بثته قناة الحياة مساء يوم الخميس 16 نوفمبر وسبق بثه تشويق كبير على اعتبار أنه أول إرهابى ضالع فى الحادث الإرهابى الذي جرى فى الواحات وتم القبض عليه خلال عملية إنقاذ النقيب الحايس وتمشيط المنطقة من الإرهابيين، كان الترقب كبيرا للمقابلة وظهور الضابط محمد الحايس.

بعد بث المقابلة غصت مواقع التواصل الاجتماعى بالتعليقات المستنكرة للحوار وأفردت مساحات طويلة للهجوم على عماد الدين أديب، كان من بين هؤلاء كتاب وصحفيون، كنت أراقب الموقف ولى تجربة حوار مهم مع زوجة النقيب محمد الحايس جاء بمعلومات تنشر لأول مرة، وهذه مبررات قوية تدفعنى لإستكمال الملف، بعيدا عن صخب مواقع التواصل الاجتماعى، وفى صباح يوم الجمعة جاءت الفكرة وهى لماذا لا أجرى حوارا مع عماد أديب أضع أمامه كل هذه التساؤلات والكشف عن كواليس المقابلة.

اتصلت على هاتف عماد أديب لكنه كان لا يرد طوال ساعات الصباح وحتى المساء يوم الجمعة حاولت الاتصال أكثر من مرة، فى المساء رد على الاتصال وقال إنه كان مرهقًا وخلد إلى النوم بعد الفجر، واستفسر عن مكان النشر فى أي من إصدارات الأهرام، واتفقنا على أن يكون الحوار السبت أو الأحد لأن القناة قررت إعادة عرض الحوار مع الإرهابى، والنقيب محمد الحايس اليوم الجمعة وهى فرصة للمزيد من الاهتمام، أبديت رغبتى فى أن يكون الموعد في أسرع وقت حتى لا نبتعد عن الحدث، اقترحت أن يكون الغد وسألته متى تبدأ يومك؟ قال مبكرا لكتابة المقال اليومى فى جريدة الوطن وحدد الموعد الحادية عشرة صباحا فى فندق «الفور سيزون»جاردن سيتى.

وصلت الفندق قبل الموعد بدقائق ومعى الزميل المصور وفى نفس التوقيت ظهر الإعلامى عماد الدين أديب، سألته أين سنجرى الحوار؟ فقال: هنا نجلس نتناول القهوة، لكننى قلت أفضل مكانا أكثر خصوصية بالفندق وتحركنا نحو مكان آخر.

قبل أن أبدأ الحوار، طلب أن يشرح خصوصية الموقف وحساسيته تفهمت وجهة نظره، وبدأت الحوار، وتوالت الأسئلة وبعد مرور 10 دقائق توقف عن الإجابة، وقال: «خبرتى الطويلة فى الصحافة تدفعنى إلى عدم استكمال الحوار معك حيث أعرف أنك تنصب لى فخا» وأكمل أنا آسف لن استكمل معك الحوار، وبدا شديد الانفعال والغضب ووقف وهم بالتحرك بعيدا.

أدركت أننى مهما دافعت عن موقفى لن يجدي الدفاع شيئا وقلت له: أعرف وكل الوسط الإعلامى مدى رحابة صدرك وأنت عماد الدين أديب صاحب الخبرة العريضة فى الإعلام ومن حقك ألا تجيب عن أي سؤال، وهذا طبيعى، لكنه انصرف.

طلب زميلى المصور من الأهرام السيارة للعودة، مرت دقائق خلالها فكرت فى الموقف، وقررت أن أتحدث معه على التليفون لا لشىء غير أن أضعه فى الصورة الحقيقية، وأننى لم أحضر للاشتباك أو الدخول معه فى خصومة لا مبرر لها وإنما محاولة منى لأداء واجبى كما أعتقد، جاء صوته عاديا واسترسل معى فى الحوار، والإجابات، وسألته أين ذهبت؟ فقال فى نفس المكان الذي تقابلنا فيه أول مرة أشرب القهوة وأدخن السيجار، عرضت عليه استئناف الحوار من جديد وقد كان.

بدأ الحوار وطرحت الأسئلة وخلال الحوار حضرت الدكتورة هالة سرحان، وقتها كانت تشغل منصب رئيس قناة الحياة ومعها الإعلامى محمد هانى وعندما شاهدت عماد أديب يتحدث وأمامه جهاز تسجيل قالت بلهفة لماذا يا عماد؟ الصحافة لا، قالتها باللغة الإنجليزية، لكنه قال لها الأستاذ من الأهرام.

أجريت الحوار ورجعت إلى مبنى الأهرام في الواحدة ظهرًا وبدأت فى تفريغ وكتابة الحوار وهى مهمة صعبة وشاقة أن تبدأ فى تفريغ حوار وكتابته وصياغته خلال ساعتين على أكثر تقدير.

ونشر الحوار تحت عنوان عماد الدين: يوجد 29 إرهابيا ومن يستطع محاورتهم فليتقدم.

حرصت أن أكتب المقدمة بعيدا عن تفاصيل ما حدث، فالقارئ ما يهمه هو إجابات المصدر فى هذا التوقيت، وكانت المقدمة مختصرة بعد أن شعرت بالإرهاق

»على مدى ساعة ونصف الساعة حاورته بعد يومين من بث الحوار المثير الذي أجراه مع الإرهابى القاتل عبد الرحيم المسمارى ومع البطل النقيب محمد الحايس، واجهته بكل ردود الفعل التي أعقبت الحوار وعلى عكس عادته لم يكن هادئا، بل مستَفَزًّا من بعض الأسئلة.

ولكنه رد بالحجة القوية وهى أنه نجح بامتياز فى إجراء حوار هو بكل المقاييس يمثل سبقا صحفيا من الوزن الثقيل لا يصل إليه فى غالبية الأحيان إلا لمن هم فى خبرة عماد الدين أديب المهنية.

وكانت إجاباته كاشفة عن قيمة الحوار ومدى أهميته ودلالة بثه فى هذا التوقيت".

وبطبيعة الحال كان السؤال الأول هو كيف حصلت على فرصة إجراء المقابلة مع الإرهابى عبد الرحيم المسمارى والبطل النقيب محمد الحايس؟

تقدمت بطلب إلى الجهات المسئولة والحمد الله تم منحى هذه الفرصة.

هل جلست مع الإرهابى قبل الهواء؟

بالفعل وتناقشت معه

هل كان يعرف اسم الإعلامى عماد الدين أديب؟

يعرفنى بحكم الحلقات التي أجريتها من قبل مع الزعيم الليبى معمر القذافى ومع المتهمين الليبيين فى قضية لوكربى وتحدثت معه.

ما الدرس الذي تعلمته من هذه الحلقة؟

إرضاء الناس غاية لا تُدرَك، لكن ليس هذا هو الموضوع وإنما الموضوع هو أن تقوم بعملك بشكل احترافى وأن تلتفت بالدرجة الأولى إلى مهمتك.

هل أنت راض عن الحلقة؟

هذا هو أفضل شىء كان من الممكن الحصول عليه فى ظل الظروف الموضوعية التي عملت بها.

لماذا عماد الدين أديب الذي يحظى بهذه الفرصة؟

هذا السؤال ليست إجابته عندي.

البعض يقول لماذا تستضيف إرهابيا على شاشة التليفزيون؟

مع شديد احترامى لكل الزملاء، من يأتى له هذا السبق الإعلامى الكبير ويرفض؟ من يرفض قد يكون ملاكًا من السماء، وأنا لا أرد على أحد وما أفعله هو عملى وبعدها أنصرف إلى منزلى.

كيف حاورته؟

الطريقة التي حاورته بها هى وجهة نظرى وربما كان غيرى له طريقة مختلفة لكن لماذا يتم تحويل الموضوع إلى موضوع شخصى ويحدث سباب، أنا عندى

سبق صحفى سعيت إليه ونجحت بأفضل ما عندى من قدرات، بعدها يُترَكُ للناس أن يحكموا عليه ومن حق كل إنسان أن يقول رأيه.

هذا عرف صحفى ولم اخترعه لا فى مصر ولا فى العالم العربى ولا فى العالم، بدليل أن الإعلام الأمريكى حاور اليابانيين الجناة فى أحداث بيرل هاربر، وحاور الفيتناميين الذين شاركوا فى مجازر ضد القوات الأمريكية، والإعلام الفرنسى أجرى حوارا مع الإرهابى كارلوس، والإعلام اللبنانى حاور مئات الإرهابيين من داعش والقاعدة وأنصار السنة، وفى مصر الأستاذ سمير صبرى فى النادى الدولى حاور الجاسوسة انشراح وقال لها حضرتك والناس هاجمته لأنه قال لها حضرتك والإعلامى عمرو أديب حاور زوجة الإرهابى فى أحداث كنيسة القيامة.

كيف أدرتَ هذه المقابلة الصعبة جدا؟

أنا لست من أنصار ولا من أعداء الشخصية التي أُجرى معها الحوار، أنا فى نهاية الأمر أحاول أن أجرى الحوار بشكل احترافى.

وأعترف بأننى كنت فى حالة غضب وكراهية شديدة جدا للإرهابى، لكننى كنت أحاول أن أعطيه الفرصة كى يتكلم ويشرح نفسه، لأنه فى النهاية له ذات، والذات هذه يجب أن تعبر عن نفسها وفى الوقت نفسه أنت ترد عليه وتحاوره وكتبت هذا فى مقالى بصحيفة الوطن، لكن هنا أتحدث كمبدأ عام فى الحوار الإعلامى وهذه الشخصية التي قتلت أبناء من وطنى أنا عدو لها وأحمل لها كراهية شديدة، لكننى أحاول أن أكون مهنيا، فالمحاور مثل الجراح الذي يجرى عملية لمريض إرهابى لابد أن يتعامل بأصول المهنة وعندما يفتح بطنه قد يكون يحبه أو يكرهه لا تعنى شيئا وفى العالم كله هناك أمران هما الطب والصحافة يجب أن يكون الأداء فيهما متجردًا، يضاف إلى ذلك القضاء طبعا.

بماذا ترد على زملاء المهنة الذين انتقدوا أداء عماد الدين أديب؟

هذا رأيهم ويُحتَرمُ ومن يرى أنه يستطيع أن يجرى حوارًا أفضل من هذا يتفضل أهلا وسهلا، وأقول عندما أجريت حوارا مع السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، كان أنصار حزب الله سعداء، وهناك فريق آخر له رأي وتكرر الأمر فى الحوار مع الرئيس الأسبق حسنى مبارك، كان أنصار الرئيس مبارك سعداء به، لكن حركة كفاية والمعارضين واليسار ضده، لكن الغريب لم يتحدث أحد عن انفراد بث أول صورة للمواجهة مع الإرهابيين وهذا سبق وللعلم مجرد مقابلة الإرهابى هذا سبق ومقابلة الحايس هذا سبق وعرض صورة المعركة الحية سبق وعملية القبض عليه سبق والمعلومات عن موضوع الواحات هى سبق.

القضية ليست شخصى أنا وإنما القضية هى إتاحة فرصة للتعرف على ضحالة وتأثير الأفكار التكفيرية على شاب عمره 26 عاما يترك داره والحى وهو حى السلام الذي كان يسكن فيه والمدينة درنة ويترك بلده ليبيا وجاء إلى بلد آخر كى يحارب.

بماذا تفسر هذا التباين؟

الناس تُسيسُ وتشخصنُ الموضوع ولكن لا تُقَيِّمه على أساس المهنة، أنا واحد يؤدى مهمته، أحاور أي شخص بصرف النظر عمن هو، أطرح عليه الأسئلة بشكل احترافى، إجاباته هو المسئول عنها.

هل هذه القاعدة تنطبق على حوارك مع الإرهابى المسمارى؟

بالتأكيد لا، وكنت على إدراك بأنه من غير المقبول أن نترك إجاباته دون تفنيد من أهل العلم، ولهذا تم تنظيم الأستوديو التحليلى بعد الحلقة مباشرة حتى لا يؤثر على المجتمع وكان الأستوديو لمدة ساعتين للرد عليه ومن الناحية الفقهية تم الرد عليه، لماذا لم يقتل الرسولُ أعمامه؟ وما هو تعريف الجهاد وغيرها من الإجابات الملتبسة للإرهاب.

بصراحة.. ما هى المعايير التي تقبلها لتقييم المقابلة؟

هناك ثلاثة تقييمات هى الأول: السياسى والثانى الفقهى والثالث الشخصى، والأخير كل إنسان حر فى رأيه، أما السياسى فهو وجهة نظر والفقهى المتخصصون ردوا عليه، تبقى النقطة الاحترافية فى الموضوع.

هل أنت راض عن النقطة الاحترافية فى المقابلة؟

راض، لأن هناك فارقا بين إلقاء خطبة فارقًا بين إلقاء محاضرة فى العلوم السيًاسية وما بين الحوار التليفزيونى، وعندما شرحت المعركة الأولى مع الإرهابيين، شرحتها بيدى وقلت إن الإرهابيين فوق التبة وكان من الممكن أن أتكلم عن كتاب «ليدل هارت» عن احتلال المرتفعات وأحضر مقطعا منه وأعتقد أن المشاهد ساعتها لن يفهم شيئا، المحاور يجب أن يراعى أن المشاهدين من أعمار مختلفة ومن ثقافات مختلفة ومن اهتمامات مختلفة وعندما تتمكن من الوصول إلى البسيط ستصل إلى الأعمق، لكن لو وصلت إلى العميق فقط، لن تصل إلى البسيط، ومعظم المشاهدين لم يحصلوا على دكتوراه فى العلوم السياسية وفى الشريعة وفى الفقه.

أنا راض عنها وليس لى علاقة بآراء الناس الآخرين وهذا من حقهم ولا أستطيع أن أُرْغِمَ أحدا على أن يكون متفقا أو مختلفا معى، لكن الأرقام الرسمية الموجودة فى قناة الحياة تثبت أن نسبة تفوق 80٪ من الذين شاهدوا الحوار معجبين بالحِوار ولم تتلق القناة أية اتصالات أثناء المقابلة إلا

وكانت آراؤهم معجبة، كما أن نسب المشاهد لقناة الحياة كانت أعلى نسب مشاهدة فى الستة شهور الماضية والتقارير الأولية فى هذا الوقت الذي كان يُذاع فيه الحوار كان أعلى نسبة مشاهدة، مقارنة بجميع القنوات، وتحليل مضمون ما جاء على الفيسبوك وتويتر أكثر من 70٪ مؤيد وناس لديها تساؤلات وناس تنتقد ومعارضون، وهذا طبيعى وعلى وتويتر كان «الترند» على تويتر رقم 1 فى ليبيا وسوريا ثم أصبح رقم 1 فى مصر والعالم العربى وحتى الجمعة كان رقم 2 على العالم العربى هذه المقاييس على أساسها يتم تقييم النجاح للحوار.

برأيك لماذا كانت ردود الفعل الغاضبة؟

السبب فى هذه الحالة التي كانت وستظل فى الإعلام، أننا نتعامل مع الموضوع بنظرة شخصية ولا ننظر لها من حيث المحتوى، بجانب أننا نعيش منذ يناير 2011 حتى الآن فى حالة من الهستيريا وحالة من العدمية والإنكار والشك فى كل شىء، وكأن كل شيء مؤامرة وتتسع دائرة الظنون حول لماذا أجرى هذا الحوار وبأي ثمن؟ وتحليلات ما أنزل الله بها من سلطان.

هل تعتبر هذه الحالة هى أزمة الإعلام فى مصر؟

البعض يعتقد أن الصوت العالى هو المنطق القوى وهذا خطأ، لأن الصوت العالى أو الغضب والشجار ليس هو القوة، أنا فى الحلقة لم أستحوذ على الكاميرا وأتحدث لمدة ساعة قبل المقابلة، كل ما فعلته مقدمة بسيطة وصغيرة وأجريت الحوار وأعرف أن مقدم الحلقة ليس هو الموضوع بل، أعرف أننى أعمل كمخبر صحفى أجرى تحقيقًا بما أملك من أدوات وخبرة ولدى حل بسيط لهذه المعضلة.

ما هو؟

الإرهابى موجود وسلطات الأمن موجودة وسلطات التحقيق موجودة ويوجد 29 إرهابيا مقبوضٌ عليهم حديثا، ومَنْ يعتقد فى نفسه أنه الأفضل والأقدر يحصل على المقابلة ويجريها ويقدم لنا درسًا فى كيف يمكن أن تكون بشكل أفضل، وأنا شخصيا سوف أتعلم منه إذا كان هو الأفضل وليست عندى مشكلة فى هذا الموضوع وهنا أحذر من الجدل.

البعض يقول لماذا غابت الأسئلة البديهية؟

الأسئلة البديهية هى أنت منين؟ وما هى منطقتك؟ وقبيلتك وطبقتك الاجتماعية وكيف تأثرت بالفكر و دراستك، كيف تحولت إلى العمل الإرهابى، وكيف تعرفت على الرجل الذي جندك؟ كيف كانت رحلتك؟ وما هى أفكارك؟!

هنا أسأل فى علم الأفكار ما هو السؤال الذي لم يُسأل؟ بضميرك اسأل أين السؤال الذي لم يسأل؟

على سبيل المثال كيف قضى البطل محمد الحايس 13 يومًا مع الإرهابيين؟

كان مسموحًا بأمر الأطباء مقابلة البطل الحايس وأن أسجل معه دقيقة أو دقيقتين، حالته الصحية والمعنوية لا تسمح أن تعود وتذكره بالحدث وهو تحت علاج شامل، ولا أستطيع أن أقول أكثر من هذا ونصحت من أطبائه عدم تذكرته بما حدث وهذه أول مقابلة معه وكان قريبًا من قلوب الناس ووصل إليهم.

البعض انتقد دخولك فى سجال عقائدى مع الإرهابى؟

لم أدخل فى سجال، لأننى لست مفتيًا أو رجل دين فقهى وإنما حاولت أن أحاوره لمعرفة أفكاره وللأسف ناس كثيرون وقفوا عند الحلقة حتى نهايتها ولم يشاهدوا الساعتين فى الاستوديو التحليلى بعدها، والتي تحاور فيها شخصيات لها رصيد للرد على الفكر المتطرف للإرهابى، وهم ناجح إبراهيم ونبيل عبد النعيم والدكتور سعد الدين الهلالى ورشوان توفيق وأحمد بان وماهر فرغلى، سبعة أشخاص والمحاور الثامن تولى مهمة الرد على الإرهابى الذي تكلم 25 دقيقة فقط فى حلقة مدتها ساعة وربع الساعة، هل هذا غير كاف؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثالث

الحوارات النادرة

الشيخ الشعراوي

تشرفت بحوار الإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوي مرة واحدة فى حياتى، كانت فى صالة كبار الزوار فى مطار القاهرة الدولى قبل سفره إلى الخارج على متن طائرة خاصة إلى سويسرا يمتلكهامحمد زكى يمانى وزير الإعلام بالمملكة العربية السعودية الأسبق، كان معه الإعلامى الراحل أحمد فراج مقدم برنامج نور على نور الشهير الذي كان يقدمه على شاشة التلفزيون المصرى بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع يحاور فيه الشيخ.

يومها حرصت على أن أجرى معه حوارًا وكان كريمًا كعادته متواضعًا لم يرفض أو يعتذر. وأجاب عن أسئلتى ولسبب ما لم أنشر الحوار، وقد تكون إجابات الشيخ الشعراوي التي مر عليها أكثر من 27 عامًا كاشفة عن علمه وحكمته وقيمته الباقية.

كان السؤال الرئيسى فى الحوار عن النقاب بعد أن انتشر فى الشارع بشكل مفاجئ وكثرت الفتاوى حوله، حيث سألته ما شرط الإسلام فى ارتداء المرأة للنقاب؟

كانت إجابته يرحمه الله سريعة وقاطعة حيث قال: إن النقاب غير مفروض وغير مرفوض، وهى إجابة فقهية عميقة تعنى أنه حرية شخصية لا يلزم الدين به المرأة ولا يمنعه. فكل امرأة هى التي تقرر، دون اجتهاد من شيخ يفتى ويتحمس للنقاب ويدعو له.

سألته عن الشباب وما الذي يجب عليه أن يتحلى به؟

فقال الشيخ الشعراوي يومها عبارة «من شب على شىء شاب عليه «وأكمل أعيدوا لى طفولتى حتى أُربَّى بالطريقة السليمة، وشرح أن المهم ليس هو تقويم الشباب فى سن المراهقة ولكن الأهم هو أن تكون التربية فى الطفولة وهذا هو التحدى الذي يتمسك به كل عائل وكل من يتولى تربية الصغار ودلل بعبارة التعليم فى الصغر مثل النقش على الحجر.

قال إن الشباب لا يُربَّى، وإنما الشباب طاقة تُستَغلُ فى حركة الحياة واعتبر أن الغرب استفاد من الشريعة الإسلامية فى التعامل مع الشباب فى سن البلوغ، حيث تلزم الأسرة الشاب بتحمل مسئولياته فى سن البلوغ وهو ما نص عليه الشرع، غير أننا فى العالمين العربى والإسلامى لا نطبق ذلك بدافع

الحنان والحنو. وعندما سألته عن الفن قال: إن كل واحد حَكَمٌ فى نفسه، وللفن دور، ولكن بدون أن يثير غرائز الناس، وكل شىء يثير الغرائز هو ليس من الدين، واختتم كلامه مشددًا على أن كل إنسان هو حكم فى حياته وشئونها بدون وصاية أو إملاء من أي أحد من البشر.

بعد وفاته حرصت على معرفة من هو الشيخ الشعراوي الإنسان بعيدا عن رجل الدين الشهير والمعروف، كان من أبرز الشخصيات التي عاصرته وعاشت معه سنوات لا يفترقا هو رجل الأعمال الشيخ محمد العارف قاعود، والده يمتلك فندق قاعود فى نهاية شارع فيصل، وهو الفندق الذي خصص فيه مكانًا للشيخ الشعراوي يلقى دروسه فيه مساء كل يوم وكان ينام فيه قبل بناء الفيلا للشيخ.

وهناك فندق آخر فى شارع الهرم يمتلكه قاعود كان أيضًا يتردد عليه الشيخ الشعراوي.

نشر الحوار تحت عنوان:

محمد العارف قاعود إمام الشيخ الشعراوي يتحدث عنه لأول مرة:أحتفظ له بـ1200 ساعة نادرة لم تذع من قبل!

بريده اليومى يملأ «جوالا» وزواره يوميا أكثر من مائة شخص!

لا ينام فى الليل.. والعشاء وجبته الرئيسية!

والمقدمة، على مدى عشرين عاما لم يفارق الشيخ محمد متولى الشعراوي يوما واحدًا.. كان يصلى به إمامًا بعد أن ساءت حالته الصحية.. يتولى شئون حياته، أقام الشيخ الراحل فى فندقه طوال 6 سنوات كاملة بعد حادث السرقة الشهير الذي تعرض له منزل الشعراوي فى حى الحسين.. قصة تعارفه على الإمام الراحل أقرب إلى قصص الصوفية.. ولكنها فى حياته واقعة حية يذكرها دون أن يستغرب تفاصيلها.

«محمد العارف قاعود» ظل الشعراوي الذي لازمهُ على مدى عقدين من الزمان.. كان يرافقه منذ الصباح الباكر ولا يتركه إلا والشيخ يخلد للنوم.. ومع هذا لم يتحدث من قبل عن هذه العلاقة الوطيدة، ولا عن التسجيلات الثمينة التي يحتفظ بها وتصل ساعاتها إلى 1200 ساعة لم تذع من قبل وهى معه.

ما الذي تذكره عنه؟

- أعتقد أن الشيخ الشعراوي ينطبق عليه نص حديث الرسول الكريم وهو «على رأس كل مائة عام يأتى الأمة من يجدد إيمانها».. والإمام الراحل هو الذي جدَّدَ إيمان الأمة الإسلامية خلال القرن الحالي.

لكن ما الذي تذكره عن الشعراوي الإنسان؟

- أنا عاصرته أكثر من 20 عامًا لم نفترق خلالها يومًا واحدًا.. وأستطيع أن أتحدث عن هذه المدة، أما ما سبق هذه الفترة فلا أستطيع التحدث عنها، باستثناء التفاصيل التي ذكرها لى بلسانه.

كيف بدأت علاقتك به؟

- علاقتى بدأت به بعد عودتى من الكويت، حيث كنت أدرس وأقيم هناك بحكم عمل والدي، وأثناء الدراسة حضرت ندوة دينية بالمدرسة، وفى هذه الندوة سأل طالب أحد الشيوخ سؤالا فى الدين، ولكن إجابة الشيخ لم تكن مقنعة بدرجة كبيرة لى، وبعد عودتى إلى مصر شاهدت فى التليفزيون برنامجًا وكان الأستاذ أحمد فراج يحاور الشيخ وسأله نفس السؤال، وجاءت إجابته شافية ومقنعة.. ولهذا سعيت لمقابلته، ولكننى فشلت، فقلت هو الذي سيحضر إلىّ، وفى أحد الأيام وبعد صلاة الفجر نمت فى حجرة المكتب بالطابق الأول ـ- حيث كان المصعد به عطل، ونسكن فى الطابق التاسع، وأثناء نومى صحوت على صوته، وكان معه الحاج أحمد أبوشقرة والأستاذ خليفة مدير مكتبه، ومن يومها لم نفترق لحظة واحدة.

كيف عرف أنك تبحث عنه؟

- لم أسأله هذا السؤال.. ربنا أرسله لى ولم أبحث.. والذي كان يهمنى أنه حضر ورافقته حتى رحيله وعرفته عن قرب، واكتشفت أنه شخصية فذّة، وكان يوظّف الدين الذي يعرفه فى كل سلوكياته.

كيف؟

- كان يُصلى السُنة قبل صلاة الفرض ويقول: «أقبلوا على الله بسنة رسول الله»، وكان يُصلى يوميًا 8 ركعات بعد صلاة المغرب، ويصلى 20 ركعة بعد صلاة العشاء، وعن ذلك يقول: «إنها صلاة التوابين»، ولم يكن ينام بالليل كثيرًا وتكاد تكون ساعات نومه قليلة جدًا وكثيرًا ما كان ينام وهو جالس معنا، حيث نكتشف فجأة أنه نام ولمدة نصف ساعة ثم يصحو بعدها يقظًا، ووجبته الرئيسية كانت عبارة عن وجبة العشاء وإفطاره يتكون من كوب من اللبن وكوب من العصير، ويظل طوال النهار بدون أكل حتى موعد عشائه.

وماذا عن برنامجه اليومى؟

- يومه يبدأ فى حوالى الساعة الثامنة صباحا، لأنه كان يصلى الفجر ثم ينام حتى الثامنة، ثم يستيقظ ويتناول إفطاره ثم يبدأ فى الاطلاع على الخطابات التي كانت تصل إليه وكانت تملأ «جوالا» يوميًا، وأحيانا كنت أعاونه فى قراءتها، ولكن كانت لديه بصيرة فى اكتشاف ماذا يريد المرسل ويقرأ فقط

آخر سطرين من الخطاب، وغالبا ما يكون الذي يطلبه الراسل فى هذين السطرين وكان يُلبى أي طلب طالما هو قادر.

ثم يواصل برنامجه اليومى بعد قراءة البريد ويبدأ فى استقبال زائريه، ويوميًا كان يزوره حوالى مائة شخص، وغالبية رغبات هؤلاء الزائرين كانت معرفة رأي الدين فى أمر ما أو طلب معاونة مالية.

وكان يقول يرحمه الله «يارب ما تجرأش علىّ أحد أنا ما أقدرش أقضى حاجته»، وكان يسعى فى قضاء حوائج الناس قضيت أم لم تقض.

ما قصة إقامته 6 سنوات كاملة فى أحد الفنادق بشارع الملك فيصل؟

- بعد تعرض منزله فى الحسين للسرقة عام 1980، أقام فى الفندق الذي امتلكه بشارع الملك فيصل ولحين الانتهاء من بناء الفيلا التي أقام بها بعد ذلك..

وخلال السنوات الست كان يوميا يعقد ندوة فى صالون خصص له بالفندق وأطلق عليه اسمه، وكانت الندوة تبدأ بعد صلاة المغرب وتستمر حتى منتصف الليل، وكان يحضر هذه الندوة أناس كثيرون، أذكر منهم الحاج أحمد أبوشقرة والدكتور محمد عبده يمانى وزير الإعلام السعودى الأسبق واللواء عطية الدسوقى ووالدى الحاج العارف قاعود، وكان الحاضرون سواء من المقربين له أو الزوار يسألونه فى كل أمور الدين وهو يجيب. ومن هذه الندوة استطعت أن أسجل 1200 ساعة بصوته.

بحكم صلتك به بمن كان يعتز أكثر من علماء الدين؟

- كان شديد الاعتزاز بالشيخ سيد إسحاق عزوز رحمة الله عليه وهو من المملكة العربية السعودية، وكان يقول عنه أنه «أساس علم» ويصفه بأنه عالم دين يعطى المختصر المفيد ولهذا أطلق عليه تعبير «أساس علم»، هذا الشيخ كان أحب أحباء الشيخ فى السعودية وعندما كان يزور السعودية يكون أول شخص يزوره، أما فى مصر فكان شديد الحب للشيخ عبدالحليم محمود، وكان يجلس بجوار قدميه وعندما تُوفى، حزن عليه بشدة.

ولكن.. بمن كان يعتز أكثر من العلماء الذين فسروا القرآن؟

- فى تفسيره للقرآن لم يحاول أبدًا أن يُسِّفِه رأي عالم سبقه، حتى ولو اختلف معه وكان يحاول أن يوفق بين الرأيين.

ما هو مبرره فى ذلك؟

- أن كل عالم اجتهد وللمجتهد أجر سواء أصاب أو أخطأ.

ما هى عاداته فى السفر؟

- رافقته أكثر من 26 مرة فى الحج والعمرة، وهى أغلب السفريات، والسفريات الأخرى كانت معظمها رحلات علاج بالخارج، وكنت فى السنوات الأخيرة أتولى مهمة دفع الكرسى الذي يجلس عليه ومعاونته أثناء الطواف.

هل كان يتعرف عليه الحجاج أو المعتمرون؟

- عندما يحدث ويكتشف الحجاج أو المعتمرون أن الشيخ الشعراوي بينهم، يتجمعون حوله فى شكل يشبه المظاهرة، ولذلك كان دائما يحرص على أن يتخفى ويغيّر ملامحه.. ولكن فى آخر عمرة له وقبل وفاته وجدته لم يحرص على أن يتخفى وأدى العمرة بشكل طبيعى.

ما طريقته فى التخفى؟

- كان يخلع الطاقية المميزة له، وكان أيضا بمجرد دخوله الحرم المكى يبدأ فى الصلاة ولا يتوقف حتى يغادر المكان.

ماذا عن سفرياته الأخرى؟

- أذكر أننى فى أحد السفريات معه، وكنا فى الولايات المتحدة الأمريكية، طلبت مشاهدة مدينة «والت ديزنى»، وفى أحد الأيام وكنت وقتها صغيرا فى السن أيقظنى مبكرا وقبل أن يستيقظ الجميع واصطحبنى إلى المدينة، ورغم أن الشيخ تُوفِىَ وعمره 78 عاما وأنا وقتها عمرى 34 عاما، أي أنه كان ضعف عمرى، إلا أننى لم أشعر لحظة واحدة بأن فارق السن بيننا يقف حائلا أمام رغباتى، لأنه كان شخصية قادرة على أن يحقق لمن معه كل السُبل الخيّرة.

هل كان يحرص يوميا على قراءة الصحف؟

- نعم، كان يقرأ جميع الصحف.

وماذا يكون رد فعله عندما يقرأ مادة صحفية ضده؟

- لا يهتم، ولكن فقط يهتم بالرد عندما يكتشف أن هناك شيئا ما ضد الدين.

لماذا دخل فى معركة حامية مع الدكتور يوسف إدريس والأديب توفيق الحكيم؟

- معركته مع توفيق الحكيم انتهت فى صالحه، وأذكر أثناء مرض الأديب توفيق الحكيم الأخير وعلاجه بمستشفى المقاولون العرب، أن طلب الشيخ لزيارته فى المستشفى وبالفعل زاره وطلب منه الحكيم أن يسامحه وقال له «لم أقصد الإساءة إليك».

كيف انتهت معركته مع الدكتور يوسف إدريس؟

- قبل وفاة الدكتور يوسف إدريس بفترة قصيرة جدا»، كان الشيخ فى فندق فلسطين بالإسكندرية وتصادف وجود الدكتور يوسف إدريس هناك، وأثناء انتظارى له فى مطعم الفندق لكى اصطحبه إلى مكان ما، نادانى الدكتور يوسف إدريس وقال لى: هل تعرفنى؟ فقلت له: نعم، فقال: أرجوك أن تمهد لى لقاءً مع الشيخ الشعراوي حتى أوضّح له موقفى وأصفّى ما حدث بيننا.. وبالفعل جلسا معًا وقال له: يا مولانا أنا كنت أنظر إلى الموضوع من زاوية صحية، ولكن فضيلتك قدمت كل الأسانيد الدينية، والخلاف كان سببه حديث الذبابة، حديث كان إدريس اعترض على هذا الحديث.

هل كشف لك عن سر سجوده لله شكرا بعد هزيمة يونيه 1967؟

- قال: أنا لم أسجد بسبب الهزيمة، ولكن لأن مصر كانت فى هذا العصر فى أحضان الشيوعية، والشيوعية هى الإلحاد.. فلو كان النصر تحقق فى ظل الشيوعية لكانت الشيوعية هى التي انتصرت، وكانت سادت وتغلغلت.

فلما جاء الرئيس السادات - الله يرحمه - وخضنا حرب 1973 وطرد الشيوعيين.. شكر الله.. وسجوده كان لأن الله لم يجعل الغلبة للملحدين من الشيوعيين، وإنما جعل النصر بكلمة الله أكبر.

وهل كان يداوم على مشاهدة التليفزيون؟

- كان يشاهد التليفزيون بعض الأحيان ويقول عنه «التليفزيون مثل الكوب، يمكن أن تستخدمه فى شرب الماء، ويمكن أن تستخدمه فى شرب الكحول»، ولكنه كان يشاهد أي حدث جديد، وكان يشاهد مسلسل «ليالى الحلمية» و«عمر بن عبدالعزيز».

من الذي كان يدير شئونه؟

- كل ما يتعلق بالشيخ كنت أتولاه أنا.

هل كتب وصية قبل وفاته؟

- وصيته كانت للأعمال الخيرية.

ما مصير التسجيلات النادرة التي تحتفظ بها؟

- نحاول الآن تفريغها والاستفادة منها فى إكمال تفسير القرأن للشيخ الشعراوي.

بمناسبة تفسير القرآن.. ما الجديد؟

- الشيخ توقف عند تفسير سورة «الصف»، وقبل وفاته قال لى: أنت عارف قصة تسمية تفسير الجلالين؟! قلت: لا أعرف، قال: لأن جلال الدين السيوطى لم يكمل تفسير القرآن، وجاء بعده جلال الدين المحلى الذي أكمل التفسير، وقلت له: ما مناسبة هذا الكلام. الله سبحانه وتعالى الذي أعطاك العمر حتى تكمّل 27 جزءا ونصف الجزء، لن يبخل عليك بالعمر حتى تكمّل تفسير باقى القرآن؟! قال: لا أنا أكملت تفسير القرآن، قلت له: كيف؟

قال: أنا بدأت بتفسير جزء عم ويحتفظ بذلك الدكتور محمد عبده يمانى وزير الإعلام السعودى والمتبقى الآن نحاول تجميعه من التسجيلات وسيكون كل التفسير بصوته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نجيب محفوظ

أعتز كثيرا بالحوار الذي أجريته مع فاطمة وأم كلثوم كريمتى الأديب العالمى نجيب محفوظ ونشر فى الأهرام يوم 6 ديسمبر 1988 وجرى فى استراحة كبار الزوار بالمبنى رقم 2 فى مطار القاهرة الدولى، وكانت تودعهما الأم عطية إبراهيم ويسافر معهما على نفس الطائرة الكاتب الصحفى محمد سلماوى الممثل الشخصى لنجيب محفوظ والسفير السويدى بالقاهرة وزوجته وذلك لحضور احتفالات تسليم جائزة نوبل، حيث ستتسلم ابنتاه أم كلثوم وفاطمة الجائزة من ملك السويد، مناصفة بينهما، حيث تتسلم أم كلثوم شهادة الجائزة، بينما تتسلم فاطمة الميدالية، تحدثت طويلا مع الزوجة والأم عطية إبراهيم عن نجيب محفوظ وشخصيته وكشفت يومها أن زوجها كان على وشك السفر لاستلام الجائزة، ولكن الأطباء منعوه من ذلك خوفا من تأثير الضغط الجوى عليه الذي تسببه الطائرة، وقالت إن الأستاذ نجيب محفوظ ظل مستيقظا ليلة السفر حتى بعد منتصف الليل واستيقظ من نومه فى الرابعة صباحا للاطمئنان على كريمتيه قبل سفرهما.

كما كشفت عن أن اختياره الكاتب محمد سلماوى لتسلم الجائزة يرمز إلى أن يكون ممثله من جيل الشباب بالإضافة إلى الصفات الأخرى وهى إجادة اللغة الإنجليزية وحسن التمثيل المشرف، وهذا يتوافر فى شخص سلماوى.

فى الحوار أعربت كريمتا الكاتب الكبير عن سعادتهما للقيام بهذه المهمة نيابة عن والدهما، وعن أسباب رفضهما السفر فى البداية، قالتا إن هذه الجائزة منحت لوالدهما وهما لم يفعلا فى حياتهما ما يوجبُ هذا التكريم، وأنهما يعرفان أنهما سيلقيان تكريما كبيرا هما لا يستحقانه ولذلك كان الرفض، وبعد أن أبدى والدنا رغبته بضرورة السفر قبلنا ذلك.

كان يتابع الحوار السفير السويدى بالقاهرة «لارش بولابرليوت:وقال بأنه سعيد جدا لاختيار نجيب محفوظ لنوبل، ليس فقط لأنه مصري، ولكن لأنه كاتب عظيم وهو فى النهاية يمثل مصر الحديثة، وقد نجح فى نقل اهتمام العالم من مصر الفرعونية إلى مصر الحديثة، وقد خلق فى السويد اهتماما كبيرا جدا بمصر الحديثة، مصر المعاصرة وأعتقد أن هذه الجائزة أفادت العالم كله، وقد تأخرت كثيرا عن نجيب محفوظ، ولكن يستحقها عن جدارة.

وعن سفر كريمتى نجيب محفوظ قال أنه سعيد بسفرهما وإن كان يأسف لعدم تمكن الكاتب الكبير من السفر، ولكننى متفهم تماما لظروف عدم سفره ومقدر ذلك، وأتمنى أن يتمكن الكاتب الكبير من أن يرى بنتيه فى التلفزيون عن طريق النقل المباشر ليرى إحداهما وهى تتلقى الشهادة والثانية تتسلم الميدالية.

كما أتمنى أن يكون الإرسال مباشرا، لأن السكرتير العام الدائم للأكاديمية السويدية والذي سيقدم الأستاذ نجيب محفوظ وأسباب اختيارهم له سيوجه كلامه مباشرة عبر التلفزيون إلى الأستاذ نجيب محفوظ ومهم جدا أن يتابع ذلك.

يومها قال محمد سلماوى أنه سيلقى فى الاجتماع الذي يعقد يوم 8 ديسمبر خطاب نجيب محفوظ، وهذا الاجتماع مخصص للفائز بجائزة الأدب فقط، وعن الكلمة الخاصة بنجيب محفوظ قال: إنها ستلقى باللغة العربية، ويستغرق إلقاؤها 20 دقيقة ثم تلقى بعد ذلك باللغة الإنجليزية، وأوضح أنه حدث اتفاق متبادل بين نجيب محفوظ و السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية أثناء زيارته للقاهرة على أن تلقى الكلمة باللغة العربية إلى جانب الترجمة لتنفيذ رغبة الكاتب الكبير.

قبل السفر دار جدلٌ كبير حول السبب لعدم سفر محفوظ وخصوصا حول ترشيحه للكاتب محمد سلماوى لاستلام الجائزة وإلقاء الكلمة المهمة باسم نجيب محفوظ، وبعد أن توسعت وسائل الإعلام فى النشر حول تلك القضية، استقر الأمر على أن تسافر كريمتاه مع سلماوى، كما اهتمت وزارة الثقافة بالحدث وتم التنسيق مع كريمتيه على الزى الذي سترتديانه فى الحفل الرسمى وكان عبارة عن الزى الفرعونى.

فى خطابه التاريخى أمام الأكاديمية السويدية قدم نجيب محفوظ نفسه بالتواضع الذي يميز العلماء من جانب ومن جانب آخر بالغزارة المعرفية التي تنسجم مع ثقافته، وسطر يومها بلغة رصينة ورؤية ثاقبة تفتح دروب الخيال وتسطر الواقعية وقال: أخبرنى مندوب جريدة أجنبية فى القاهرة بأن لحظة إعلان اسمى مقرونا بالجائزة سادها الصمت، وتساءل كثيرون عمن أكون،

فاسمحوا لى أن أقدم لكم نفسى بالموضوعية التي تتيحها الطبيعة البشرية.. أنا ابن حضارتين تزوجتا فى عصر من عصور التاريخ زواجا موفقًا، أولهما عمرها سبعة آلاف سنة، وهى الحضارة الفرعونية، وثانيهما عمرها ألف وأربعمائة سنة، وهى الحضارة الإسلامية، ولعلى لست فى حاجة إلى التعريف بأي من الحضارتين لأحد منكم، وأنتم من أهل الصفوة والعلم، ولكن لا بأس من التذكير ونحن فى مقام النجوى والتعارف.

وعن الحضارة الفرعونية لن أتحدث عن الغزوات وبناء الإمبراطوريات، فقد أصبح ذلك من المفاخر البالية التي لا ترتاح لذكرها الضمائر الحديثة والحمد لله، ولن أتحدث عن اهتدائها لأول مرة إلى الله سبحانه وتعالى، وكشفها عن فجر الضمير البشرى، فلذلك مجال طويل، فضلاً عن أنه لا يوجد بينكم من لم يلم بسيرة الملك النبى إخناتون، بل لن أتحدث عن إنجازاتها فى الفن والأدب ومعجزاتها الشهيرة الأهرام وأبو الهول والكرنك، فمن لم يسعده الحظ بمشاهدة تلك الآثار فقد قرأ عنها وتأمل صورها.. دعونى أقدمها - الحضارة الفرعونية - بما يشبه القصة ما دامت الظروف الخاصة بى قضت بأن أكون قصاصا، فتفضلوا بسماع هذه الواقعة التاريخية المسجلة.. تقول أوراق البردى إن أحد الفراعنة قد نما إليه أن علاقة آثمة نشأت بين بعض نساء الحريم وبعض رجال الحاشية.

وكان المتوقع أن يجهز على الجميع، فلا يشذ فى تصرفه عن مناخ زمانه، ولكنه دعا إلى حضرته نخبة من رجال القانون، وطالبهم بالتحقيق فيما نما إلى علمه، وقال لهم إنه يريد الحقيقة ليحكم بالعدل.. ذلك السلوك فى رأيى أعظم من بناء إمبراطورية وتشييد الأهرامات وأدل على تفوق الحضارة من أي أُبَّهةٍ أو ثراء، وقد زالت الإمبراطورية وأمست خبراً من أخبار الماضى، وسوف تتلاشى الأهرامات ذات يوم ولكن الحقيقة والعدل سيبقيان ما دام فى البشرية عقل يتطلع أو ضمير ينبض.

وعن الحضارة الإسلامية فلن أحدثكم عن دعوتها إلى إقامة وحدة بشرية فى رحاب الخالق تنهض على الحرية والمساواة والتسامح، ولا عن عظمة رسولها، فمن مفكريكم مَنْ كَرَّمَهُ كأعظم رجل فى تاريخ البشرية، ولا عن فتوحاتها التي غرست آلاف المآذن الداعية للعبادة والتقوى والخير على امتداد أرض مترامية ما بين مشارف الهند والصين وحدود فرنسا.

ولا عن المؤاخاة التي تحققت فى حضنها بين الأديان والعناصر فى تسامح لم تعرفه الإنسانية من قبل ولا من بعد، ولكنى سأقدمها فى موقف درامى- مؤثر- يلخص سمةً من أبرز سِماتها، ففى إحدى معاركها الظافرة مع الدولة البيزنطية ردت الأسرى فى مقابل عدد من كتب الفلسفة والطب والرياضة من التراث الإغريقى العتيد، وهى شهادة قيمة للروح الإنسانية فى طموحها

إلى العلم والمعرفة، رغم أن الطالب يعتنق دينا سماويا والمطلوب ثمرة حضارة وثنية.

قُدر لى يا سادة أن أولد فى حضن هاتين الحضارتين، وأن أرضع لبنيهما وأتغذى على آدابهما وفنونهما، ثم ارتويت من رحيق ثقافتكم الثرية الفاتنة، ومن وحى ذلك كله، بالإضافة إلى شجونى الخاصة، ندت عنى كلمات أسعدها الحظ باستحقاق تقدير أكاديميتكم الموقرة، فتوجت اجتهادى بجائزة نوبل الكبرى، فالشكر أقدمه لها باسمى وباسم البناة العظام الراحلين من مؤسسى الحضارتين.

سادتى..

لعلكم تتساءلون: هذا الرجل القادم من العالم الثالث، كيف وجــد من فـراغ البال ما أتاح له أن يكتب القصص؟ وهو تساؤل فى محله.. فأنا قادم من عالم ينوء تحت أثقال الديون، حتى ليهدده سدادها بالمجاعة أو ما يقاربها.. يهلك منه أقوام فى آسيا من الفيضانات، ويهلك آخرون فى إفريقيا من المجاعة، وهناك فى جنوب إفريقيا ملايين المواطنين قُضىَ عليهم بالنبذ والحرمان من أي من حقوق الإنسان فى عصر حقوق الإنسان وكأنهم غير معدودين من البشر.

وفى الضفة وغزة أقوام ضائعون رغم أنهم يعيشون فوق أرضهم وأرض آبائهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم، هَبَّوا يطالبون بأول مطلب حققه الإنسان البدائى وهو أن يكون لهم موضع مناسب يُعْتَرفُ لهم به، فكان جزاء هَبَّتِهم الباسلة النبيلة - رجالاً ونساءً وشبابًا وأطفالاً - تكسيرا للعظام وقتلا بالرصاص وهدما للمنازل وتعذيبًا فى السجون والمعتقلات، ومن حولهم مائة وخمسون مليونا من العرب يتابعون ما يحدث بغضب وأسى، مما يهدد المنطقة بكارثة إن لم تتداركها حكمة الراغبين فى السلام الشامل العادل.

أجل كيف وجد الرجل القادم من العالم الثالث فراغ البال ليكتب قصصا؟ ولكن من حسن الحظ أن الفن كريم عطوف، وكما أنه يعايش السعداء فإنه لا يتخلى عن التعساء، ويهب كل فريق وسيلة مناسبة للتعبير عما يجيش به صدره.

وفى هذه اللحظة الحاسمة من تاريخ الحضارة، لا يُعقَلُ ولا يُقْبَلُ أن نتلاشى آنَّاتِ البشر فى الفراغ.. لا شك أن الإنسانية قد بلغت على الأقل سن الرشد، وزماننا يبشر بالوفاق بين العمالقة ويتصدى العقل للقضاء على جميع عوامل الفناء والخراب.

وكما ينشط العلماء لتطهير البيئة من التلوث الصناعى، فعلى المثقفين أن ينشطوا لتطهير البشرية من التلوث الأخلاقى، فمن حقنا وواجبنا أن نطالب القادة الكبار فى دول الحضارة، كما نطالب رجال اقتصادها، بوثبة حقيقية تضعهم فى بؤرة العصر.. قديما كان كل قائد يعمل لخير أمته وحدها، معتبرا بقية الأمم خصوماً أو مواقع للاستغلال.

دونما أي اكتراث لقيمة غير قيمة التفوق والمجد الذاتى، وفى سبيل ذلك أُهدِرَتْ أخلاقٌ ومبادئ وقيم، وبرزت وسائل غير لائقة، وأُزْهِقَتْ أرواحٌ لا تُحصَى، فكان الكذب والمكر والغدر والقسوة من آيات الفطنة ودلائل العظمة.. اليوم يجب أن تتغير الرؤية من جذورها.. اليوم يجب أن تُقاسَ عظمةُ القائد المتحضر بمقدار شمول نظرته وشعوره بمسئوليةٍ نحو البشرية جميعاً.. وما العالم المتقدم والثالث إلا أسرة واحدة، يتحمل كل إنسان مسئوليته نحوها بنسبة ما حَصَّلَ من علم وحكمة وحضارة.

ولعلى لا أتجاوز واجبى إذا قلت لهم باسم العالم الثالث: لا تكونوا متفرجين على مآسينا، ولكن عليكم أن تلعبوا فيها دوراً نبيلاً يناسب أقداركم.. إنكم من موقع تفوقكم مسئولون عن أي انحراف يصيب أي نبات أو حيوان، فضلا عن الإنسان فى أي ركن من أركان المعمورة. وقد ضقنا بالكلام وآن أوان العمل.. آن الأوان لإلغاء عصر قطاع الطرق والمرابين.. نحن فى عصر القادة المسئولين عن الكرة الأرضية.. أنقذوا المستبعدين فى الجنوب الإفريقى.. أنقذوا الجائعين فى إفريقيا.. أنقذوا الفلسطينيين من الرصاص والعذاب، بل أنقذوا الإسرائيليين من تلويث تراثهم الروحى العظيم.. أنقذوا المديونين من قوانين الاقتصاد الجامدة.. والفتوا أنظارهم إلى أن مسئوليتهم عن البشر يجب أن تُقَدَّمَ على التزامهم بقواعد علم لعل الزمن قد تجاوزه.

سادتى..

معذرة.. أشعر بأنى كدرت شيئا من صفوكم، ولكن ماذا تتوقعون من قادم من العالم الثالث.. أليس أن كل إناء بما فيه ينضح؟

ثم أين تجد آنات البشر مكانًا تتردد فيه إذا لم تجده فى واحتكم الحضارية التي غرسها مؤسسها العظيم لخدمة العلم والأدب والقيم الإنسانية الرفيعة؟ وكما فعل ذات يوم برصد ثروته للخير والعلم طلباً للمغفرة فنحن - أبناء العالم الثالث - نطالب القادرين المتحضرين باحتذاء مثاله واستيعاب سلوكه ورؤيته.

سادتى..

رغم كل ما يجرى حولنا فإننى ملتزم بالتفاؤل حتى النهاية.. لا أقول مع الفيلسوف «كانط» إن الخير سينتصر فى العالم الآخر، فإنه يحرز نصرا كل يوم، بل لعل الشر أضعف مما نتصور بكثير، وأمامنا الدليل الذي لا يُجْحَدُ، فلولا النصر الغالب للخير ما استطاعت شراذم من البشر الهائمة على وجهها عرضة للوحوش والحشرات والكوارث الطبيعية والأوبئة والخوف والأنانية، أقول لولا النصر الغالب للخير ما استطاعت البشرية أن تنمو وتتكاثر وتُكَوِّن الأمم وتكتشف وتبدع وتخترع وتغزو الفضاء وتعلن حقوق الإنسان، غاية ما فى الأمر أن الشر عربيد ذو صخب ومرتفع الصوت، وأن الإنسان يتذكر ما يؤلمه أكثر مما يسره، وقد صدق شاعرنا أبوالعلاء عندما قال: إن حزنا ساعـة الموت أضعاف سرور ساعة الميلاد.

سادتى.. أكرر الشكر وأسألكم العفو.

مرت السنوات وجاءت مناسبة آخرى أعتز بها، جمعتنى بالأديب العالمى نجيب محفوظ، الرجل الأسطورة، أعود بالذاكرة إلى عصر ذلك اليوم، حيث كان ضيفى مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة فى شركة طيران لوفتهانزا وهو شاب ألمانى لم يتجاوز عمره 28 عاما غير أنه كان شغوفا بالقراءة ومولعا بنجيب محفوظ وكانت إحدى أمانيه أن يحصل على توقيع نجيب محفوظ على رواية يحملها تمت ترجمتها إلى الإنجليزية.

يومها تواصلت مع الشاعر أحمد الشهاوى للمعاونة فى ترتيب اللقاء وبعد أن أجرى بعض الاتصالات تأكد أن الأديب العالمى سيكون مع الأصدقاء من الحرافيش فى هذا اليوم فى الفندق الشهير بكورنيش المعادى.

فذهبت بصحبة الضيف الألماني، وكان يجلس الأديب العالمى ومِنْ حوله أصدقاؤه، ويقرأ أحدهم عليه مقالا للكاتب والمفكر المصرى محمد سيد أحمد، نُشر فى الأهرام عن سياسة إسرائيل فى الأراضى الفلسطينية ويستمع باهتمام بالغ و على الرغم من أن المقال كان طويلا ومتخصصا وأديب نوبل يجد صعوبة كبيرة فى الرؤية والسمع، ومع هذا كان الإهتمام منه كبيرا.وبعد أن انتهى من الإستماع إلى المقال، أخبروه بحضورى رحب بي، و بالضيف وسألنى عن مهنة الضيف ومن أين جاء؟ كان كريما فى استقباله، وبتواضع خاطبنى بذاكرة قوية قائلا يا: ماهر فلاش الكاميرا لا أتحمله، ولكن سأنظر إلى الأرض، ويتم التقاط الصورة التذكارية ثم وقع بخط يده على الكتاب.

ولأجل هذا عاش ومات نجيب محفوظ مخلصا لموهبته لا يفعل سوى العمل والإبداع.. وترك فى نفوس كل من عرفه وكل من قرأ له أكبر الأثر فى

الإخلاص للعمل والاجتهاد فى صمت دون كلام مُرسَلٍ ويترك أعماله هى التي تتحدث عنه.

وسيبقى نجيب محفوظ علامة وقدوة على كل المستويات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الدكتور مجدى يعقوب

لا يتابع ما يُنشَرُ فى وسائل التواصل الاجتماعي.. ولم يشتبك مع أحد، وتفرغ لخدمة الإنسانية، الدكتور مجدى يعقوب له مكانته الخاصة فى قلوب المصريين، رفع عاليا اسم مصر بتفوقه ونبوغه كأشهر طبيب على مستوى العالم فى جراحات القلب، وغالبية المصريين يتابعون أخباره كنموذج للنجاح والقدوة، وكلما ظهرت على مواقع التواصل الاجتماعى عبارات عن حالته الصحية، تسود حالة من الحزن الدفين خشية أن تكون صحيحة، وهى حالة تتكرر معه بشكل لافت للنظر، دون سبب مفهوم، من قبل حدثت مع الشاعر الكبير الراحل عبد الرحمن الأبنودى، الذي واجه وهو على قيد الحياة القصة المؤلمة بتفاصيل أكثر قسوة على النفس، وهى نشر بعض وسائل الإعلام أخبارا غير حقيقية عن وفاته، وفى مرات كنت أبادر بالاتصال به فكان - يرحمه الله- سريع البديهة التي يتمتع بها يقول أنا على «قيد الحياة» ويكمل: أعرف أنك تتصل كى تتحقق من الخبر وكنت أشعر بحرج شديد، لكننى فى منتهى السعادة بسماع صوته والاطمئنان عليه.

وأتذكر أن الشاعر الكبير قال لى عبارة ما زال صداها يرن فى أذنى حتى الآن، بعد أن زادت على الحد الأخبار الكاذبة عن وفاته وقال: هل يعقل أن تصبح مهمتى الآن على قيد الحياة هى نفى خبر وفاتي؟ قالها بمرارة كانت عبارة قوية من الأبنودى لم أسمعها من قبل.

يتكرر نفس الموقف مع الدكتور مجدى يعقوب، لكنه من حسن الحظ، أنه لا يتابع كل ما ينشر على مواقع التواصل الاجتماعى باللغة العربية حتى لا يشعر بالمرارة، وقد يتخيل أن هناك من يتربص به، وهو الشخصية التي لم تشتبك مع أحد وتفرغت طوال السنوات للعمل وخدمة الإنسانية.

وهنا يأتى السؤال لماذا يبادر البعض بكتابة أخبار من هذا النوع غير مدققة تتعلق بصحة وحياة إنسان مشهور، له متابعون فى كل أنحاء العالم بالملايين؟ من الطبيعى أن يمرض الدكتور مجدى يعقوب، فهو بشر وفى مرحلة سنية متقدمة من العمر، فهو من مواليد 16 نوفمبر 1935، حصل على بكالوريوس الطب من جامعة القاهرة بطب قصر العيني- ثم عمل جراحاً نائباً فى قسم عمليات الصدر فى المستشفى، ثم سافر إلى المملكة المتحدة «إنجلترا»عام

1962 لاستكمال دراساته، وحصل على درجة الزمالة الملكية فى الجراحة من ثلاث جامعات بريطانية هي: لندن وأدنبرة وجلاسكو البريطانية، نال لقب بروفيسور فى جراحة القلب عام 1985، وفى عام 1991 منحته ملكة بريطانيا لقب سير، والحالة الصحية مع تقدم العمر شىء من سنن الحياة، فهل هو الاهتمام الزائد به ومتابعة كل ما يخص حياته؟! ربما يكون كذلك لكنه فى نظر الكثيرين غير مبرر.

الدكتور مجدى يعقوب يتمتع بثقافة المكاشفة فى حدود ضمير الطبيب المهنى، فهو يعرف قصصا وتفاصيل عن ملايين المرضى وعن حالتهم الصحية، لكنه أبدا لا يبوح بالأسرار، كما يلتزم كغيره من الأطباء بالضمير المهنى، نام على سرير المرض أمامه رؤساء وملوك وأمراء ومشاهير، يحتفظ لنفسه ومهنته بالخصوصية، لا يتحدث عن أي شيء.

يدرك هو قبل غيره أنه لو كانت هناك مبررات تستدعى كتابة بيان عن حالته الصحية فلن يتردد فى ذلك، فهو يعرف أنه شخصية عامة تتابع الناس كل أخباره، ومن حقها أن تطمئن عليه، وهو فعل من قبل نفس الأمر مرات ومرات، حتى فى حالات الوفاة التي حدثت لمرضى مشاهير، كان يقوم بعلاجهم ومن بين هذه البيانات، البيان الذي أصدره عقب وفاة الفنان خالد صالح، حيث أصدر بيانا عن مركز القلب فى أسوان، بصفته مالكه، والذي قضى فيه الممثل الراحل خالد صالح أيامه الأخيرة، لينعى رحيله ويوضح لجمهوره حقيقة مرضه.

الدكتور مجدى يعقوب يرفض بشكل قاطع أن يسأله البعض عن حياته الشخصية.أو التطرق إلى الأمور الروحية أو الدينية كما لا يحب أن يمدحه أحد.

عن قرب قابلت الدكتور مجدى يعقوب مرة واحدة فى استراحة كبار الزوار بمطار القاهرة الدولى نهاية التسعينيات، فى هذا الوقت كان قد بدأ يتردد على مصر بعد غياب طويل لإجراء جراحات القلب للحالات الحرجة وتدريب فريق طبى مصرى،، كان قد وصل إلى التو على الطائرة المصرية القادمة من لندن، لإجراء عدد من عمليات القلب المفتوح فى مستشفى قصر العينى للحالات المرضية الصعبة، كانت ترافقه عائلته الصغيرة فى زيارة أولى لمصر، بعد أن ذاع صيته وشهرته، كنت أتابع كغيرى من المصريين نجاحاته والذي كان يضطر فى مرات عديدة إلى تحويل وجهة سفره، وهو داخل صالة السفر بالمطار قبل الصعود إلى الطائرة إلى مدينة عالمية لإنقاذ حياة مريض يحتاج إلى التدخل الجراحى دون تأخير، أكثر من ساعات قليلة وينتقل من مهبط الطائرة مباشرة إلى غرفة العمليات المجهزة لمعاونة الفريق الطبى فى إنقاذ حياة مريض القلب.

فى استراحة كبار الزوار صافحته، وطلبت منه أن يسمح لى بحوار سريع معه، رحب بابتسامة ودودة وكان سؤالى الأول ما النصيحة التي توجهها إلى مريض القلب؟ فقال: النصيحة ليست لمريض القلب، وإنما إلى كل إنسان، وهى ضرورة المشى يوميا فى حدود 3 كيلومترات لحماية القلب، وهى مهمة للمريض وللإنسان السليم.

كان يتكلم عن الوقاية من المرض باهتمام كبير، ويعتبرها صمام أمان لصحة الإنسان.

كما قال إن التدخين يشكل خطرا كبيرا على صحة الإنسان ووقتها كشف عن أن العالم بصدد فرض قيود كبيرة على المدخنين للحد من إنتشار الظاهرة، وعندما سألته عن رحلته مع الطب قال الإجتهاد هو الطريق الذي عن طريقه يستطيع كل طَموحٍ فى الحياة أن يصل إلى أهدافه، ويومها تحدث بفخر عن عائلته التي كانت ترافقه وقال لديهم ارتباط بمصر، صحيح لا يتكلمون اللغة العربية لكن هذا لا يمنع ابدا من علاقة الإرتباط.

وأجاب عن سؤال حول رسالة الطب فقال: الطب رسالة، وعلاقتى بالمريض علاقة مباشرة وهى مقدسة ومن المهم أن يشعر المريض بالثقة فى الطبيب وقد تكون هذه الثقة مفتاح للشفاء

وعندما سألته عن الجديد فى جراحة القلب قال: العلم يسجل كل يوم انتصارا جديدا وهناك أبحاث تعمل على نجاح زراعة القلب، وذهب إلى مستشفى قصر العينى قبلة الطب فى مصر، أجرى الجراحات بمساعدة فريق من المصريين وتحمس لسفر بعض من شباب الأطباء للعمل معه فى لندن لاكتساب الخبرة، ومن بينهم الدكتور السيد كامل عقل وغيره الكثيرون

مجدى يعقوب طبيب قلب، لكنه فى الحقيقة هو بكل ما تعنى الكلمة قلب كبير فى صورة إنسان، وليس عكس ذلك، دون تصريحات أو كلام، وأسس مركز مجدى يعقوب للقلب الأطفال بالمجان فى محافظة أسوان، ليكون خلاصة تجربة الحياة والحكمة ومعنى العطاء والوفاء والإنجاز على الأرض، تخصص فى جراحات القلب بسبب وفاة عمته الصغرى أوجينى، وكان عمرها 21 سنة، بسبب ضيق فى صمام القلب، و تركت بعد رحيلها ابنتها وهى صغيرة جدا، يقول كان من الممكن أن ننقذها لو كانت تعيش فترة التطور العلمى فى مجال جراحات القلب، فالعملية التي كانت تحتاجها بسيطة جدا، أصبح مجدى يعقوب واحدا من أشهر ستة أطباء قلب فى العالم، وثانى طبيب يقوم بزراعة قلب بعد كريستيان برنارد، أجرى أكثر من ألفى عملية زرع قلب خلال ربع قرن، بلغت أبحاثه العلمية أكثر من 400 بحث متخصص فى طب وجراحة القلب والصدر

أسس فى عام 1995 مؤسسة خيرية باسم «سلسلة الأمل»التي تتولى إجراء عمليات جراحية لإنقاذ حياة مرضى القلب من الأطفال فى البلدان النامية. وهو أول من ابتكر جراحة «الدومينو»التي تتضمن زراعة قلب ورئتين فى مريض يعانى من فشل الرئة، وفى الوقت نفسه، يؤخذ القلب السليم من المريض عينه ليزرع فى مريض ثان.

بعد أن بلغ سن 65 عاما، قرر التوقف عن إجراء العمليات الجراحية والتفرغ للعمل كاستشاري، لكن فى عام 2006 اضطر للعودة إلى الجراحة ليقود عملية معقدة تتطلب إزالة قلب مزروع فى مريضة، بعد شفاء قلبها الطبيعى، والعبقرية أنه عندما أجرى عملية زرع القلب، ترك القلب الطبيعى للطفلة المريضة خلال عملية الزرع السابقة.

تم منحه قلادة النيل أعلى وسام فى مصر من الرئيس الأسبق حسنى مبارك يوم 6 يناير عام 2001، لجهوده الوافرة والمخلصة فى مجال جراحة القلب، وقد تسلمها بنفسه فى حفل خاص أقيم على شرفه.إنجازه فى مجال زرع الخلايا. له آراء فى الحياة، منها أن الإنسانية أهم من الجنة والنار.

وقال: كنت أتمنى أن أعمل فلاحا لو لم أكن جراحا، وربط بين مهنة الجراح والفلاح، فقال: الجراح يتعامل مع إنسان حى والفلاح يتعامل مع نبات حى، وهو تشبيه يرفع من قيمة الفلاح والمزارع فى المجتمع، وتقدير كبير من شخصية فى وزن مجدى يعقوب.

هو إنسان كبير، جسد كل المعانى فى العمل والنجاح، وقدم القدوة والقدرة على التقدم والرقى وسطر فى التاريخ النموذج الحى لكل من يطمح فى أن يصنع عالما حقيقيا من التفوق بالإرادة والهمة وسادا كل الثغرات أمام الإحباط واليأس، فالأمل هو مفتاح الحياة الذي يعيش به ويتقدم معه كل يوم

ويبقى مجدى يعقوب اسما كبيرا وعالما عالميا تفتخر به مصر والأمة العربية، تحوم حوله الكلمات لا تؤثر، مصانا بعناية فائقة ترفعها دعوات الملايين الذين رسم البسمة على شفاههم وأراح القلوب الموجوعة من الآلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عبد الرحمن الأبنودي

الخوف من السلفيين..

ارتبطت بعلاقة ما مع الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى، زرته مرة وحيدة فى شقته بحى المهندسين، بعد هذه الزيارة كان يحدث التواصل عبر الهاتف على فترات، اضطر بسبب حالته الصحية إلى مغادرة العاصمة والإقامة فى

مدينة الإسماعيلية بسبب عدم قدرته على العيش فى القاهرة نظرا لارتفاع نسب التلوث مما يؤثر عليه، كنت أتصل به هاتفيا بين الحين والحين وفى مرات بعينها كنت أتلقى منه اتصالا للتعقيب على مقال نشرته وله رأي خاص فيه.

عبد الرحمن الأبنودى كان يحرص على العلاقات الإنسانية ولم يبعده المرض فى أي وقت عن مهام الواجب والأصول التي يعرفها ويعلمها للأجيال.. كل من يمر بظرف إنسانى يتلقى برقية رقيقة من الشاعر المسكون بالحب والتواصل. كان يتابع الأحداث ويتفاعل معها بروح ومعنويات عالية.

وقبل ساعات قليلة من إكمال الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى عامه السادس والسبعين اتصلت به، حيث يقيم منذ سنوات فى مدينة الإسماعيلية لأقول له كل عام وأنت بخير، فجاء صوته كما أسمعه صادحا متفائلا قائلا: أهلا يا ماهر أين أنت منذ فترة طويلة لم تتكلم؟

هذا هو المتواضع الذي تشعر معه بدفء العلاقة وقيمة الموهوب الكبير. حاولت أن أداعبه وقلت كنت أتمنى أن أكون مع الزميلين العزيزين أحمد المسلمانى وعلى السيد فى زيارتهما لك فى الإسماعيلية. وتابعت صورهما بغيظ.

رد مداعبا هما كانا فى مهمة بالإسماعيلية ومرا على بالصدفة وكانت التشريفة تسبق الموكب «سبحان الله،»وضحك ويقصد المكانة التي يتمتع بها المسلمانى المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية المؤقت المستشار عدلى منصور آنذاك.

فى سنواته الأخيرة كانت الشائعات أكثر ما تؤلم الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى.. خصوصا شائعة وفاته التي كانت تتداول بشكل متكرر على بعض المواقع.

قبل أسابيع قليلة وبعد خروجه من المستشفى اتصلت به تليفونيا وجاءت على الطرف الآخر السيدة نهال كمال زوجته وأعطته الهاتف وبطريقته الساخرة قال مداعبا برغم المرض والألم:

إيه الأرقام المميزة دى؟ ثم أكمل هات من الآخر عاوز تتأكد من شائعة وفاتى.. ارتبكت وقلت له ربنا يطول فى عمرك.. وقال أنا بصحة جيدة واستغرب من هؤلاء الذين ينشرون شائعة موتى. وبعد أيام تداولت بعض المواقع شائعة أخرى عن وفاته.. وعلى الفور اتصلت به على تليفون منزله بالإسماعيلية حيث كان يفضل أن يستقبل المكالمات على الرقم الأرضى أفضل من التليفون المحمول وجاء صوته حزينا وقال: تريد أن تتأكد أننى حى

أرزق وأكمل أنا بخير و بمرارة، قال: هل يعقل أن تكون مهمتى طوال السنوات الماضية أن أرد بنفسى على شائعة وفاتى وأن أتفرغ لنفيها.. أنا الوحيد الذي يعيش وينفى كل لحظة شائعة وفاته ووصف هؤلاء بأنهم ناس ليس لديهم ضمير وهم أشرار، وأبدى عتابا على البعض الذي يقرأ الشائعة ولا يسارع بنفيها، فطلبت منه أن يتحدث بصوته، فى إحدى الفضائيات، ليطمئن الناس، لكنه اعتذر عن عدم فعل ذلك، وطلب منى أن أكتب هذا المعنى.

وفى وسط محنة المرض قلت له هل سمعت صوت الفتاة المصرية ياسمينا التي ظهرت فى برنامج مواهب العرب، وكانت المفاجأة أن قال: سمعت صوتها وهى موهبة جيدة، وكانت ياسمينا تقف إلى جوارى واستأذنته فى أن تحادثه فرحب بها، وأشاد بموهبتها وفرح كثيرا عندما عرف أنها من مدينة الإسماعيلية وطلب منها أن تزوره فى الإسماعيلية وقال لها من فضلك أعطى تليفونى لوالدك وهو يتصل بى و نحدد موعدا للزيارة.. كانت أمنية ياسمينا أن تغنى كلمات له.

كل من تعامل مع الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى يتكون لديه إحساس خاص بأنه صديقه المقرب.. كان الراحل الكبير يمتلك موهبة فطرية فى مد جسور الود والألفة مع الجميع، وفى أحد الأيام تلقيت منه مكالمة بعد نشر مقالى عن تكاليف محاكمة القرن حيث كتبت قُدرِّتْ تكاليف محاكمة القرن بما يزيد على 20 مليون جنيه وهى مصاريف الانتقال بالطائرة التي كانت تقل الرئيس السابق حسنى مبارك وتكاليف الفريق الطبى المرافق له، بالإضافة إلى تأمين قاعة المحاكمة وغيرها من الالتزامات الضرورية.. وتحملت ميزانية الدولة هذا العبء.

وكان يبلغ متوسط تكلفة الرحلة الواحدة للطائرة الهليكوبتر لنقل مبارك إلى قاعة المحاكمة ما بين 4 آلاف إلى 5 آلاف دولار.

هى إذن قضية كانت مجهدة لمصر من زوايا عديدة.. وفاتورة مكلفة

تحملتها ميزانية الدولة المنهكة.. وخلال جلسات المحاكمة الثانية التي بلغ عدد جلساتها 55 جلسة كان الأمر يتطلب المزيد من الإنفاق.

قرأ المقال وجاء صوته يعاتبنى على رقم 20 مليون وهو يعتقد أن التكاليف كانت أكبر بكثير وتبادلنا الحديث وشكرته على أنه يقرأ لى وهذا شرف كبير.

بعد ثورة 25 يناير، أجريت معه حوارا نشر فى الأهرام يوم 26 أبريل 2011 تحت عنوان

عبد الرحمن الأبنودى: أشعر بالخوف من مسلك السلفيين

بعد ثورة 25 يناير أجريت حوارا مع الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى نشر فى الأهرام يوم 26 أبريل 2011 وكان وقتها حديث الناس فى محافظة قنا يدور حول رفض تعيين محافظ جديد لقنا وهو أمر أثار جدلا وتباينات كبيرة وكان من المهم استطلاع رأي الشاعر الكبير.

ما الذي يحدث فى قنا؟

كنت أتمنى ألا تترك الأمور إلى هذه الدرجة من الاستفحال، نادينا فى أجهزة الإعلام بأنه كان من الممكن أن نقول: إن الثورة حدثت ومن أجل تدعيم ذلك كان يجب أن تستجيب الحكومة لرغبة الناس، فمادامت الناس ترفض محافظها فعلينا أن نستجيب دون أن ندخل فى قضايا طائفية أو غيرها.

ما هى أبرز ملاحظاتك على معالجة هذه الأزمة؟

البطء الشديد سواء بالسلب أو الايجاب هو الذي أدى إلى ما فيه الناس فى قنا.

هناك رفض لطبيعة الاعتراض؟

أنا ضد اتهام أهالى قنا بالطائفية.. فالمسلمون والمسيحيون شركاء فى هذه الوقفة التي حدثت بسبب مسلك المحافظ السابق وعدم توفيقه فى لعب دور ايجابى فى المحافظة، وكان من الممكن أن نحاورهم فى اليوم الأول، ولكننا لجأنا إلى التهديد مرة وللتجاهل مرات إلى أن استفحل الأمر.

وأين هيبة قرار الدولة؟

هيبة قرار الدولة تأتى حين يظهر دورها فى الأوقات المناسبة.. تناور عند كل حدث بالوجود والايجابية.. مثلا زيارة رئيس الوزراء سيناء كان عملا شديد الايجابية.. فلماذا لم يحدث نفس الأمر فى بؤرة ملتهبة مثل قنا التي لم تَثُرْ مرةً من قبل.

هل أنت متفاعل مع قنا بحكم كونك قناويا؟

بصفتى أعلم طبائع الناس هناك، لأننى منهم، وفى نفس الوقت أنا من أشد المتحمسين للدكتور عصام شرف وللثورة وللمجلس العسكرى الأعلي، ويعز عَلىَّ أننا نلجأ إلى الأساليب القديمة فى معالجة أمور تستحق أن نوليها اهتماما أكبر.

ما.. خاب من استشار.

هل تعتقد أن المحافظ لو استقال تنتهى مشاكل قنا؟

أنا متأكد أنه لو استبعد المحافظ الجديد، وكنت أتمنى أن يستقيل فيرحمنا ويرحم نفسه ولو كان وطنيا مخلصا لأصر على الاستقالة حتى لو رفضها المجلس العسكرى ورئاسة مجلس الوزراء، إذ إننا فى مرحلة حرجة وعلينا جميعا أن نحافظ على أمن مصر وننتقل بها سلميا إلى أهداف الثورة العظيمة، ثم إن أهالى قنا يتهمون المحافظ الجديد بتهم قد تكون حقيقية وقد تكون غير حقيقية، وكان عليه أن يشرح مواقفه خلال الثورة ويبرئ نفسه.. ويستقيل.

ما هى هواجسك الأخرى؟

نحسها جميعا ونحس بموجات قلق عاصفة لمسلك السلفيين والاتجاهات الدينية الجامحة، وذلك الشطط غير المسئول إلى جانب تلك التفجيرات الفئوية كما أننا كنا نعتقد أن مشكلة الأمن سوف تُحَلُّ بإيقاع أسرع من هذه الطريقة البطيئة، وهذه كلها هموم عامة يحسها الجميع ولا أحسها لوحدي.

على مستوى الإبداع.. ما هو جديد الأبنودي؟

إننى كتبت قصيدة الميدان فى بدايات الثورة وقبل تنحى الرئيس السابق، ولكننى الآن أدور حول نفسى قلقا وغير قادر على الكتابة، لأننى أخشى أننى لو كتبت قصيدة حقيقية سوف أؤرق الأمة وأزعجها، وقد كانت مهمتى طول حياتى أن أبشر بالنهار فى قلب الظلمة.

معنى هذا أن ما داخلك لا يطمئن؟

بالتأكيد سوف أزعج الناس.؟

الناس تقول ردا على ذلك أن ما قبل كان أفضل؟.. نعم يقول البعض يأسا.. وقلقا..

إن الأمس كان أفضل لأنه كان هناك ظلم، ولكن كان هناك هدوء لهذا الظلم.

واستقرار وقبول به، وصحيح أن الناس تخلصت من هذا الظلم وفرحت ورقصت رقصتها العبقرية خلال شهرى يناير وفبراير الماضيين.. خلاصا من الذل والإهانة والعوز والتكبر والتسلط والفساد العارم، ولكن لديهم إحساس بدائى بأن عصابات البلطجية وذلك القلق الذي يسببه الانفلات الأمنى يجعل حياتهم غير مستقرة، ولقد اكتشفَتْ أن اللقمة والحرية لا معنى لهما دون الأمن والإحساس بالأمان فى مجتمعهم.

وهى مشكلة عويصة كما نري.. نتمنى أن نعود.

اعقب نشر الحوار تعليقات عديدة مؤيدة ومعارضة بطبيعة الحال

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المهندس حسين صبور

هذا الحوار جرى مع المهندس حسين صبور، الاستشارى الشهير فى منزله بشارع جزيرة العرب بالمهندسين ونشر فى مجلة الرجل عدد سبتمبر 1993، لا تشعر معه بأنك تتحدث مع شخصية تنفذ شركته مشروعات بمليارات الجنيهات، وكان حريصا على أن يخرج الحوار بشكل تلقائى، لكن الرسالة المهمة التي أكد عليها هى أنه ينتمى إلى مدرسة لا تؤمن بسياسة الأبواب المغلقة، وهى سياسية ينفذها فى تصميماته المعمارية، وأسلوب يتبعه فى مكتبه، ويضرب على ذلك مثلا بمنزله الذي يقول عنه: عندما شرعت فى بناء منزلى كانت الصراحة تسيطر على تصميمى له، وقد حرصت على جعل الزوايا مفتوحة بلا حواجز، وهذا النمط يسمى الصراحة فى عالم التصميم.

ويضيف: الوضع ذاته فى مكتبى الذي هو عبارة عن قطعة من الرخام بلا أدراج على الإطلاق.

وهو يعطى لذلك دلالة رمزية بقوله: أنا لا توجد عندى أسرار، وحياتى تتسم بالصراحة وهذا انعكس على رؤيتى لمنزلى عندما صممته وعلى حد قوله «قد يندهش البعض من هذا المنطق شأنه شأن الطبيب النفسى الذي يُفتَرضُ فيه أن يقرأ ما يدور فى ذهن (العميل) إن جاز التعبير».

وروى قصة تعكس فلسفته فى الإدارة وتجربته وسنواته الأولى كرئيس لمجلس إدارة نادى الصيد، فقال اتخذت قرارا بشأن عضوية إحدى العضوات و تدخلت زوجة شخصية مؤثرة فى الدولة من أجل وقف القرار، لكننى قلت لها لدى من الأسباب ما يجعلنى أتمسك بالقرار، كانت الشخصية النسائية زوجة لمسئول رفيع المكانة، لكنها تفهمت أسباب قرارى الذي كان يمس الأخلاق داخل مجتمع نادى الصيد.

نشر الحوار بعيدا عن صيغة السؤال والجواب كما لو كان يجلس على مقعد مريح ويتذكر البدايات والنهايات ويومها نشر تحت عنوان: المهندس حسين صبور أول مشروعاته بناء قبر، وآخرها مدينة سياحية بـ10 مليارات جنيه وبدأت موظفا بـ25 جنيها فى الشهر واستقالتي أغضبت عائلتى

فى عام 1957 تخرج حسين صبور مهندسا ليعمل موظفا بوزارة الإسكان المصرية براتب شهرى لا يتجاوز 25 جنيها مصريا، وقبل أن ينهى عامه الأول قدم صبور استقالته من وظيفته الحكومية، ليفتتح مع صديق له مكتبا هندسيا، كانت أولى مشروعاته تنفيذ قبر لأحد الأثرياء، ورغم أن المشروع لم يحقق ربحا، فإنه كان بداية لجملة مشاريع نفذها المهندس صبور من بينها بناء فندق

سميراميس وشيراتون الجيزة، ومترو الأنفاق، وحتى مصنع للدبابات واليوم يتولى مكتبه الذي يعمل به حوالى ألف عامل تنفيذ أكبر مشروعين سياحيين فى الشرق الأوسط بتكاليف تصل إلى 10 مليارات جنيه مصرى.

فى ذلك الوقت كان يرأس المهندس صبور بخلاف عمله الاستشارى مجلس الأعمال العربى الأمريكى، وكذلك رئاسة مجلس إدارة المائدة المستديرة لرجال الأعمال الأفارقة، ومنصب رئيس مجلس إدارة نادى الصيد، وهو من أكبر وأعرق الأندية فى مصر، وهو خلاف مناصبه يهوى اقتناء التحف الثمينة والنادرة وإن كانت هذه الهواية قد انتقلت إليه من زوجته على حد قوله.

يقول المهندس حسين صبور: حققت ثروة من عملى كاستشارى هندسى، رغم أن استقالتي من وظيفتى بعد تخرجى وتفرغى للمكتب كانت صدمة لوالدى اللذين ينتميان لعائلة عمل معظم أفرادها فى وظائف حكومية، فقد كان خالى حسين سرى رئيس وزراء مصر الأسبق، وجدى هو إسماعيل سرى الذي شغل منصب وزير الأشغال لمدة 17 عاما ووالدى كان مهندسا كبيرا فى الدولة.

ويضيف: كان مشروعى الأول تنفيذ مقبرة لأحد الأثرياء مقابل 1500 جنيه شاملة التصميم والبناء وقتها لم أحقق أي ربح من العملية، ولكن اتفق معى مليونير آخر على بناء مقبرة كبيرة على أن أقوم بالتكلفة المادية نظير حصولى على 15٪ من قيمة التكلفة، التي بلغت 2000 جنيه فكان نصيبى من الربح 300 جنيه عام 1957.

بعد ذلك توالت المشروعات، إلى أن جاءت نكسة 1967 فاستشعرت بحس رجل الأعمال أن ذلك يعنى توقف عجلة التنمية لتوجيه موارد الدولة للإنفاق على إعداد وتجهيز الجيش، ففكرت فى التوجه نحو الأسواق الخارجية، وسافرت إلى ليبيا حيث سيطرت على الكثير من الأعمال هناك، وقد ظل مكتبى مفتوحا فيها حتى عام 1975 وعندما عدت لمصر وجدت فى انتظارى مشروع إنشاء فندق سميراميس ومنه توالت مشاريع البناء الضخمة.

ويروى المهندس حسين صبور قصته مع ميراث عائلته الذي أحدث صدمة له بقوله: أنا أنتمى لأسرة ميسورة الحال، حيث كنت أسكن مع والدى فى فيلا أنيقة بمصر الجديدة، وكان لى سائق خاص، وبعد وفاة والدى صدمت عندما علمت أن ميراثى كان مبلغ 3000 جنيه فقط، فقد كنت أعتقد أننا من الأثرياء نتيجة الحياة الرغدة التي وفرها لنا الوالد رحمه الله.

وقد استطاع المهندس صبور مواصلة طريقه الذي قصره على قطاع الأعمال الهندسية والاستشارية، مع الأخذ بعين الاعتبار التوسع فى هذا المجال بصورة أفقية، ورأسية إن أمكن.

ويقول عن ذلك: عمر مكتبى الهندسى الآن 30 عاما، عرفت فيها السوق المصرية جيدا وتولدت لدى قناعة أن ظروف السوق تُحِدُّ من توسع نشاط المكاتب الهندسية، فقررت أن أكون مثل بقال القرية الذي يبيع سلعا متنافرة ومتنوعة، فبدأت فى توسيع نشاط المكتب ليشمل إدارات متعددة، تضمن التكامل فى الأعمال وبذلك تحقق النجاح.

ويؤمّن المهندس صبور أن العمل الهندسى المتعلق بالتصميم هو أشبه ما يكون بالعمل الفنى، وفى رأيه فإن المهندس المعمارى مهنته ليست مجرد تشييد بناء ليعيش فيه الناس، وإنما لابد من التفكير فى الناس الذين سيقيمون فى هذا المكان.

ويضرب على ذلك مثلا بمنزله الذي يقول عنه: عندما شرعت فى بنائه كانت الصراحة تسيطر على تصميمى له، وقد حرصت على جعل الزوايا مفتوحة بلا حواجز، وهذا النمط يسمى الصراحة فى علم التصميم.

ويضيف: الوضع ذاته فى مكتبى الذي هو عبارة عن قطعة من الرخام بلا أدراج على الإطلاق.

وهو يعطى لذلك دلالة رمزية بقوله: أنا لا توجد عندى أسرار وحياتى تتسم بالصراحة وهذا انعكس على رؤيتى لمنزلى عندما صممته وعلى حد قوله «قد يندهش البعض من هذا المنطق شأنه شأن الطبيب النفسى الذي يفترض فيه أن يقرأ ما يدور فى ذهن (العميل) إن جاز التعبير».

و«أذكر أننى جلست أكثر من عشرين مرة مع أحد العملاء بهدف معرفة رغباته فى تشييد منزله وقت أن كنت أصمم منازل، لأنى الآن أعمل فى المشروعات الضخمة فقط، ولا أذيع سرًا عندما أقول إن حجم المشروع الواحد الذي أنفّذه لا يقل عن 10 ملايين جنيه».

وفى الوقت الذي تتصدر أعمال المهندس صبور الهندسية قائمة أولوياته، فإن له جملة من الهوايات الأخرى أهمها على حد قوله جمع واقتناء التحف النادرة، وهى الهواية التي بدأها بعد زواجه، وهو يقول عن ذلك: اقتناء التحف لم يكن يستهوينى فى البداية، إذ من المعروف أن هذه الهواية تتطلب إمكانيات مادية كبيرة، وبعد ارتباطى وجدت لدى زوجتى ميولا نحو جمع التحف النادرة واقتنائها، فبدأت أشاركها نفس الاهتمام والرغبة، فهى تعشق اللوحات الفنية ولديها حساسية كبيرة تجاه التحف النادرة ويعود لها الفضل فيما نملك من مقتنيات.

ومن ضمن هذه المقتنيات التي تنتشر فى أرجاء منزل المهندس صبور، ثلاث لوحات فنية تندرج تحت فن «الطبيعة الصامتة»، منها لوحة بسيطة لصخرتين،

يقول عنها: زوجتى دائما تربط بين تكوينى وبين هذه اللوحة.. إذ تشبهنى بهذه الصخور، وتقول «إن رأسى فى صلابته يشبهها»،ومن كثرة اعتزازى بهذه اللوحة ذهبت إلى الفنان حسن سليمان الذي رسمها لكى استفسر منه بالضبط عن المعنى الذي كان يقصده من وراء رسم هذه الصخور، وبالطبع كان شرحه مختلفا عما نحس به أنا وزوجتى، ومع ذلك فكلما نظرت إلى اللوحة تذكرت انطباع زوجتى عنها فيزداد حبى لها.

ويتابع المهندس صبور:فى بيتى أيضا مجموعة كبيرة من التحف المصنوعة من معدن الفضة الخالص، فأنا وزوجتى نعشق الفضة ونفضّلها عن الذهب ونحتفظ بمجموعة من الأوانى النادرة المصنوعة من هذا المعدن، وبجانب ذلك نقتنى مجموعة نادرة من السجاد كنت اشتريتها من إيران خلال زيارتى لها، ومن بين هذه المجموعة سجادة صممها أشهر مصمم سجاد فى إيران هو «رشتى زاده» الذي يكتفى فقط بأن يصمّم رسمًا لسجادة أو اثنتين على أكثر تقدير كل عام، وهى تباع بسعر مرتفع جدا وتسجل فى سجل خاص باعتبارها تحفة فنية.

ويدرك المهندس صبور وزوجته القيمة الحقيقية لهذه التحف، ويقول: مهما عرّضَ علىّ من سعر لبيع ما أقتنيه فلن أوافق، هذه المقتنيات ثروة يجب أن أتركها لأولادى وأحفادي، ومع مرور الوقت سيرتفع سعرها وتزداد قيمتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وديع فلسطين

كان موعد الحوار مع الكاتب الكبير وديع فلسطين فى الساعة الثانية عشرة ظهرا فى شقته بمصر الجديدة، ذهبت بصحبة زميلى المصور، صعدت إلى الشقة وهى شقة فى الطابق الثانى فى فيلا تبدو عليها بصمات الزمن، لكنها فى موقع مهم وراق.

دخلت الشقة وهالنى ما وجدت، كانت معه فى هذا الوقت السيدة وردة مديرة المنزل وشاهدت الكاتب الكبير وقد ترك الزمن القاسى كل التفاصيل على وجهه وثيابه وحتى الأريكة التي كنا نجلس عليها.

كان مندهشا من الاهتمام بإجراء حوار معه وقال لا أدرى ما سر هذا الاهتمام؟ ويومها تحدث بطريقة واعية جدا واستدعى أدق التفاصيل التي مر بها والمواقف التي عاشها والتجارب المهمة التي خاضها فى حياته وذكرياته مع العمالقة الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد والمعجزة هيلين كيلر ومحمد حسنين هيكل وغيرهم وتذكر تلاميذه فى الجامعة الأمريكية، وقت أن

كان يعمل أستاذا فى قسم الصحافة، أمثال نوال المحلاوى مديرة مركز الأهرام للترجمة والنشر، والكاتب لويس جريس وغيرهما من تلاميذه.

خلال الحوار كانت تجلس معنا السيدة التي ترعى شئونه داخل المنزل وخارجه وروت مشكلته مع موظف التأمينات وكانت شاهدة على تفاصيلها، فقد ذهبت به إلى مبنى التأمينات بمصر الجديدة حتى يتأكد الموظف من أنه على قيد الحياة وهو قرار تطبقه التأمينات بان كل من يحصل على معاش وتجاوز عمره 90 عاما يجب أن يذهب ويشاهده الموظف، يومها لم يستطع الكاتب الكبير صعود السلالم وحدثت مشكلة وأثارت بعض وسائل الإعلام الأزمة، وتدخلت وزيرة التأمينات واعتذرت للكاتب الكبير.

كما قالت أنها تذهب معه كل شهر إلى نقابة الصحفيين للحصول على معاشه وأن الدافع فى ذلك بجانب الحصول على المستحقات هو الحركة والحفاظ على نشاطه وكشفت أنها تحضر له يوميا صحيفة الأهرام ويأخذ النسخة ويخرج إلى الشرفة يطالع العناوين فقط بعد أن تَعذَّر عليه قراءة الصحيفة بسبب ضعف البصر.

بعد مرور يومين على نشر الحوار تلقيت اتصالا من الزميل عطية أبوزيد مدير تحرير الأهرام يسألنى عن حقيقة تعرض الكاتب الكبير لحادث اعتداء، كانت المكالمة بعد ظهر يوم الجمعة وأنا أقود السيارة أجريت اتصالا بالكاتب لويس جريس الذي أكد لى الخبر وقال تم نقل الكاتب الكبير إلى مستشفى هليوبوليس.

كان الحادث هو سرقة، لكن الأخبار التي تم نشرها قالت إن ملثمين يعتدون على الكاتب وديع فلسطين ويسرقون مذكراته عن علاقته بحسن البنا، وفقد الكاتب الكبير الوعى حيث اكتشفت واقعة الاعتداء عليه سيدة تحضر لرعايته صباح كل يوم

وتم إخطار شرطة مصر الجديدة، وتم نقله بمعرفة الشرطة إلى مستشفى هليوبوليس وتم إدخاله غرفة العناية المركزة

فى المساء ذهبت إلى المستشفى للاطمئنان عليه حيث كان يرقد تحت حراسة أمنية وغير مسموح بالزيارة باستثناء كريمته، وشاهدته من على بعد وأخبرنى الضابط أن الأمور عادية.

بعد أقل من 48 ساعة نجحت أجهزة الأمن بالقاهرة فى كشف غموض واقعة اقتحام منزل الكاتب وسرقة منزله بعد التعدى عليه، حيث تبين أن بائعين وسيدة وراء ارتكاب الواقعة وتم ضبطهما، بينما كانت لاتزال الأخيرة هاربة،

واعترف المتهمان بالواقعة وقررا أنهما نظرا لعلمهما بثرائه فقد خططا لسرقته وتوجها لمسكنه وادعيا أنهما محصلان لفواتير المياه

نُشِرَ الحوار تحت عنوان «الكاتب الكبير وديع فلسطين لـ«الأهرام»: وصيتى لمصر الاعتدال دائما ونسيان زمن الإخوان، كنت مترجما لطه حسين فى مقابلته مع المعجزة الأمريكية «هيلين كيلر«

السؤال الأول: هل تعتقد أن مشكلة المعاش الخاص بك كانت سببا فى إلقاء الضوء عليك من جديد؟

بصراحة كنت أفضل أن يلقى الضوء علىَّ بطريقة أخرى بعيدا عن مشكلة المعاش البسيطة، وهى طلب موظفة التأمينات أن أصعد إلى مكتبها فى الطابق الثالث، حتى تتأكد أننى على قيد الحياة، تنفيذا لقرار هيئة التأمينات برؤية المواطن الذي يحصل على المعاش، وجاوز التسعين من العمر، حتى يتيقن الموظف أنه مازال حيا، وكان صعبا علىَّ صعود الدَرَج، بسبب عدم وجود مصعد، ونشر الموضوع وحدث ما حدث وتلقيت اعتذارا من وزيرة التضامن والتأمينات وانتهت المشكلة، أنا رجل أعمل فى مجال الصحافة والأدب منذ أكثر من 70 عاما وبالتحديد من عام 1942.

لماذا أنت بعيد عن الأضواء؟

بعيد عن الأضواء لأننى مع الأسف لم أكن مرتبطا بأي نظام سياسى يحكم، وكنت قد بدأت حياتى العملية مع الكاتب محمد حسنين هيكل، ونحن من مواليد 1923، وهو ارتبط بالنظام وأنا فضلت أن أكون مستقلا، ولهذا عانيت كثيرا بسبب هذا الاستقلال فى حياتي.

ما شهادتك عن هيكل؟

كنا لا نفترق إطلاقا فى بداية حياتنا، وهو صحفى مجتهد وعصامى بالدرجة الأولى، ودرَّبَ نفسه بنفسه وبدأت معه حياتى، كان صحفيا من الطراز الأول.

هل تشعر بالندم؟

لا أشعر بالندم على شيء ولم أندم فى حياتى على قرار اتخذته، أو قرار لم أتخذه.

كيف سارت حياتك؟

درست فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتخرجت منها عام 1942 وكانت الرسوم الدراسية 18 جنيها فى السنة، وتم إعفائى من 8 جنيهات، وهو نظام مساندة للطلاب وهو مستمر حتى الآن وكان والدى موظفا فى وزارة النقل تنطبق عليه هذه الشروط.

ماذا عملت بعد تخرجك؟

عملت أستاذا بقسم الصحافة بالجامعة الأمريكية على مدى 10 سنوات، وتركتها بعد أن اعترض مسجل الجامعة على الدرجات التي أمنحها الطلاب، حيث لاحظ أننى أعطى الجميع تقديرا مرتفعا واعتبرها محاباة للطلاب، ورفضت طريقته واعتبرت أنه يشكك فى نزاهتى العلمية، وتم تصعيد الموقف إلى عميد الكلية ومع هذا وضحت لهما أننى أساعد الطالب غير المجتهد حتى يحصل على تقدير مرتفع، واعتذرت عن عدم الاستمرار فى الجامعة.

من تتذكر الآن من طلابك فى الجامعة الأمريكية؟

من بين الطلاب الذين أعتز بهم كثيرا الكاتب لويس جريس، والراحلة نوال المحلاوى مديرة مركز الأهرام للترجمة والنشر، ومديرة مكتب محمد حسنين هيكل، وكانت تقول عنى أنى الأب الروحى لمركز الترجمة الذي أنشأته بالأهرام ومن تلاميذى المذيعة ليلى رستم.

أول كتاب أصدرته؟

قضايا الفكر فى الأدب المعاصر، و هو عبارة عن مجموعة من المقالات كنت نشرتها وتمت طباعته 3 مرات وآخرها صدرت فى بيروت.

وكم لغة تجيد؟

الإنجليزية والفرنسية.

ما قصة «وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره»؟

هو كتاب عن الشخصيات المرموقة فى الفكر والأدب الذين عرفتهم من مصر ومن البلاد العربية، والكتاب حوى ثلاثة وتسعين اسما من رموز العصر، عرفتهم معرفة شخصية أمثال الكبار إبراهيم عبد القادر المازني، وإبراهيم ناجى وأحمد حسن الزيات، وأحمد زكى أبو شادي، و إسحاق موسى الحسينى وإسماعيل مظهر، ونجيب محفوظ ومى وميخائيل نعيمة ووداد سكاكينى و يوسف جوهر وغيرهم، وربما أكون الوحيد الذي على قيد الحياة وكانت تربطه علاقات شخصية مع بعض هذه الأسماء الكبيرة.

كيف كانت علاقتك بالكاتب عباس محمود العقاد؟

عرفت العقاد عن قرب ودعوته للكتابة فى مجلة «قافلة الزيت»، و اتصلت به وطلبت منه مقالا، وفى اليوم التالى أرسله لى وكانت المجلة تعطى مقابلا ماديا مناسبا، أهدانى كتابين وكتب فى الإهداء إلى «الكاتب المكين وديع فلسطين»

وماذا عن طه حسين؟

تعرفت عليه بحكم عملى فى مجال الترجمة، وأذكر هنا قصة وهى فى عام 1952، جاء أستاذ من الجامعة الأمريكية فى بيروت فى زيارة مصر لمقابلة طه حسين، وطلب منى أن أذهب معه إلى منزل طه حسين فى الزمالك، لتولى مهمة الترجمة بينهما، وكان غريبا أن وجه الضيف سؤاله إلى طه حسين باللغة الإنجليزية، وترجمته إلى العربية، وجاءت إجابته باللغة الفرنسية، وتوليت الترجمة الى الانجليزية من الفرنسية، وبذلك جرى الحوار بثلاث لغات العربية والإنجليزية والفرنسية، المرة الثانية التي قابلته فيها كانت عندما حضرت المعجزة الأمريكية - البكماء الصماء العمياء - «هيلين كيلر» وقابلتها فى الفندق الذي كانت تقيم فيه، وكانت لديها سكرتيرة تترجم لها بطريقة اللمس وبينما الحوار يجرى معها، دخل طه حسين إلى المكان، وكان وزيرا للمعارف وقمت بالترجمة مع هذه البكماء العمياء الصماء.

علاقتك مع الأديب العالمى نجيب محفوظ؟

يقولون إننى تنبأت فى وقت مبكر بوصول نجيب محفوظ إلى العالمية، بعد أن قرأت له رواية «رادوبيس»، ويومها قلت بالنص: لو قُدِّر لهذه الرواية أن تُنقَلَ إلى اللغات الأجنبية، لوقَفَتْ على المستوى نفسه مع الأدب العالمى، واعتُبِرتْ هذه العبارة نبوءة منى.

ماذا تقول الآن عن المفكر زكى نجيب محمود؟

كان زميلى فى لجنة تنسيق الترجمة بين البلاد العربية، التي شكلتها جامعة الدول العربية، وأتذكر من بين الشخصيات التي كانت فى اللجنة نفسها الكاتب ناصر الدين الأسد وآخرين، وما أستطيع قوله عن زكى نجيب محمود أنه عالم عظيم.

كيف تقضى يومك؟

يومى «سأم» وحياتى «سأم» كما يقول الشاعر بسبب عدم قدرتى على القراءة والكتابة ولا استطيع قراءة أرقام التليفون حتى أتصل بالأصدقاء، وطول الوقت انتظر مكالمات من الداخل والخارج إن جاءت، حتى أتكلم مع غيرى فأنا أعيش وحيدا وتتوقف الحياة تماما بعد منتصف اليوم، حتى الصباح فلا أفعل أي شيء.

من أكثر الشخصيات التي تتواصل معك؟

السيدة صافيناز كاظم، و الكاتب لويس جريس والصحفى رشدى أبو الحسن بمجلة صباح الخير، والكاتبة سناء البيسي، والصحفية تهانى صلاح من الأهرام والسيدة ليلى رستم قبل مرضها.

لماذا لم تسافر لتعيش مع ابنك فى كندا؟

سافرت أكثر من 20 دولة فى العالم ولكننى لم أفكر فى العيش فى أي بلد غير مصر، مهما تكن الظروف ابنى سافر وهاجر لم اعترض على قراره.

متى تبدأ يومك؟

لا أكاد أنام سوى سويعات قليلة جدا، ويومى يبدأ مع حلول الفجر، لكننى لا اترك الفراش حتى بزوغ الشمس، وأنتظر حتى تأتى السيدة «وردة» وتحضر لى صحيفة الأهرام وهى عادة يومية

البعض يظن أنك من فلسطين؟

أنا من محافظة سوهاج مركز «اخميم»، فلسطين هى بلد المسيح، وبالتالى كان ومازال أبناء الصعيد يتبركون باستمرار ببلد المسيح، ويسمون أولادهم باسم فلسطين.

ابنتك كيف هى حياتها؟

تخرجت فى الجامعة الأمريكية وحياتها طبيعية، وتسأل عنى يوميا وهى لديها حياة لا أريد أن أكون عبئا عليها.

هل تتابع مجتمع رجال الأعمال؟

أنا بعيد عن هذا المجتمع تماما.

هل حدث أن تواصل معك رجل الأعمال نجيب ساويرس؟

لم يحدث وربما لم يسمع عنى من قبل.

هل تلقيت أي تواصل من الجامعة الأمريكية؟

آخر مرة كان قبل 14عاما، وفى عام 1992 أقامت جمعية خريجى الجامعة حفلا لتكريمى بمناسبة مرور 50 عاما على تخرجي، وأهدتنى الميدالية الذهبية للخريجين، وفى عام 2002 كرمتنى بمناسبة بلوغى سن الثمانين.

كيف تتغلب على ساعات الليل الطويلة فى الشتاء؟

هذه الساعات الطويلة مملة جدا، و أقضيها بين صحو ونوم طول الفترة، حتى يأتى الصباح البعيد

فيم تفكر قبل أن تخلد إلى النوم؟

استرجع ذكريات الماضى فى حياتي، - لا تؤاخذني- أنا رجل لى تاريخ وتعرفت على شخصيات، وبعضهم أحوالهم تغيرت إلى الأسوأ، والآخر تغيرت إلى

الأفضل.

ما طبيعة علاقتك بالمرأة؟

المرأة جيدا لم أتعرف عليها إلا فى المرحلة الجامعية، فى مرحلة الثانوية لم يكن الاختلاط موجودا، وفى الجامعة الأمريكية كانت هناك زميلات، وكان بيننا تنافس علمى على المراكز الأولى، من زميلاتى اللاتى أعتز بهن عزيزة حسين التي تزوجت من الدكتور أحمد حسين باشا، الذي كان وزيرا للشئون الاجتماعية، ثم عمل سفيرا لمصر فى واشنطن، وهى عملت فى الأمم المتحدة.

ما مفهوم السعادة فى رأيك؟

السعادة بالنسبة لى هى الصحة، وفى هذه السن صعب أن تجد شخصا لا يعانى أي مشكلة صحية، وأنا الحمد الله متاعبى بحكم السن، لكن لا توجد أعراض صعبة، وهنا أتذكر صديقى الدكتور الطاهر مكى وعبارته الخالدة التي كان يرددها وهى صحتى أولا.

مَنْ أقربُ الناس إلى قلبك؟

ابنتى والسيدة «وردة على حسن» التي تقوم بكل مهامى.

عاصرت حكم الملك فاروق حتى الرئيس السيسي، ما الذي تغير فى مصر؟

فى عهد الملك فاروق كانت الصحافة حرة ويملكها أفراد جاءوا من الشام ولم تكن مملوكة للدولة، صحيح كانت هناك أحزاب تملك مجلات وكانت حرة تكتب ما تشاء، وهو عهد يستحق أن ننصفه ونتذكر نسمات الحرية التي كانت تفوح منه.

هل كنت قريبا من الملك فاروق؟

لم أكن قريبا، لكن قمت بتغطية بعض المناسبات مع كريم باشا ثابت عندما اصطحبني معه إلى المطار لاستقبال الملك، بعد عودته من مهمة خارجية، وقد فزت بجائزة فاروق الأول للصحافة الشرقية فى عام 1949، وكانت تمنح للصحفيين الشبان وحصلت على الجائزة وقيمتها 50 جنيها، وفاز بالجائزة نفسها الأستاذ محمد حسنين هيكل مرتين.

كيف كانت علاقتك بالرئيس جمال عبد الناصر؟

فى عهده تم اعتقالى 3 أيام.

هل بسبب اعتقالك فى عهده يبدو حكمك قاسيا؟

هو لم يعتقلنى وحدى وإنما اعتقل 30 صحفيا بعد مجيئه للحكم، وأغلق جريدة المصرى بجرة قلم، وهى صحيفة يومية كانت تنافس الأهرام.

رأيك فى نظامه السياسى؟

كان جبارا، وأمم الصحافة وأقام وحدة بين مصر وسوريا لم تدم إلا عامين وكانت وحدة بين أجهزة مخابرات وليس بين شعبين.

وهل كنت على علاقة مع الرئيس أنور السادات؟

قابلته شخصيا مرة واحدة برفقة صحفى أمريكى لتولى مهمة الترجمة، وتبينت خلال المقابلة أن السادات يتكلم الانجليزية بطلاقة، ولم أتدخل كثيرا فى المقابلة.

ما شهادتك عن الرئيس السادات؟

هو رئيس متطور إلى حد ما.

ما أخطاؤه؟

اعتقالات سبتمبر عام 1981 التي شملت أكثر من 1000 شخصية مرة واحدة، بينهم البابا شنودة وفؤاد باشا سراج الدين ومحمد حسنين هيكل وغيرهم.

وماذا عن حكم الرئيس حسنى مبارك؟

فى عهده كنت مستقلا لم أمارس الصحافة، وأعمل فى مكتب شركة «أرامكو» العالمية للبترول ولم أهتم بالسياسة.

أين الثروة التي جمعتها؟

كنت موظفا، والوظيفة لا تحقق الثروة، ولكننى خدمت الثقافة من خلال إصدار مجلة «قافلة الزيت»، وهى كانت مجلة تهتم بشئون الموظفين وطورتها إلى مجلة ثقافية، وكان يكتب فيها كل الأدباء بمن فيهم العقاد، بعد أن اتصلت به ليكتب وهى أصبحت مرجعا ثقافيا مهما للحياة الثقافية فى مصر والوطن العربى.

هل كنت تتابع حكم الإخوان؟

من بعيد، لا وجود لى فى الحياة السياسية، وأقرأ الصحف فقط والآن بسبب ضعف النظر لا أقرأ سوى العناوين فى صحيفة الأهرام، وأخرج إلى الشرفة لهذه المهمة حتى تساعدنى أشعة الشمس على هذا كل يوم اشترى الأهرام وتحضرها صباحا السيدة التي تعاوننى ولكن هذه الفترة كانت ضد طبيعة مصر.

ماذا عن حكم الرئيس السيسى؟

مصر عادت إلى الاعتدال الذي تتميز به، وأرى أنه يسير فى الطريق المأمول.

وصيتك لمصر؟

الاعتدال فى كل شيء، التطرف عملية فظيعة جدا يجب على مصر أن تكون باستمرار دولة معتدلة فى كل تصرفاتها الحكومية وغير الحكومية، ونسيان زمن الإخوان

ماذا تقصد بالاعتدال؟

أقصد ألا تتحيز فى المواقف كما حدث فى فترة حكم الإخوان التي كانت فترة عصيبة، والحمد الله الآن مصر تعيش الاعتدال بالمفهوم الواسع للكلمة، فمصر دولة اعتدال والعالم كله يشهد لها بذلك ويجب أن تبقى هكذا بعيدا عن كل تعصب أو تطرف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الدكتور إسماعيل سراج الدين

عندما اتصلت به لإجراء حوار صحفى معه لم يفكر طويلا الدكتور اسماعيل سراج الدين، كان التوقيت مناسبا بعد أن اطمأن وهدأت النفس بصدور حكم البراءة فى الاتهامات التي كانت موجه ضده بشأن إدارته لمكتبة الإسكندرية، كانت تجربة قاسية بالنسبة له، لكنه كما قال تجاوزها بقدر عال من الصبر والطمأنينة.

طلب أن يحضر إلى مبنى الأهرام لإجراء المقابلة، حدد الموعد فى السادسة مساء، كانت تتابع معى التفاصيل المساعدة الشخصية له، تأخر عن الموعد نصف الساعة وتحدث معى عبر الهاتف وهو يؤكد أنه فى الطريق، كانت حالة المرور فى هذا اليوم مختنقة، استقبلته أمام مدخل الجريدة وصعدت به إلى الطابق الرابع، وجلسنا بعض الوقت مع الزميل الدكتور صبحى عسيلة رئيس المكتب الفنى لرئيس التحرير الكاتب الصحفى علاء ثابت الذي تصادف وجوده فى مهمة خارج مصر، يومها طلب منه الدكتور صبحى أن يكتب مقالا لجريدة الأهرام ورحب الدكتور اسماعيل ووعد بذلك، وبعد ذلك انتقلت إلى قاعة الكاتب الصحفى لبيب السباعى بالطابق الرابع لبدء الحوار معه الذي كان يقطعه دخول بعض الزملاء لمصافحته.

بعد انتهاء الحوار كانت السيارة تنتظره للعودة إلى الإسكندرية قبل أن يسافر إلى الخارج بعد أيام.

يومها تطرق الدكتور إسماعيل إلى ظاهرة مثيرة تهدد العالم وهى العبث بجينات البشـر وكانت المقدمة اختيار الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية السابق والسيدة مارى روبنسون رئيسة ايرلندا السابقة كأول رعاة للمجلس الدولى للعلوم منذ تاريخ إنشائه، تتويجا لدوره فى خدمة العلم. الرجل حالة خاصة، فهو شخصية تتمتع بعلاقات واسعة مع أبرز العلماء فى العالم و فى كل المواقف التي مر بها فى حياته وكان بحاجة إلى دعم أو مساندة، ويتقدم العلماء الفائزون بجائزة نوبل الصفوف لدعمه وترشيحه. حدث هذا عام 1999 عندما خاض انتخابات اليونسكو حيث أعلن 50 من حائزى نوبل أنه مرشحهم للمنصب وفى الأزمة الأخيرة له والشهيرة بقضية مكتبة الإسكندرية أعلن 20 رئيس دولة فى العالم و90 من حائزى نوبل دعمه ومساندته.

عندما تقترب منه تكتشف منطقة خاصة فى شخصيته لا يعرفها إلا البعض وهى أنه كان يعيش طوال 15 عاما محنة مرض زوجته وهى لا تتحرك من مكانها، يتقاسم معها الألم فى صمت. شخصية تحمل قدرا عاليا من الصفاء النفسى ويلتمس ألف عذر لكل من أساء فهمه ويقول لا وقت للخلاف و أتقبل الرأي والرأي الآخر بكل حفاوة.

كيف استقبلت خبر اختيار المجلس الدولى للعلوم لكم والسيدة مارى روبنسون رئيسة ايرلندا السابقة كأول رعاة للمجلس الدولى للعلوم منذ إنشائه؟

شرف عظيم وشعور كبير بالفخر والاعتزاز وقرار اختيارى كان مفاجأة حيث تلقيت اتصالا من مجلس إدارة المجلس قال خلاله ممثل المجلس: نحن نبحث عن العلماء لرعاية هذا المجلس، وحتى أخفف من الموقف داعبته قائلا رجال الأعمال أصحاب الثروات أهم منى فى رعاية المجلس، فنحن العلماء جميعا من الفقراء.

وجاء السؤال الأول ما الدور البارز للمجلس الدولى للعلوم؟

هو يهتم بالمحافظة على مستويات الجودة فى ميادين البحث العلمي، وتحديد المعايير ووضع القواعد الأخلاقية، والقانونية فى أبحاث الجينات، على البشر، وكنت فى قائمة ضمت 22 عالما وأصدرت تقريرا حول ما هى الضوابط الأخلاقية فى قضية تعديل الجينات حتى لا يتحول الأمر لنوع من العبث خصوصا بعد إعلان باحث صينى عن تعديل الجينات لطفلين وهو الأمر الذي أثار ضجة علمية ترفض ذلك وبقوة حتى من داخل الصين، وكان من نتائج هذا التقرير عدم تكرار الحديث فى الصين عن تطوير الجينات لمخلوقات مطورة جديدًا، كما تراجع تماما ظهور الباحث فى وسائل الإعلام.

كيف تتابع برنامج الإصلاح الاقتصادى المصرى؟

البرنامج يسير بشكل ممتاز و بالأرقام مصر بدأت هذا البرنامج فى نوفمبر 2016 وكانت تمر بأسوأ ظرف اقتصادى فهناك عجز فى الموازنة العامة تجاوز نسبة 10، 8% من الدخل القومى، وهذا الوضع يتسبب فى آثار سلبية كثيرة، لكن مصر تمكنت من خفض العجز إلى 7، 6% وهى نسبة مازالت مرتفعة، لكن التوقعات ترجح المزيد من خفض العجز، ونجحت الحكومة وبوعى القيادة الرصينة من تحجيم التضخم فى سعر الصرف، ففى أول سنة كان التضخم فى حدود 33% انخفض فى العام الثانى 18% والعام الثالث 12% وهى مؤشرات إيجابية ومعدل نمو الاقتصاد المصرى فى حدود 5% ومتوقع أن يصل إلى 6،5% ثم 8% مثل الدول الأسيوية العظيمة وهذا يعطى أملا كبيرا جدا فى المستقبل. الرئيس السيسى استثمر بشكل كبير فى البنية الأساسية وشبكة الطرق التي أصبحت فى مستوى متميز ومشروعات توسيع قناة السويس والعاصمة الإدارية الجديدة والمدن الجديدة وهذا ليس تقييمى الشخصى وإنما هو شهادة البنوك العالمية، فمصر الآن عندما تطرح سندات وصكوكا دولية يكون الإقبال عليها مرتفعا جدا. وهذه ثقة كبيرة لا تُشْتَرىَ وبشهادة المؤسسات الدولية.

ما التحدى الأهم من وجهة نظرك الذي يواجه مصر؟

التعليم هو التحدى الأساسى وشهادتى أن ما تقوم به الحكومة ضرورى وأتمنى التوفيق فى استكمال المنظومة ونجاح خطة التطوير

كيف تتوقف أمام الجدل الدائر حول تطوير منظومة التعليم؟

الجدل دائما طبيعى ويحدث مع كل محاولة تهدف إلى تغيير الأوضاع القائمة غير الناجحة.

لك تجربة طويلة مع البنك الدولى والقارئ انطباعاته عن هذه المؤسسة سلبية، ما الرسالة الأهم للبنك الدولى؟

هو أكبر مؤسسة تنموية فى العالم وفى وقت ما كنا 3 مصريين فى مناصب نواب رئيس البنك الدولى، وهى مناصب لا تعرف التدخلات السياسية للأمم المتحدة. مدير البنك الدولى جرى العرف منذ إنشائه على أن يكون أمريكيا ومدير صندوق النقد الدولى أوروبيا وهذا حدث بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ومستمر حتى الآن، مؤسسة البنك تحترم نظام الكفاءة ولهذا كنا 3 مصريين هم المرحوم الدكتور إبراهيم شحاتة العالم الاقتصادى البارز والدكتورة نعمت شفيق الشخصية الاقتصادية المرموقة عالميا والآن يوجد

اثنان هما الدكتور محمود محيى الدين والدكتور حافظ غانم نائب رئيس البنك لإفريقيا.

ما حقيقة تراجع البنك الدولى عن تمويل مشروع السد العالى؟

هذا الموضوع كان يشغلنى بشدة وخلال عملى فى البنك بحثت فى الوثائق الرسمية للبنك واكتشفت أن البنك عند إنشاء السد كان محدود الميزانية ولا يستطيع تمويله بالكامل وتم الاتفاق على أن تسهم فى ذلك الولايات المتحدة وبريطانيا وحدث خلاف بين الرئيس جمال عبد الناصر وجون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكى بعد شراء عبد الناصر صفقة سلاح من تشيكوسلوفاكيا حيث قرر دالاس سحب التمويل الأمريكى ومعروف تبعية إنجلترا لأمريكا، حيث اتخذت نفس القرار وبالتالى لم تعد حصة البنك كافية لتمويل المشروع، فسقط المشروع، والبنك لم يذكر أن المشروع سيئ والتزم بتأكيد أنه مشروع جاد ومهم لمصر.

هل ما يحدث فى العالم تنافس حضارى أم صراع على النفوذ؟

ما يحدث صراع والصين بالضرورة ستصل الى أن تكون أغنى دولة فى العالم. فهناك طريقة معينة لحساب الدخل القومى، إنجلترا كانت أكبر دولة فى العالم فى القرن التاسع عشر وفى عام 1870 تعدت أمريكا إنجلترا فى الدخل القومى، لكن لم تتحول إنجلترا إلى دولة صغيرة واستمرت إمبراطورية كبرى حتى بعد الحرب العالمية.

أديب نوبل نجيب محفوظ وصفك بأنك مثقف يتصف بالنزاهة الثقافية ما الذي كان يجمعك بنجيب محفوظ؟

محفوظ كان مثالا للتواضع والقدوة وهو أديب مصرى أبهر العالم بما يمتلك من قدرة غير معهودة، جعلته يخرج بالرواية المصرية الى أعلى مستويات الساحة الدولية وكان من أول الناس الذين دعمونى فى معركة اليونسكو عام 1990 وهذا وسام على صدرى وشهادة تبقى غالية.

17 عاما مديرا لمكتبة الإسكندرية هل كانت كافية لتحقيق طموحاتك معها؟

بدأت مع المكتبة وهى مجرد مشروع على الورق وتركتها وبها 2400 موظف و 15 مركزا بحثا و 19 متحفا والقبة السماوية وهى المكتبة الوحيدة فى العالم التي تمتلك «سوبر كمبيوتر» الكمبيوتر فائق السرعة، وهى ليست مكتبة بالمعنى المتعارف عليه وإنما هى مجمع علمى حضارى ثقافى عالمى، وقصة اختيارى لمنصب مدير المكتبة جاءت بعد مكالمة من السفير عبد الرءوف الريدى وأنا فى أمريكا وكان الاعتقاد أننى قد أعتذر عن قبول المنصب حتى لا

أضحى بمكانى فى البنك الدولى لكن كان قرارى منذ اللحظة الأولى هو القبول فهذا الشرف أهم من أي منصب آخر.

هل تتابع المكتبة الآن؟

مهتم جدا بها وبكل تطورها

ما طبيعة علاقتك مع الدكتور مصطفى الفقى المدير الذي تولى مهمة المكتبة بعدك؟

علاقة ممتازة وهو شخصية جديرة بكل تقدير واحترام.

هل تأثرت بموقفه وذهابه إلى المحكمة للشهادة فى المحكمة لمصلحتك؟

تأثرت جدا بهذا الموقف النبيل للدكتور مصطفى الفقى فهو ذهب إلى المحكمة وقدم شهادته وهذا جميل أحمله له مدى العمر لأنه تطوع بالحضور ولم يطلب أحد منه ذلك والحمد لله شخصيات كثيرة من داخل مصر وخارجها وقفت معى حتى عبرت هذه المحنة وشرفت بكل هذا الدعم من هذه الشخصيات فى هذه الأزمة الصعبة وما خفف من تأثيراتها أن القضاء المصرى أنصفنى ومحكمة الاستئناف بجانب أنها حكمت بالبراءة، فإنها أيضا قالت إن الاتهامات فى حقى كانت خاطئة.

ما سر العلاقة بينك وبين العلماء حائزى نوبل، حيث حظيت فى انتخابات اليونسكو بدعم 50 منهم؟

شاءت الظروف أن أعمل فى مواقع عالمية رفيعة وتعرفت عن قرب على هذه الشخصيات العالمية المرموقة ومن خلال العلاقات المهنية والإنسانية تعرفت عليهم وهم تعرفوا على وكنت محظوظا بهؤلاء وبالدعم والمساندة منهم فمثلا كنت رئيس البحث الزراعى العالمى لمدة 7 سنوات وكان لى دور كبير مع الكثير من العلماء وبالأخص مع علماء البيولوجى والتربة والمياه والانتشار عن بعد وبمناسبة المياه كنت من أوائل المتخصصين الذين طرحوا أهمية المياه وقلت فى عام 1995 إن حروب هذا القرن كانت على البترول وحروب القرن المقبل ستكون على المياه وهذه المقولة نقلتها جميع شبكات التلفزيون العالمية فى ذلك الوقت ولى أصدقاء كثيرون عملت معهم داخل البنك الدولى ودائم الاتصال بهم.

هل الدعم إنصاف للكفاءة أم بحكم العلاقات الشخصية؟

العمل مع هذه الشخصيات لسنوات طويلة يبنى الثقة وجميع هؤلاء الكبار يتصفون بالموضوعية والحياد العلمى، لكننى لا أغفل أبدا البعد الشخصى فى العلاقات الإنسانية.

درست الهندسة وحصلت على درجة الدكتوراه فى الفلسفة كيف حدث هذا؟

بدأت فى الهندسة ثم انتقلت الى التخطيط الاقتصادى ورسالتي فى جامعة هارفارد كانت فى موضوع دور التعليم و أستاذى الذي كان يشرف على الرسالة نصحنى بالعمل فى البنك الدولى وكنت لا أرغب فيه بحكم الاعتقاد السائد عنه وكنت أفضل منظمة اليونسكو، لكنه الأستاذ، قال لى إن البنك ينفذ مشروعات فى التعليم أضعاف اليونسكو، وعملت فى البنك الدولى وتأكدت من ذلك.

وأين العمارة التي درستها؟

عملت مع الشاه كريم أغا خان طوال 20 عاما فى جائزة أغاخان للعمارة وترأست لجنة الجوائز مرتين وكنت عضوا فى لجنة حديقة الأزهر.

هل خلال رحلتك صممت مبنى معماريا؟

لم يحدث، لكنى كنت ناقدا للعمارة وأصدرت 8 كتب فى التخطيط المعماري.

لماذا كتبت عن شكسبير؟

من اهتماماتى فى الحياة الفنون والآداب والتاريخ، وكتبت كتيبا عن شكسبير وهذا الموضوع له قصة طريفة حيث طلبت منى أستاذة الأدب الإنجليزي فى جامعة القاهرة إلقاء محاضرة للطلاب فى جامعة القاهرة عن شكسبير، تعجبت وقلت لها لماذا؟ فقالت حتى يشاهد الطلاب شخصية غير متخصصة فى الأدب يمتلك كل هذا الحماس لشكسبير، فوافقت ويومها عرف بالقصة الدكتور عبدالعزيز حمودة عميد كلية الآداب، فقال نائب رئيس البنك الدولى يتحدث عن شكسبير، يجب أن نفتح القاعة الرئيسية ولا تكون المحاضرة فى قسم اللغة الإنجليزية حتى يحضر أكبر عدد وقد كان وكتب الدكتور عبدالعزيز مقالا مهما فى الأهرام عن المحاضرة وشجعنى على إصدارها فى ورقة علمية وكتبتها علميا وتم تحكيمها ومن بين المحكمين صديقى الروائى العالمى النيجيرى وول سوينكا الفائز بـ نوبل فى الأدب عام 1986 هو أستاذ متخصص فى الأدب الإنجليزى وقال لى أنه معجب بما كتبت عن شكسبير فقلت له ممتاز اكتب لى مقدمة الكتيب وكتب لى مقدمة طويلة أعتز بها جدا.

ما هى أصعب المواقف التي مرت بك؟

من أصعب الفترات التي عشتها فى حياتى فترة مرض زوجتى على مدى 15 سنة. كانت المسكينة مصابة بالشلل كل هذه السنوات وكانت محنة كبيرة لعائلتى وحبي لها بغير حدود، كما كانت فترة القضية التي كانت مرفوعة ضدى بسبب مسئوليتى عن مكتبة الإسكندرية قاسية ومؤلمة.

لماذا غادرت عائلة سراج الدين حزب الوفد؟

لا أتدخل فى السياسة على الإطلاق وما أستطيع قوله إن فؤاد باشا سراج الدين كان أبا ثانيا لى وأنا لم العب دورا سياسيا فى حياتى ورفضت واهتماماتى لم تكن سياسية وعملت مع شخصيات كثيرة تعلمت منها.

عندما يمر اسم الدكتور يوسف زيدان أمامك ماذا تتذكر؟

أتذكر أن الدكتور يوسف زيدان قام بجهد كبير خلال عمله كمدير لإدارة المخطوطات فى مكتبة الإسكندرية وكان له دور مشهود وهو كاتب شهير وبلا شك روايته «عزازيل» عمل ابداعى ممتاز تستحق كل التقدير ولا أعرف لماذا أوجد اختلافا جذريا بينى وبينه.

هل هذا كل ما تود قوله عنه؟

لا شيء آخر.

لكنه كان حادا فى مواقفه تجاهك وتجاه رموز تاريخية مثل الزعيم أحمد عرابى وصلاح الدين الأيوبى؟

كل إنسان حر فى آرائه والفكر يهزم بالفكر والصراع الفكرى مطلوب والمجتمع الحى دائما يقوم على الرأي والرأي الآخر، فى الماضى كان يوجد قدر كبير من السماحة بين الناس وأضرب مثلا بأبو العلاء المعرى صاحب الكتابات التي يهاجم فيها الأديان وهو كفيف يعيش فى العصر العباسى فى قرية النعمان بسوريا ولم يقترب منه أحد فى عصره، كان يقول أختلف مع أبو العلاء فى زندقته لكنه موهوب وشاعر جليل وبالمفارقة فى 2013 هاجم المتطرفون المركز بعد موته بألف سنة وأسقطوا رأس التمثال فى حين عاش فى حياته لم يقترب أحد منه هذا ما نتمناه.

ما جديد مكتبة الأزهر بعد اختيار الإمام الأكبر لكم مستشارا له للمكتبة؟

فضيلة الأمام طلباته كلها مستجابة، لكننى لا أتولى مسئولية المكتبة ولكن كمستشار ومستعد أن أقوم بدور أكبر.

ما رؤيتك لمكتبة الأزهر؟

لن تكون مستودع كتب أو مستودع درر تحوى المخطوطات القديمة، بل مكتبة تنبض بروح العصر والأزهر أعرق المؤسسات الإسلامية فى العالم.

فايزة ابنة آخر باشاوات مصر

على الرغم من الشهرة الكبيرة التي كان يتمتع بها السياسى المصرى البارز فؤاد باشاسراج الدين رئيس حزب الوفد الذي يعتبر أكبر الأحزاب المعارضة

فى مصر، ورغم أنه تولى منصب وزير الداخلية لفترة من الفترات ووزير المالية، والزراعة، والشئون الاجتماعية، إلا أن بناته الثلاث «نيللى، ونادية وفايزة» بقين بعيدات عن الشهرة والنجومية، لدرجة أن معظم المصريين لا يعرفون عنهن أي شىء تقريبا، ولا يعرفون أي تفاصيل تتعلق بحياتهن الخاصة، وذلك حفاظا على رغبة والدهن الذي لم يكن يحب الأضواء لنفسه ولا لعائلته، ومن هذا المنطلق التزمن بالحفاظ على هذه الرغبة إلى أبعد حد، ولهذا لم تنشر الصحف صورهن، باستثناء بعض الصور لابنته الكبرى نيللى التي شغلت منصب رئيسة لجنة المرأة فى الحزب خلال السنوات الأخيرة من حياتها، وبعد وفاته بفترة قصيرة توفيت ابنته نادية وابنته الكبرى نيللى.

فى أول سبتمبر 2014 نشرت مقالا فى صفحة (قضايا وآراء) عن إقصاء عائلة سراج الدين من حزب الوفد، قرأ المقال المهندس مجدى سراج الدين رئيس لجنة الإسكان الأسبق فى الحزب وأرسل تعقيبا على المقال قال فيه:رأيت من واجبى إيضاح الأمر حيث اننى كنت من مؤسسى حزب الوفد الجديد 1978 ومن الاعمدة الرئيسية لعودة الحزب مرة أخرى للساحة السياسة فى 1983 وذلك بعد أن تسلمت الراية من شقيقى الأكبر المرحوم سراج الدين الذي توفاه الله 1981 والذي كان له الدور الأكبر فى عودة الوفد للساحة السياسية 1978، وكان اسمه الأول يحمل اسم العائلة و الإسم الكامل سراج الدين محمد سراج الدين ودرس القانون فى جامعة فؤاد الأول.

ومنذ أن تم إلغاء الأحزاب السياسية فى عام 1953 انتهت جميع هذه الأحزاب ولم يعد أحد يذكر هذه الأحزاب ولا يتذكر أسمائها، ولا حتى قياداتها ما عدا الوفد الذي كان يعيش دائما فى ضمير الأمة، وقد كان دائما يحصل على أغلبية كاسحة فى جميع الانتخابات التي تمت منذ أول انتخابات لمجلس النواب فى 1924، وحتى إلغاء الأحزاب السياسية جميعا بعد ثورة 1952، وظل الوفد بعيدا عن الساحة السياسية لمدة ربع قرن من الزمن ولكن الوفد كان متجذرا فى أرض مصر لأنه كان حزب الشعب، وطوال هذه المدة لم يكن له بديل يحظى بحب الشعب واحترامه، حيث كانت جميع التنظيمات السياسية تتم عن طريق السلطة ابتداء من هيئة التحرير فالاتحاد القومى – فالاتحاد الاشتراكى –فحزب مصر –فالحزب الوطنى الديمقراطى وكلها تنظيمات حكومية تضم أصحاب المصالح بعكس الوفد الذي خرج من رحم الأمة.

عاد الوفد بقوة فى فبراير 1978 ولم يتحمله الرئيس السادات أكثر من مائة يوم وتم حل الحزب واستمر النضال من أحرار الوفد حتى عاد مرة أخرى فى 1983 أشد قوة وأكثر شعبية وحصل فى انتخابات مجلس الشعب 1984 على 58 مقعدا، رغم أنه لم يكن مضى على نشاطه عدة شهور بعد المعارك

السياسية والقانونية التي نشبت بينه وبين الحكومة، نظرا لأن الحكومة فى ذلك الوقت وأي حكومة أخرى تعلم علم اليقين أنه إذا ظهر الوفد على الساحة السياسية ستختفى هذه النخبة السياسية والمصنوعة

أما أبناء عائلة سراج الدين الذين ضحوا بالغالى والنفيس وأنفقوا من حر مالهم ومن عرقهم ومن جهدهم وزاروا المعتقلات والسجون طوال ستة عقود من الزمن ولم يتربحوا من وراء الوفد، وللذكرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين، فلم يكن فى المواقع الرئيسية فى حزب الوفد من عائلة سراج الدين فى عهد رئاسة فؤاد سراج الدين سوى ياسين سراج الدين وكان رئيسا للجنة الوفد بالقاهرة وتم عزله فى عهد الدكتور نعمان جمعه، وكاتب هذا المقال فقد كنت رئيسا للجنة الإسكان للحزب، بصفتى مهندسا وتم فصلى من الحزب مرتين بسبب مطالبتى بعمل لائحة ديمقراطية للحزب لأنها الباب الملكى لاختراق الحزب ولقد تم بالفعل اختراق الحزب عن طريق جهات مختلفة بل وتم حرق الحزب 2007 المبنى والمعنى ومازال الاختراق مستمرا.

وأخيراً لكى يعلم الشعب المصرى الحقيقة، فإن أبناء عائلة سراج الدين وأنا أحدهم لم نبتعد عن حزب الوفد لحظة واحدة ولكن الحقيقة انه تم إقصاؤنا عن الحزب.

كانت تلك رسالة المهندس مجدى سراج الدين وعندما سألت الدكتور إسماعيل سراج الدين عن الحزب قال:لا اهتم بالسياسة.

الحوار مع السيدة فايزة كريمة فؤاد باشا جرى عبر الهاتف وأرسلت لى عددًا من الصور وخلاله كشفت عن جوانب خاصة عن والدها.

وكان السؤال الأول. ما الخصائص الرئيسية التي كان يتميز بها والدك فؤاد باشا سراج الدين؟

- كان يتميز بصفات كثيرة، أهمها الالتزام بالمبدأ، وكل من عرفه يشهد له بالحِكمة والشهامة والرأي السليم، ولذلك كان يقصده الناس لطلب المشورة والرأي السديد، وكان لا يبخل على أي شخص قصده، بصرف النظر عن سن الشخص الذي يلجأ إليه أو مكانه.

هل هناك حادثة معينة تذكرينها فى هذا الصدد؟

- أذكر فى هذا الصدد أننى عندما كنت استشيره فى موضوع زواج إحدى صديقاتى مثلا، كان يطلب منى مهلة أسبوع كامل، وذلك لكى يجمع المعلومات اللازمة، ويفكر فى الأمر بمنتهى الهدوء، ثم يعطى بعد ذلك رأيه الذي يكون فى معظم الحالات مقنعا ومنطقيا، ومن خلال معرفتى وارتباطى به يمكن القول إنه كان صريحا وحكيما وشهما، وهذه ليست كلمات مجاملة

من بنت عن والدها، ولكنها الحقيقة التي يعرفها كل من اقترب من فؤاد سراج الدين وحتى الذين عاصروه داخل السجن شهدوا له بذلك، إضافة إلى ذلك فقد كان صبورا جدا، ويبتعد عن التعالى والغرور، وأذكر فى هذا الإطار أنه عندما كان يتلقى سؤالا معينا من بعض الأطفال كان يهتم جدا بالإجابة، لدرجة يشعر معها الحاضرون أنه يعيش أفكارهم، كما لو كان فى مثل سنهم، وهذه ميزة أخرى تميّزه عن باقى رجال عصره، لقد كان يملك قدرة كبيرة على التعايش مع الجميع ويحرص على التواصل والالتقاء بالناس، لكنه كان يحتفظ فى الوقت نفسه بقوة شخصيته وبحضوره، وهى معادلة صعبة كانت موجودة فى شخصيته.

إلى أي مدى كان متفاعلا مع الناس، رغم أنه كان باشا شهيرا فى كل أرجاء مصر؟

- كان بسيطا جدا مع الناس، ويرد على الهاتف بنفسه، ويقول لمن يطلبه بتلقائية شديدة أنا فؤاد سراج الدين من دون أي ألقاب.

هل هناك موقف طريف تذكرينه بهذا الخصوص؟

- أذكر أنه حضر فى إحدى المرات اجتماعا كبيرا، فدخل فى تلك الأثناء شخص لم نشاهده من قبل، وعندما لمحه ترك الاجتماع على الفور، وقام يقبّله ويحتضنه، وبعد ذلك عرفنا أن هذا الشخص هو أحد معلميه فى السابق، وأنه ظل يذكره رغم مرور كل هذه السنوات، وقد قال له بكل تواضع: «أنا رهن إشارتك فى أي طلب»، لقد كانت هذه هى شخصية فؤاد سراج الدين، وكانت هذه التصرفات النبيلة جزءا من طباعه، باختصار شديد لقد كانت حياته كلها للناس.

ألهذا كان قريبا من الناس، وحريصا على صداقاته مع الآخرين؟

- لوالدى مقولة شهيرة كنا نحن بناته نسمعها منه باستمرار وهى «من المهم جدا الوقوف إلى جوار الناس فى اللحظات الحرجة، وفى أوقات الضيق»، لقد كان يقول إنه لو تخلى الإنسان عن صديقه فى اللحظات الحرجة، فلن يكون للصداقة أي فائدة ولا معنى، ولهذا لم يبتعد طوال حياته عن الناس، ولم يختف عنهم، بل كان مستعدا للوقوف إلى جوار أي إنسان يلجأ إليه لطلب المساعدة سواء كانت مادية أو معنوية.

من كانت الأقرب إلى قلبه من بين بناته الثلاث؟

- كان يعاملنا المعاملة نفسها، وكان شديد العدل بيننا، ولا يفرّق بين واحدة بيننا.

وهل كان يتمنى دخول إحدى بناته العمل السياسى؟

- لا أعتقد ذلك، بل كان يفضل أن نوظّف جهودنا فى الأعمال الخيرية، ولهذا اهتمت شقيقتى الكبرى نيللى بالعمل الإعلامى وكانت تفهم كثيرا فى الأمور السياسية، ومهتمة أيضا بالعمل التطوعى الإنسانى، كما ساهمت فى تأسيس جمعية «أبتى»، ومشروع «الكلى الصناعية» وفى عدد آخر من المشاريع الإنسانية، أما أنا فقد كنت مهتمة بالعمل الاجتماعى التطوعى، حيث أنشأت مركزا طبيا بالتعاون مع الدكتورة كاميليا شكرى فى منطقة الملك فيصل بالجيزة، أما شقيقتى فقد تُوفيت مبكرا.

ما العادات اليومية التي كان يحرص عليها؟

- كان يبدأ يومه فى الصباح بقراءة الصحف، ثم يشرع فى إرسال التلغرافات الخاصة، كما كان حريصا على مواساة الناس فى أحزانهم، وكان يحب السهر بعد انصراف أعضاء الحزب من المنزل فى منتصف الليل ليبدأ بعد ذلك فى القراءة حتى الثانية ليلا.

ماذا كانت أكلته المفضلة؟

- كان طعامه بسيطا جدًا وكان يحب المحشى والحلويات.

وهل كان يفرّق بين إنجاب البنات والولد؟

- لم نشعر أبدًا بذلك، بل كان يقدّر البنات أكثر، وله فى هذا الصدد مقولة شهيرة تقول «عندما تكون البنات كما ينبغى تصبح أفضل من الولد».

هل تذكرين أصعب فترات حياته؟

- إنها بلا شك تلك الفترات التي دخل فيها السجن، فقد كانت قاسية علينا جميعا، وأذكر فى إحدى المرات التي كان فيها والدى معتقلا، وتم نقله إلى المستشفى بسبب سوء حالته الصحية، وبعد مرور بضعة أيام صدر قرار بالإفراج عنه، وقد كان طعامه فى تلك الفترات يصله من المنزل، وفى يوم الإفراج عنه شاهدت أمى وهى تعد الطعام لكى ترسله إليه، فأخبرتها بأنه سيخرج قبل الغداء، فردت على مؤكدة أن والدى هو الذي طلب الطعام، وبعد ذلك عرفت أنه فضّل أن يتناول الطعام بنفسه مع رفاق السجن قبل أن يخرج.

كيف كان يستقبل قرار الاعتقال؟

- كان يغادر البيت مع رجال الأمن كما لو كان ذاهبا إلى الوزارة، فلقد كان يرتدى أفخر الملابس، ويغضب جدا منا بسبب حالة الحزن التي كانت تعترينا، وكان يقول لنا: المسألة بسيطة ولا تستدعى كل هذا الزن، وعندما كان

الضباط يعتذرون إليه، كان يرد عليهم قائلا: «أنا أعرف أن هذا شغلكم وأنا أتفهم ذلك» لقد كان يصر على استقبالهم وعلى تقديم واجب الضيافة لهم.

من هم أصدقاؤه المقربون؟

- الراحل إبراهيم فرج السياسى البارز، وعبد الفتاح باشا حسن، ثم أعضاء حزب الوفد خاصة الدكتور نعمان جمعة والدكتور محمود أباظة.

ماذا كانت اهتماماته بعيدا عن السياسة؟

كان يحب الرياضة، وكان رئيسًا شرفيا للنادى الأهلى، وكان دائما يتوسط بين أعضاء مجلس إدارته عندما تحدث أي مشكلة، وأتذكر أنه حدثت مشكلة فى النادى الأهلى، فتم عرض المشكلة عليه، فذهب إلى النادى واجتمع بأعضاء مجلس الإدارة، وطلب من والدتى إعداد وليمة، وبالفعل فقد جهزت والدتى الأكل وأرسلته فى أوانٍ فاخرة، وبعد العزومة تأخرت أوانى المائدة، وكاد القلق يفتك بوالدتى بسبب خوفها من ضياعها.

هل كان يشاهد مباريات كرة القدم؟

- نعم فقد كان يشاهد مباريات كرة القدم بشكل مستمر.

ماذا كانت هواياته الأخرى بعيدا عن الرياضة؟

- كان خبيرًا فى التحف والديكور وكانت هذه هى هوايته المفضلة، وبالمناسبة فإنه هو الذي صمم ديكور شقة الفنان محمد عبدالوهاب، وشقة الفنان عبدالحليم حافظ، وهى هواية لم يتقاض عنها أي مقابل، كما كان خبيرًا أيضا فى الأحجار الكريمة، وهى خبرة ورثها عن جدى سراج الدين.

ماذا عن بصماته فى قصر جاردن سيتى؟

- البصمات البارزة فى قصر جاردن سيتى كان مَنْ ورائها جدى، ولو شاهدت هذا القصر فى عام 1952 لاحظت الفرق الكبير بين شكله فى الماضى وشكله الحالى، لأننا اضطررنا لبيع معظم قطع أثاثه وقت الحراسات حتى نتمكن من الإنفاق، لقد عشنا أياما صعبة بعد قيام الثورة فى مصر.

ماذا تذكرين عن فترة توليه وزارة الداخلية؟

- أذكر أن والدى كان ذات مرة فى مهمة فى أوروبا، وكنا فى فصل الصيف نقيم بالإسكندرية، فطلبنا من والدتى أنا وشقيقتى أن نسهر فى نادى الشانزليزيه، لكنها رفضت، وبعد إلحاح شديد منا وافقت ورافقتنا المربية الفرنسية التي كانت تعمل معنا، وبالفعل وصلنا إلى وجهتنا فطلب منا المسئول عن الباب إثبات الشخصية حتى يتأكد من السن، فقالت له المربية:

إنهن بنات وزير الداخلية، فرد المسئول قائلا: لن أسمح بدخولهن لأن الوزير هو الذي أصدر قرار منع البنات الصغيرات من السهر فى هذه الأماكن»، وقد رجعنا بالفعل إلى البيت، وبعد عودة والدى من السفر قلنا له ما حدث، فقال: لو سمح بدخولكن لكنت أغلقت له المكان على الفور، وهذه قصة تؤكد أن المبادئ عنده لا تتجزأ.

هل ورثت بناته عنه هذه الصفات؟

- من الصعب على الإنسان أن يتحدث عن نفسه، ولكن أستطيع القول إن والدى زرع بداخلنا هذه الصفات، ولذلك أجد أنه من غير الممكن لنا أبدًا أن نفعل أي شىء يتعارض مع ما كان يفعله من أشياء إنسانية جميلة، ومن خدمات ممكنة.

أين يبرز هذا التأثر؟

- أتذكر فى هذا الصدد أنه عندما كنت أقول له «يا أبى هناك أشخاص يعيشون ظروفا حرجة ويحتاجون للمساعدة بشكل دائم، فكان يجيبنى قائلا «عليك أن تقفى إلى جانبهم، وتَذكَّرى أن المال وجد لمساعدة الغير، وإذا لم تنفع الأموال الناس فى هذه الظروف فمتى يا ترى ستنفعهم؟ فاحرصى يا ابنتى دائما على مساعدتهم»، إن هذا الكلام يشكل بالنسبة لنا طريقا نسير عليه.

ما أهم الصفات التي ورثتيها عن والدك؟

- لا أعرف ما أقوله، لأننى كلما تذكرته أشعر بالحزن الكبير على فراقه، والشىء الذي ورثته عنه، والذي غرزه بداخلى هو تعلم الطريقة المثلى لمقابلة الناس، ولذلك أحاول أن أفعل مثلما كان يفعل هو بالضبط، حيث أحرص على معاملة كل واحد باللين، وعلى أن أكون متفهمة للناس وأساعدهم على حل مشاكلهم، لقد كان دائما يقول لى «ساعدى الناس حتى لا يأتى يوم تندمين فيه وتتحسرين على اليوم الذي كانت لديك فيه القدرة على مساعدة الغير ولم تفعلى ذلك»، إن هذه أهم صفة اكتسبتها منه، وأعتقد أنها مهمة جدا.

هل توقفتْ الآن مساعداتُ فؤاد سراج الدين لبعض المحتاجين؟

- لقد ترك لنا دفاتر مليئة بالأسماء التي تُقدَّمُ لها مساعدات شهرية، وأسماء أخرى نقدم لها مساعدات سنوية ونصف سنوية، ونحاول من جانبنا أن نوفى هؤلاء الناس حقوقهم.

هل كانت هذه هى وصيته؟

- لقد كانت هذه وصيته، ولذلك لابد من إكمال المسيرة.

من ورث حب السياسة من أحفاده؟

- كل أحفاده، وأبرزهم فؤاد بدراوى، ابن شقيقتى الكبرى نيللى، وهو عضو البرلمان المصرى وأحد الأسماء البارزة فى حزب الوفد، أما نجلى عبدالعزيز الذي يعمل بالمحاماة فقد بدأ يهتم بالعمل السياسى والعمل الحزبى، حيث انضم إلى الهيئة العليا لحزب الوفد.

كم يبلغ عدد أحفاد فؤاد سراج الدين؟

- خمسة أحفاد، ولدان من شقيقتى نادية، وولد وبنت من شقيتى نيللى، بالإضافة إلى ابنى عبدالعزيز.

هل هناك مذكرات لفؤاد سراج الدين لم تنشر بعد؟

- لم نعثر على شىء، ولكن لم نبحث عنها بشكل دقيق، ومن يدرى فقد نكتشفها خلال الفترة المقبلة.

رغم الشهرة التي كان يتمتع بها فؤاد سراج الدين إلا أنها ظلت بعيدة تمامًا عن بناته.. فما السبب؟

- لقد كانت هذه رغبة والدى، فهو لم يحب الشهرة أبدا، وكان يقول «العمل فى صمت أفضل، ومن المهم أن تعطوا للحزب فى صمت ولا تنتظروا أي مقابل»، وهذا مبدأ كان متمسكا به، ولم يوافق على دخول أي واحدة منا اللجنة العليا للحزب، ولذلك فإن شقيقتى نيللى لم تشغل منصب رئيس لجنة المرأة إلا فى السنوات الأخيرة، لأنه رفض دخولها فى الهيئة العليا.

ما طبيعة علاقتكم بعمك ياسين سراج الدين؟

- إنها علاقة احترام، فهو عمنا ونحن نحترمه ونقدّره.

لكن تردد أن هناك خلافا على توزيع الميراث؟

- لا يوجد أي خلاف، لكن عملية تصفية الميراث وبيع القصر والأثاث تحتاج لبعض الوقت.

معنى هذا أن هناك نية لبيع قصر فؤاد سراج الدين الشهير الكائن فى جاردن سيتى؟

- نعم لأن صاحبه مات، فلمن يبقى إذن؟ لقد كان فؤاد سراج الدين هو الذي يمنح القصر قيمة، أما الآن فقد تغير كل شىء.

هل تذكرين نصيحته لك عندما تزوجت؟

- قال لى «إن أهم شىء هو أن يظل الاحترام قائما بينكما»، وقال لزوجى «اعتن بها فهى صغيرة»، لقد كان والدى يكره الطلاق، ويشبهه بالبتر.

الفنان عادل إمام

لهذا الحوار مع الفنان عادل إمام قصة.. فى أحد الأيام كنت مدعوًا على العشاء فى باخرة نيلية بجوار كوبري الجامعة مع الزميلين الإعلاميين نصر القفاص وخيرى رمضان، والدعوة من الدكتور عبد الهادى مصباح أستاذ التحاليل الطبية، وبعد العشاء أخبرنى الزميلان أنهما سيذهبان إلى مقهى بنت السلطان بالمهندسين لمقابلة الفنان عادل إمام والجلوس معه وعرضا علىّ الذهاب معهما.

اعتذرت عن الذهاب على الرغم من شغفى الكبير لمشاهدة النجم الكبير، من داخلى كنت أرغب، ربما استشعرا ذلك فأصرا على مصاحبتهما وذهبنا إلى المكان، كان يجلس عادل إمام ومن حوله بعض الأصدقاء، من بينهم مؤلف فيلم رسالة إلى الوالى والزميل الصحفى محمود عبد الوهاب، وتعرفت على الفنان وجلسنا لساعات طويلة لم أتحدث سوى لمرة أو مرتين وانصرفنا وقد ترك الفنان فى نفسى تأثيرا أقوى مما كنت أحمله له.

فى اليوم التالى تلقيت مكالمة تليفونية من الزميل محمود عبد الوهاب يخبرنى فيها بأن الفنان عادل إمام يدعونى لحضور عرض مسرحيته الزعيم والدعوة لخمسة أفراد، وقال إنه خرج بانطباعات عنى تجعله يكون سعيدًا لو تكرر اللقاء.

لم أكن أتوقع هذا التقدير من النجم الكبير وشكرته وذهبت بصحبة زوجتى العزيزة منال سراج الدين ووالدتها الفاضلة برلنتى مدكور لحضور المسرحية وشاهدت أن ضيوف الأستاذ كما يسميه كل العاملين فى المسرح يُعامَلون بكل الكرم والتقدير وفى نهاية العرض تم اصطحابنا للسلام عليه وتحيته.

بعد مرور عام تقريبا ذهبت مع الزميل الصحفى محمود موسى إلى فندق المريديان وزرنا الفنان عادل إمام فى الجناح الذي يقيم فيه بالفندق وكان يصور فيلم «الواد محروس بتاع الوزير»وكان بالمصادفة يشاهد إحدى مباريات كأس العالم لكرة القدم بطولة 1998، والتي أقيمت فى فرنسا فى الفترة من 10 يونيو إلى 12 يوليو 1998، وخلال التنقل بين القنوات ظهر تنويه برنامج للمذيعة اللبنانية جيزيل خورى والتي خصها بالثناء.

استمتعت بالحوار معه، وعرضت عليه إجراء حوار معه لكنه اعتذر عن عدم تحقيق الرغبة بسبب انشغاله فى تصوير الفيلم ووعد عندما تكون الظروف مناسبة سيُجرى الحوار، احترمت رغبته وبعدها حان موعد الانصراف وغادرنا.

كان الجناح يبعد عن مكان المصاعد، وسرنا فى الممر الطويل حتى وصلنا إلى المصعد وقبل أن نستقل المصعد سمعت صوت الفنان عادل إمام ينادى: يا ماهر أنتظرك يوم الجمعة فى مطعم بنت السلطان الساعة السابعة مساء.

ذهبت إليه فى الموعد برفقة الزميل محمود موسى، انتظرته دقائق بعدها حضر فى موعده، حيث كان يسكن فى نفس العمارة والمطعم فى الطابق الأرضى، كان قد أعلن عن نيته السفر إلى الجزائر لعرض مسرحية الزعيم هناك فى تحدٍ لظاهرة الإرهاب التي تتعرض لها الجزائر الشقيقة، كما كان قد رفع عليه الشيخ يوسف البدرى قضية حسبة أمام القضاء بسبب بعض المشاهد فى فيلم المولد مع الفنانة يسرا.

نشر الحوار وتناقلت وكالات الأنباء عنوانه وهو أن «الزعيم على استعداد لمناظرة الشيخ يوسف البدرى» على الهواء واتصلت وكالة الأنباء الفرنسية بالشيخ يوسف البدرى الذي كان يعمل أستاذا للغة العربية فى الجامعة، واستطلعت رأيه فى مبادرة الفنان وأبدى استعداده التام للمناظرة ونشرت الوكالة تصريحات على لسانه.

بعد أسبوع تقريبا و بالمصادفة كنت داخل صالة الوصول بمبنى الركاب رقم 2 فى مطار القاهرة الدولى وأمام سير نقل الحقائب حيث أحمل تصريحا بدخول الدائرة الجمركية بسبب عملى بمكتب الأهرام فى المطار، يومها شاهدت الشيخ يوسف البدرى وصافحته، فقد كانت بيننا معرفة قوية، حيث زرته مرات عديدة فى بيته بالمعادى وأجريت معه حوارات طويلة بادرنى بالسؤال لماذا لم تجر معى حوارا للرد على حوار عادل إمام؟ قلت له ليس لدى مانع وتم تحديد موعد الحوار ونشر بعنوان «يوسف البدري: أخلع عمامتي لو عرف الزعيم نواقض الوضوء» فى سخرية منه لطلب الزعيم المناظرة معه.

مرت شهور على نشر الحوار وفى صباح أحد الأيام فى شهر رمضان رن جرس التليفون على المكتب ووجدت على الطرف الآخر الزميل الصحفى خالد جودة يخبرنى ان الفنان عادل إمام على التليفون يطلبنى وكان موظف الاتصالات فى الأهرام قد اعتقد اننى موجود فى مجلة الأهرام العربى التي تصادف وجود خالد، يومها سألنى الفنان عادل امام يا ماهر هل أنا قلت لك فى الحوار أننى مستعد لمناظرة الشيخ يوسف البدرى؟ كنت متأكدا من أنه قال هذا، ولكننى أجبت بأن الحوار مر عليه شهور طويلة ولا أتذكر بالدقة، لكن ما يطمئن هو أننى أحتفظ بشريط الكاسيت لنص الحوار فى البيت وبعد عودتى للبيت استمع له وأتأكد، اقترح الفنان الكبير أن أزوره فى مكتبه بالمهندسين بعد التاسعة مساء ومعى شريط التسجيل فسألته عن الأسباب التي جعلته يهتم بالموضوع، فقال إن التلفزيون المصرى سيستضيفه فى

برنامج على مدى ثلاث حلقات تقديم المذيعة هبة رشوان ورئيس تحرير البرنامج الإعلامى وائل الإبراشى وأن هذه التصريحات ضمن أسئلة البرنامج وأنه غير متأكد من دقتها ولا يريد أن ينفى ما نشرت، داعبته لا يهم أذكر اسمى فى البرنامج وهذا يكفى.

عدت إلى المنزل وبحثت عن شريط المقابلة واستمعت إليه ووجدت أنه قال أنا على استعداد لمناقشته على الهواء.

ذهبت فى الموعد كان المكتب فى الطابق السادس أو الخامس فى نفس العمارة التي يسكن بها، وهو مكتب يتناسب مع اسم الفنان عادل إمام بديكوراته الفاخرة كان يجلس معه الدكتور سمير سرحان والمذيعة هبة رشوان والإعلامى وائل الإبراشى والفنان خالد سرحان، قبل أن ينطلق فى عالم الفن وأجواء رمضان فى المكان من خلال أطباق الحلويات الرمضانية.

بعد ذلك أدرت جهاز التسجيل واستمعنا إلى إجابته حول يوسف البدرى وعلق الدكتور سمير سرحان قائلا هو قال مناقشة وليس مناظرة.

بعدها ونحن ننظم بطولة الأهرام للكرة الخماسية والتي أقامتها الأهرام تحت سفح الهرم كانت اللجنة العليا المنظمة تجتمع برئاسة إبراهيم حجازى وبحضور الكابتن محمود الخطيب والمهندس محرم الراغب والمهندس محمد عبد المنعم الصاوى والزملاء فى الأهرام، ودار حوار حول مراسم حفل الافتتاح ومن يكون حاضرا من النجوم، اقترحت دعوة الفنان عادل إمام، يومها قال أحد الحاضرين من الصعب أن يحضر، فرد عبد المنعم الصاوى ننتظر محاولة ماهر ثم نقرر، واتصلت به ورحب الفنان بالحضور وطلبت منه أن تكون معه الفنانة رغدة وكانت تؤدى دور البطولة فى المسرحية معه فقال: اتصل أنت بها واتصلت ووافقت وحضر ورمى ضربة البداية فى الافتتاح وكان حضوره حدثا مهما داعب الجميع بخفة روح وتواضع.

جاء عنوان الحوار عادل إمام قبل السفر للجزائر:أدعو يوسف البدرى إلى مناظرة علنية!

و المقدمة» منذ إعلان الفنان عادل إمام عن نيته السفر إلى الجزائر لعرض مسرحية «الزعيم» هناك - احتجاجًا على الإرهاب الدامى بها كما يقول - والجدل لم يتوقف لحظة حول أسباب سفره فى هذا التوقيت بالذات، خاصة أن الأحداث الملتهبة فى الجزائر ليست جديدة، وربط البعض بين سفره المرتقب وحملة الهجوم الأخيرة التي واجهته والتي تسبب فيها فيلمه الأخير «رسالة إلى الوالى» وإن كان النجم يرفض هذا الربط ويرى فى رحلته مهمة قومية.

فى هذا الحوار تحدث عادل إمام عن علاقته الشائكة بنقاد الفن فى مصر وسبب التوتر مع الكاتب إبراهيم سعده والخصومة الدائمة مع الشيخ يوسف البدرى وكشف عن سر ظهوره غير المعتاد على صفحات الصحف والمجلات وشاشات التليفزيون.،

جاء السؤال الأول ما حقيقة سفرك إلى الجزائر؟

هى حقيقة وليست شائعة أو كذبة وأنا ذاهب إلى الجزائر.. بالفعل.

وهل حددت موعد السفر؟

فى شهر سبتمبر.

ولماذا قررت السفر إلى الجزائر تحديدا؟

لأنها دولة عربية شقيقة وتمر بظروف صعبة ومنذ فترة وأنا أفكر فى زيارتها خاصة بعد بروز ظاهرة قتل المفكرين والأدباء والفنانين.

هل لهذا السبب فقط قررت زيارتها؟

لى جمهور كبير هناك ومن حقه علىَّ أن أسانده وأقف إلى جواره فى مثل هذه الظروف.

من وراء فكرة سفرك؟

دعوة من سفير الجزائر بالقاهرة الدكتور مصطفى شريف و جاءت بالمصادفة عندما التقيته فى مناسبة عامة وعرض علىَّ الفكرة فبادرته بالموافقة بل بالترحيب.

ما الذي تهدف إليه من خلال هذه الرحلة؟

ببساطة هى رسالة احتجاج على ما يحدث من قتل للأطفال واغتصاب للنساء وتحيز لإنسانيتى.

هل طلبت من السلطات الجزائرية أيه إجراءات أمنية معينة؟

الحارس هو الله سبحانه وتعالى.

معنى هذا أنك لا تشعر بالخوف؟

أرجو أن تكتب على لسانى أننى لا أحب هذا السؤال.

هناك من يشكك فى جدية سفرك؟

لا أفهم ماذا تقصد؟

البعض يردد بأنك لن تسافر؟

أنا قررت السفر إلى الجزائر فى شهر سبتمبر المقبل ولن أسافر إلا فى حالتين هما أن تصبح الجزائر غير الجزائر أو أن أموت.

برأيك لماذا التشكيك؟

لو فكرت قليلا فيما يردده البعض ما انتهيت من شىء.

هناك من يربط بين سفرك المرتقب وحملة الهجوم الأخيرة التي تعرضت لها؟

الحملة الأخيرة ليست الأولى وأنا تعرضت لحملات عديدة ولو فى كل مرة أقرر السفر لسافرت أكثر من 400 مرة إلى الجزائر وغيرها.

إذن لا توجد علاقة بين سفرك والهجوم عليك؟

لو كان الهجوم علىّ جعلني اتخذ مثل هذه المواقف القومية، فأتمنى أتمنى أن يستمر دون توقف.

ما أوجه الشبه بين رحلتك الشهيرة لأسيوط عام 1988 ورحلتك القادمة للجزائر؟

بصراحة أنا أنظر إلى المسألة ببساطة شديدة ولكن فجأة وجدت الموضوع حديث الناس ووكالات الأنباء والصحف ولم أكن أتوقع مثل هذا الاهتمام، والتشابه هو الاحتجاج على جماعات العنف والتطرف والإرهاب.

بعيدًا عن رحلتك.. إلى أي حد أغضبتك تلميحات المخرج سيد راضى حول تهربك من الضرائب؟

هو تراجع عن كلامه وأنا لا أحب الحديث فى هذا الموضوع.

ولكن نشرت الصحف على لسانك تصريحات حول علاقتك بالضرائب؟

كما قلت سيد راضى تراجع عن كلامه وما حدث شغل «لت وعجن» وأنا لا أفهم فى ذلك.

ما علاقتك بالضرائب؟

علاقتى بها سليمة.

وهل لهذا قلت إنك تعاقب من يهاجمونك بعدم الرد؟

نعم.

ما نوع العقاب؟

أن ترد على من يهاجمك، هذا دليل اهتمام به، ولو تفرغت للرد على الهجوم سأضيع من وقتى الكثير وهناك مثل معروف فى مصر هو «القبيح يشتم الباشا».

لماذا لا ترد على النقد؟

ما يقال ليس نقدًا، إنما هو شتائم ومن يهاجموننى لا يجدون أية مادة حقيقية ينفذون من خلالها.

من غير الدكتور ميلاد حنا اكتشف الأبعاد غير الفنية فى أعمالك؟

الدكتور ميلاد تحدث عن فيلم بخيت وعديلة (الجزء الثانى) باعتباره عملا فنيا يناقش بطريقة غير مباشرة الأزمة السكانية وأنا سعدت برأيه جدًا وأعتبره مثقفًا وطنيًا.

ماذا عن آراء النقاد والمتخصصين؟

معظم الكتاب الذين كتبوا عن أعمالى بشكل جيد، هم كتاب متخصصون فى السياسة.

بماذا تفسر ذلك؟

لأن الكُتَّاب السياسيين حياديون ولهم نظرية شاملة.

وهل تصف نقاد الفن بعدم الحياد؟

بعض النقاد خاصة الذين يمارسون النقد من موقع التربص بالعمل، فالطبيعى أن يشاهد الناقد الفيلم بهدف الاستمتاع وعندما يكتشف أنه غير مستمتع، يكتب عن ذلك ولكن عليه أن يحدد الأسباب بدقة.

إذن ما تعريفك لعمل الناقد؟

مهمة الناقد فى الأساس هى مخاطبة الجمهور وليست مهمته مخاطبتى أنا كفنان.

لماذا؟

لأن الناقد لن يعلمنى التمثيل لأنه لو كان يفهم فى مهنة التمثيل لأصبح ممثلًا عظيمًا ولو كان يفهم فى مهنة الإخراج لأصبح أيضا مخرجًا عظيما وإنما النقد هو أسلوب يخاطب الجمهور ويقول من خلاله هذا العمل به أشياء كذا وكذا وعلى الجمهور أن يصدق أو لا يصدق.

مَنْ أبرز نقاد الفن فى مصر؟

أخشى أن أذكر أسماء بعينها فأنسى البعض.

المعروف أن عدد نقاد الفن الحقيقيين لا يزيد على أصابع اليد الواحدة؟

هذا صحيح وأنا أعترف باثنين أو ثلاثة على أكثر تقدير.

من هم؟

الكاتبان رجاء النقاش، رءوف توفيق وأعتقد أن رجاء النقاش لم يأخذ حظه الوافى، فهذا الرجل كان رئيسا لتحرير الكواكب منذ 52 عامًا وهو الآن رئيسا لتحرير نفس المجلة، فى حين أن أنصاف الموهوبين أو عديمى الموهبة أصبحوا رؤساء مجالس إدارات وقيادات صحفية.

ماذا عن رءوف توفيق؟

هو غير متفرغ للنقد بحكم مسئولياته كرئيس تحرير مجلة صباح الخير.

هل ترى أن الحركة النقدية خسرت ناقدًا بسبب منصب رئيس التحرير؟

بالضبط.

ما طبيعة علاقتك بالشيخ يوسف البدرى؟

علاقة محاكم وخصومة وقضايا.

ألم تقابله؟

لم أقابله ولا أعرف شكله وأدعوه لمناقشتى فى كل شيء يريد مناقشته.

هل فعلا تريد مناظرته؟

على أتم استعداد، لأننا لسنا كما يدعى وهو ليس من حقه أن يتهم الآخرين بالخطأ.

لكن ما الذي تريد أن يفهمه؟

أن يكف عن هوايته فى رفع الدعاوى القضائية، ليس من أجلنا ولكن من أجل القضاء المصرى حتى يتفرغ للقضايا الحقيقية التي تهم الناس.

كم عدد الدعاوى القضائية المرفوعة ضدك؟

حوالى 50 قضية

كيف تنظر لها؟

أتمنى أن يتركونى للفن، ومعنى أن شخص يرفع قضية ضدى معناها ببساطة أنه يخطط لوضعى فى السجن وهو جالس فى بيته.

لماذا قلت إنك تخاف من سيطرة رجال الأعمال فى مصر؟

بسبب الكلام الكثير الذي يحوم حولهم.

ما نوعية هذا الكلام؟

الاقتراض من البنوك، وكلما سمعت عن قصة نهب 300 مليون جنيه من شركة «النصر» تحسرت وفكرت فى أن أحصل على نفس المبلغ من الشركات طالما أن المسألة «سايبة» والفلوس «بالهبل».

هل حقا تقرأ سيناريو العمل بالكامل قبل رفضه أو قبوله؟

طبعا، بل وأقرأ كل التفاصيل وأنا أعرف فنانين لا يقرأون السيناريو من أساسه.

هل لهذا السبب فَشَلَتْ تجربة العمل مع الكاتب أسامة أنور عكاشة؟

لا.

لماذا لم يحدث اتفاق بينكما منذ سنوات؟

أنا الذي طلبت العمل مع أسامة أنور عكاشة وهو قيمة فنية كبيرة، وأعتبره من كتاب الدراما التليفزيونية المميزين فى الوطن العربى، ولكن فشل التجربة ربما لأن الدور لم يناسبنى ويناسب غيرى.

بصراحة من ينافس عادل إمام؟

السن هى المنافس الوحيد لى.

وهل تتوقف أمامه؟

لدى إحساس بأننى سأقدم أدوارًا جميلة فى مرحلة العمر المتقدمة وأتمنى أن أظل أعمل بالفن حتى اليوم الأخير من عمرى.

هل أزعجك النقد اللاذع لفيلمك رسالة إلى الوالى؟

النقد أم السباب؟ ما حدث هو أن بعض الأقلام تفرغت للشتائم وليس للنقد واستخدمت عبارات لا معنى لها مثل «انهيار مش عارف أيه» وهذه كلمات ليست نقدية ولا توجد فى قاموس النقد خاصة عبارة قيلت مثل النجم الذي هوى.

يبدو أنك عاتب على النقاد؟

للأسف هناك شخص كنت أعتبره ناقدا فنيا من الطراز الأول وفجأة وجدته وصل إلى درجة كبيرة من الابتذال فى كلامه وفى نقده وأسفت أننى مرة ما

أعجبت به.

من هو؟

لن أذكر اسمه ولكن هو يعرف نفسه جيدًا.

من الذي خسر بسبب توقف التعاون بينك وبين الكاتب وحيد حامد؟

لم يحدث توقف ووارد جدًا أن يجيء لى وحيد حامد بسيناريو فيلم وأرفضه وهذا ما حدث من قبل عندما أحضر لى أفلامًا ورفضتها، وهذه المرة رفضتها أيضا وهو الآن يعمل مع ناس غيرى.

هل هناك نية لبدء التعاون بينكما؟

العمل لم يتوقف.

هل تتوقع نفس الهجوم الذي تعرض له «رسالة إلى الوالى»لفيلمك الجديد؟

أتمنى ذلك

لماذا؟

طالما النقد في غير موضعه، ولو كان فى صميم العمل لا يزعجنى وكثيرًا ما أقرأ أشياء لم أقصدها.

بماذا تفسر ذهابك إلى إستاد القاهرة فى مهرجان تكريم لاعب الكرة أحمد شوبير؟

هو رمز رياضى، وما المانع فى أن أشاركه مهرجان تكريمه بدلا من تدمير الرموز فى كل المجالات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مصطفى الضمرانى

الشاعر القدير مصطفى الضمرانى كتب أشهر الكلمات التي غناها نجوم مصر والعالم العربى، وهو صاحب كلمات أغنية “يا حبايب مصر” التي غنتها المطربة التونسية "عليَا"، وهو كاتب صحفي في الأهرام ينتمي إلى جيل الكبار في الصحافة والكتابة، أجريت معه حوارًا نشر فى الأهرام 14 أبريل 2018، يومها استقبلني فى مكتبه بالطابق الخامس المخصص لكبار الكتاب، كان ودودًا فرحًا وهو يجترّ ذكريات الماضي المحبب، ويستعيد الرحلة الطويلة التي بدأت بعد تخرجه في كلية الحقوق، وانطلقت في رحاب الإبداع والثقافة، يضىء علي ذكريات البدايات مع الشاعرين عبد الرحمن الأبنودي وأمل دنقل،

ويستدعي من الذاكرة تجربته النادرة مع الموسيقار محمد عبد الوهاب، والفنان عبد الحليم حافظ وغيرهم.

لا ينكر أنه كان محظوظا بأن مرّ في طريق هؤلاء، وأصبح الشاعر الذي تستدعيه الفنانة القديرة شادية علي وجه السرعة وتتوقع منه أن يكتب كلمات تشدو بها في الحفل الكبير الذي كانت تستعد له، ويخرج من عندها ويصعد الأتوبيس في طريق عودته إلى البيت ويقتحم شيطان الشعرعالمه ويكتب كلمات أغنية "أقوى من الزمان ".

عندما يتكلم عن هذا الزمن يقدم بشكل تلقائي صورة محببة عن مصر التي كانت تجمع بين العمالقة في الفن والأدب والسياسة والاجتماع والاقتصاد قال: كنت أذهب تقريبا كل يوم إلى معهد الموسيقى العربية الكائن في شارع رمسيس، لممارسة مهام عملي كصحفي في الأهرام، وكشاعر يكتب الأغنية في ذلك الوقت يقول أتذكر أن المكان كان يعج بالفنانين والفنانات من جميع الأعمار، والجنسيات، البعض منهم يحضر إليه لإجراء البروفات التي تسبق الحفلات، والبعض الآخر يأتي لإحياء الحفلات علي مسرحه العملاق، ويتذكر أيضًا جولاته التي لا تنسي كما - يقولـ في مبنى الإذاعة والتليفزيون في منطقة ماسبيرو على كورنيش النيل، ويصفه بأنه كان قبلة الفنانين والكتاب والشعراء.

وذكر أن الفنانة شادية طلبت منه عندما استقبلته في مكتبها فى معهد الموسيقى أن يكتب لها أغنية فى مستوى كلمات"يا حبايب مصر" وأنه غادر المعهد بالأتوبيس إلى بيته فى مصر القديمة وقد انتهى من كتابة أغنية أقوى من الزمان التي غنتها شادية.

قبل البدء في تسجيل الحوار روى قصة كتابته أوبريت البركان وقال تلقيت اتصالا من اللواء سمير فرج وقتها كان يشغل منصب مدير إدارة الشئون المعنوية في القوات المسلحة، دعاني لزيارته، وبعد أن ذهبت أخبرني أن القائد العام للقوات المسلحة المشير محمد حسين طنطاوي اختارني لكتابة الأوبريت بعد أن تأخر شاعر قبلي عن إنجاز المهمة علي الرغم من أنه تم استضافته في أحد الفنادق الشهيرة بمدينة الإسكندرية لكنه لم ينجز المهمة، والوقت اقترب من موعد الاحتفالية التي كان سيحضرها الرئيس الأسبق حسني مبارك، كانت المهلة المتاحة أقل من أسبوعين ويقول تحمست، وغادرت وبعد أيام أقل من عدد أصابع اليد الواحدة طلبت مقابلة اللواء فرج كنت قد انتهيت من إعداد الأوبريت الذي يخلد تاريخ انتصارات الجيش المصري منذ عهد رمسيس الثانى حتى انتصارات أكتوبر 1973مرورا بجميع المعارك التي خاضها الجيش المصرى منتصرًا فيها حيث صغت هذه المعارك بأسلوب شعرى، وقام ببطولة الأوبريت سميحة أيوب وأحمد ماهر. وقدمت له

الأوراق وكانت بخط اليد، يومها تعجب من سرعة الإنجاز، واستدعي أكثر من فريق لتحريرها علي الكمبيوتر، وجرى طباعتها، وأبلغني بأنه سيغيب بعض الوقت وتركني في المكتب، وبعد أن عاد أخبرني بأنه ذهب إلي المشير طنطاوي وقدمه له وجاء انطباعه جيدا جدا، لحظتها شعرت بالفرحة والزهو، وأسند إخراج الأوبريت إلى المخرج وليد عوني.

قصة هذا الأوبريت كتبها اللواء دكتور سمير فرج وقال:عندما بدأنا التخطيط للاحتفال بمرور ٢٥ عامًا على انتصارات أكتوبر المجيدة، كان الأساس أن يكون الاحتفال مختلفا، في الشكل والمضمون، عن احتفالات الأعوام السابقة، باعتباره اليوبيل الفضي لهذا النصر العظيم ... وحيث كنت مديراً للشئون المعنوية، آنذاك، ومن ضمن مسؤولياتي تنظيم وتنفيذ جميع احتفالات القوات المسلحة المصرية، فقد وضعت هدفًا أساسيًا لاحتفال ذلك العام، يضمن مشاركة جميع الأبطال العِظام الذين حاربوا، وحققوا هذا النصر المجيد، الذي سجله التاريخ الحديث كأعظم الانتصارات.

وبدأنا بالشق العلمي، حيث اقترحت تنظيم ندوة علمية عن حرب أكتوبر ٧٣، وبدايةً كنت أرى أن تكون هذه الندوة ذات صبغة دولية، ندعو إليها عددا من المحللين والمفكرين العسكريين، من كل أرجاء العالم، لنستمع لآرائهم، إلا أنني حصلت فقط على موافقة، للبدء بندوة مصرية، على أن يلحقها، بعد ذلك، ندوة دولية.

وبالفعل أخرجنا ندوة من أعظم الندوات، التي نفذت في تاريخ مصر، إذ حالفنا فيها الحظ، بمشاركة جميع قادة حرب أكتوبر، آنذاك، وأذيعت على الهواء مباشرة، على مدار ثلاثة أيام كاملة، فتمكن أفراد الشعب من متابعتها، ومعايشة أجواء النصر بشهادة أبطاله العِظام ... ومن ناحية أخرى اقترحت فكرة إلقاء هدايا، من الطائرات الحربية، على كل مدن مصر، بمختلف المحافظات، فحققت، تلك الفكرة، سعادة كل أبناء مصر، والتفافهم وتفاعلهم مع هذه الاحتفالية الوطنية.

وجاء دور الاحتفال المسائي، فرأيت دعوة كل من شارك في هذه الحرب العظيمة، فكيف يكونون هم صناع النصر، ولا يشاركون في إحياء ذكراه والاحتفال به، مكتفين بمشاهدته عبر شاشات التليفزيون؟ ولتنفيذ هذه الفكرة، قررت إقامة الاحتفال في الصالة المغطاة، لاستاد القاهرة الدولي، والتي تسع ٤٠ ألف بطل، ممن شاركوا في ملحمة أكتوبر، وصنعوا النصر.

وتأكيدًا على إخراج الحفل، في صورة متجددة، فقد أردت الابتعاد عن الأوبريتات التي تقدم كل عام، وهنا جاءتني فكرة، عندما كنت أتصفح، وأتابع، ما كتب عن حرب أكتوبر، في المراجع الأجنبية، إذ استوقفني كتاب يحمل

عنوان "الزلزال"، ألفه مجموعة من الكتاب الصحفيين من بلجيكا، بناءً على متابعتهم للحرب من رئاسة الأركان الإسرائيلية، فوقع اختياري على اسم "البركان"، ليكون عنوانا لهذا الاحتفال، في كناية عن أن "البركان" المصري، هو الذي أحدث "الزلزال" في إسرائيل.

وبنصيحة من الوزير فاروق حسني، آنذاك، استعنت بالمخرج وليد عوني، لإخراج هذا العمل الكبير، لخبرته، وقدرته الفنية على إدارة ٤ آلاف جندي، وشاب، وفتاة، من المشاركين في هذا العمل، وبالفعل أبدع المخرج وليد عوني في إخراج العمل بصورة رائعة مشرفة، كما اختار الموسيقى التصويرية للعمل من فيلم الصخرة، فكانت من أروع ما يكون.

أما كلمات الأوبريت، فكتبها شاعر الأغنية الوطنية، مصطفي الضمراني، الذي نظم أبياتا من الشعر، ألهبت المشاعر الوطنية للشعب المصري، لاستدعائها لبطولات القوات المسلحة، عبر التاريخ، فاستحق أن يلقب بشاعر البركان؛ لأنه بكلماته البسيطة، الصادقة، استطاع أن يتسلل إلى قلوب جميع المصريين، بجميع فئاتهم ... أما أنا فقد لقبته، عن جدارة، بلقب "أيقونة الأغنية الوطنية"، ولا زالت كلماته تتردد في أذني.

كما شارك الفنان المصري كرم مراد بمقطوعة نوبية رائعة؛ (النيل بيتمشى ... من توشكى لكلابشة)، وشاركت راقصة الباليه المصرية، الدكتورة سحرهلالي، مجسدة صورة مصر العظيمة في هذا الاستعراض. ولأول مرة أدخلنا عروض الاستعراضات الضوئية (Projection)، في سماء الصالة المغطاة، لتحاكي ضربات القوات الجوية، والصاعقة، وتدمير خط بارليف.

وبينما بدأ العد التنازلي لهذا العمل، كان المشير حسين طنطاوي، يحضر جلسة مجلس الوزراء، فهمس في أذنه أحد المسئولين، آنذاك، بأن الصالة المغطاة لا تصلح لتنفيذ استعراض موسيقي غنائي، مؤكداً أن هذا العمل سيفشل حتما، ومقترحاً بضرورة اختيار شكل آخر، ومكان آخر، للاحتفال!!

حضر المشير طنطاوي إلى الصالة المغطاة، لمتابعة البروفات النهائية للعمل، وأخبرني بما سمعه من المسئول، بمجلس الوزراء، ونصيحته بالعودة للشكل التقليدي للاحتفال، لأن الصالة المغطاة لن تسمح بوضوح الصوت، مما سيؤثر على المشاهدين، والاحتفال بشكل عام، فابتسمت، بهدوء، لعلمي بمن أثار قلق المشير طنطاوي.

وحيث إنني لم أكن لأغفل تلك المشكلة، أو أعرض مثل ذلك الاحتفال الهام، الذي يؤرخ لنصر عظيم، لآية إخفاقات، لطمأنة المشير، فقد طلبت سرعة حضور خبراء الصوت الإنجليز، الذين كنت قد استعنت بهم، لوضع خطة الصوت داخل الصالة، وأبلغت المشير، بسابقة أعمالهم، وخبرتهم، إذ كانت

هذه الشركة البريطانية، هي الوحيدة بالعالم، التي نجحت في تنفيذ خطة للصوت في الصالات المغطاة. وحضر الخبراء، وبدأنا في شرح الخطة، وأنواع السماعات الجديدة، وأسلوب توزيعها، ووسيلة تلافي مشكلة صدى الصوت. واطلع المشير على عروض الاحتفالات التي نفذتها الشركة الإنجليزية في دول أخرى داخل الصالات المغطاة. فاطمأن نوعاً ما، لكنه طلب تنفيذ بروفة للصوت في اليوم التالي، فطلبت تأجيلها لبعد غد، لتكون بروفة حية، تكون فيها الصالات ممتلئة بالجماهير، لتعكس حقيقة جودة الصوت.

تمت التجربة بنجاح ... وخرج الاحتفال في صورة رائعة، أبهرت الجميع، الحضور والمشاهدين، وصارت الصالات المغطاة مقرًا لمثل هذه الاحتفالات، بعدما أتقن المهندسون المصريون تكنولوجيا الصوت الحديثة، و أجادوا استخدام (البروجيكشن). وبعد الحفل الرئيسي، نفذنا احتفالات، لمدة أسبوع كامل، لشباب الجامعات المصرية في القاهرة، وعدد من المحافظات، ليصبح "البركان" هو أعظم عمل فني تم تنفيذه، حتى الآن، في ذكرى احتفالات أكتوبر.

تلك كانت شهادة اللواء سمير فرج التي كتبها عن البركان وقصته.

بعد نشر الحوار تلقيت اتصالا منه يثني على الحوار يكشف عن أنه تلقى سيلا من الاتصالات غالبيتها من شخصيات اسعده اتصالها.

نشر الحوار بعنوان، الشاعر الكبير مصطفي الضمراني:

حصلت على «التقديرية» بعد أن دلنى الغيطانى على المفتاح الضائع.

"يا حبايب مصر" منحتنى الجائزة.. والسادات أوحى لى بكلماته.

وجاءت مقدمته، الدراسة حتى الثانوية العامة جمعته فى فصل واحد مع الشاعرين أمل دنقل وعبد الرحمن الأبنودى والسيناريست محمد صفاء عامر، وجميعهم نزحوا من الصعيد إلى القاهرة لاستكمال الدراسة الجامعية.

إنه الشاعر مصطفى الضمرانى الذي فاز العام الماضى بجائزة الدولة التقديرية فى الأدب، وكشف أن عضوا بارزا فى لجنة التحكيم قال: إن كلمات أغنيته يا حبايب مصر التي غنتها المطربة التونسية "عليا" وحدها كفيلة بمنحه الجائزة دون النظر للكتب التي تقدمت بها جامعة جنوب الوادى ضمن مسوغات ترشيحه.

" قال إن شهرته لم تكن فى مستوى الأبنودى ودنقل لكنه سعيد بما أنجزه عبر مشواره ويفتخر بأنه الشاعر الوحيد من جيله الذي لحن له محمد عبد الوهاب ورياض السنباطى دون معرفة بهما.

التحق الشاعر والكاتب الكبير مصطفى الضمرانى بكلية الحقوق جامعة عين شمس وتخرج فيها عام 1963 لكنه لم يعمل بالمحاماة ودخل من الباب المفتوح مهنة الصحافة لكنه شق طريق الشهرة عبر بوابة تأليف الأغانى خاصة الوطنية.

قصة حصولك على الجائزة التقديرية؟

حاولت على مدى سنوات أن أحظى بشرف الترشح لنيل الجائزة، لكن أعترف بأن هناك حصارًا فى القاهرة يجعل من الصعوبة بمكان على البعض التقدم والترشح للجائزة، فالجامعات والهيئات هنا فى القاهرة العاصمة تنحاز إلى بعض الأسماء لأسباب العلاقات والشللية والمصالح وتضيع الفرص على كفاءات فى شتى المجالات، من ناحيتى لم أشعر باليأس كان لدي إصرار عجيب على الترشح للجائزة طرقت كل الأبواب فى القاهرة ولم أوفق، و بالمصادفة كان يعرف شغفى بالموضوع الأديب جمال الغيطانى يرحمه الله - فقال لى جملة لن أنساها وهى اذهب إلى مدرسة قنا الثانوية حتى تمنحك الجائزة، كان يتكلم بثقة غريبة وكرر اسم المدرسة التي تخرجت فيها مع الأبنودى ودنقل وصفاء عامر، لم أفهم المعنى الذي يقصده فى بداية الأمر لكنه عاد ويسر المهمة وقال المدرسة أصبحت جامعة لها حق الترشيح للجائزة، وسرعان ما أدركت أنه يقصد أن ترشحنى مدرستى وهى مدرسة قنا الثانوية العامة والتي درست فيها وتحولت إلى جامعة جنوب الوادى فالمبنى هو مبنى الجامعة الإدارى، وعلى الفور اتصلت برئيس الجامعة وسألته عن مدى إمكانية الترشيح ووجدت ترحيبًا كبيرًا ورشحتنى الجامعة لنيل الجائزة وحصلت عليها من بين المتنافسين بشفاعة «يا حبايب مصر» الأغنية الخالدة التي غنتها "عليا"

ماذا تقصد بشفاعة أغنية يا حبايب مصر؟

الجامعة تتقدم بالسيرة الذاتية والمؤلفات التي كتبها الشاعر أو الروائى واللجنة وهى تضم قامات مرموقة واسعة الثقافة والاطلاع تتولى فحص الإنتاج الأدبى للمتنافسين وعندما طرح اسمى علمت فيما بعد أن أحد أعضاء اللجنة قال يكفى أنه كتب أغنية يا حبايب مصر للفوز بالجائزة.

ما الذي تتذكره عن أغنية يا حبايب مصر بعد مرور 45 عامًا على غنائها؟

قبل نشوب حرب أكتوبر كان الرئيس محمد أنور السادات يلقى خطابا مهما فى مجلس الشعب ويومها قال مخاطبا الشعب المصرى «هذا الوقت لا أحد يسأل ماذا أعطته مصر بل كل واحد عليه أن يسأل ماذا سيعطي مصر؟ لحظتها تفاعلت مع كلمات الخطاب والرسالة المؤثرة التي تحدث بها، الرسالة أعجبتنى وبعد انتهاء الخطاب مباشرة بدأت فى الكتابة وكانت أغنية

يا حبايب مصر، واتصلت بالموسيقار الكبير حلمى بكر وقرأت له شطرًا من الأغنية فطلب منى زيارته فى منزله بالمهندسين ويومها أتذكر كانت درجة حرارته مرتفعة جدا تصل إلى 40 درجة ومع هذا انفعل بالكلمات وبدأ فى غنائها بصوته «المجروح» ووضع اللحن المناسب لها.

من رشح المطربة التونسية "عليا" لهذه الأغنية؟

بالمصادفة وحدها ونحن نجلس فى منزل حلمى بكر وفى حوالى الساعة العاشرة مساء حضرت الفنانة التونسية، وسمعت حلمى بكر وهو يدندن الأغنية وطلبت أن تغنيها وقالت أنا سأغنى لمصر ووافق حلمى وهنا لعبت المصادفة دورا جديدا حيث رن جرس الباب وحضر فى نفس الوقت المخرج محمد سالم مدير إدارة المنوعات فى الإذاعة والتليفزيون وسمع اللحن والأغنية وقال:التليفزيون سيسجل هذه الأغنية وطلب بسرعة مدير مكتبه فى التليفزيون وحجز استديو التسجيل وتم تسجيل الأغنية فى اليوم التالى، وبعدها بساعات بدأت الحرب وكانت هذه الأغنية أول أغنية وطنية تذاع يوم 6 أكتوبر وتمت الاستعانة بمشاهد من لحظات العبور مع الأغنية،

هل تحدث عنها الرئيس السادات بعد إذاعتها؟

لم يتحدث معى ولكن سمعت أنه تحدث مع "عليا" التونسية، ويمكن القول بأنى الوحيد من شعراء جيلى الذي كان له الحظ فى أن يلحن كلماته الكبيران محمدعبد الوهاب ورياض السنباطى من غير ما أرسل لهما الكلمات بشكل مباشر ففى عام 1969 سجل لى الموسيقار رياض السنباطى أغنية اسمها اتصالحنا أنا وحبيبى وكلماتها كنت قد تقدمت بها إلى شركة «مصر فون «والتي تحولت فيما بعد إلى صوت القاهرة ولم أكن أعرف السنباطى ومن حظى أن أعجبه النص والكلام وسجل الأغنية وغنتها الفنانة فايدة كامل، بعدها جاءت البداية الطويلة مع رياض السنباطى وتعرفت عليه وعلى أولاده وعلى بيته.

من رشحك للموسيقار محمد عبد الوهاب؟

القصة حدثت عندما قابلنى الفنان عبد الحليم حافظ فى مبنى التليفزيون وأنا واقف فى الطابور فى انتظار دورى فى المصعد ولمحنى عبد الحليم وشدنى من الطابور وقال لى أغنية الفنانة عليا "يا حبايب مصر" كان نفسى أغنيها ومع هذا لو كاتب كلمات لأغنية وطنية جديدة كلمنى أو اتصل بالموسيقار محمد عبد الوهاب على التليفون وهذا رقمه لأعرض عليه الكلمات وكنت احتفظ بخاطر شعرى اسمه "المركبة عدت "واتصلت بعبد الوهاب وجاء صوته وقال لى هل كتبت شيئا؟ عبد الحليم كلمنى فقلت نعم ياافندم فقال سمعنى، وسمعته وطلب منى أقرأ له الكلمات من جديد وقال قول يا مصطفى بالراحة

الكلمات شطره شطره بعد ما خلصت الأغنية قال: خذ تليفون عبد الحليم الخاص وقول له عبد الوهاب لن يلحن غير هذه الأغنية، وانتهت المكالمة ولم أتصل بعبد الحليم يومها ترددت وقلت ربما كان يجاملنى معقول عبد الوهاب يفضلنى على شعر مرسى جميل عزيز ومأمون الشناوى وحسين السيد وغيرهم من الكبار ولم أتصل بعبد الحليم، ومرت 5 أيام على الواقعة وكان يتبقى على الحفلة 10 أيام و سيحضرها الرئيس السادات يوم 5 يونيو 1975، وبعد عودتى إلى البيت استقبلتنى زوجتى وقالت لى الأستاذ محمد عبد الوهاب اتصل بك أكثر من مرة وينتظر منك مكالمة على تليفون منزل عبد الحليم وكنت فى هذا الوقت أسكن فى مصر القديمة وكلمته فى التليفون فرد عبد الحليم وقال لى الأستاذ معك وأعطى السماعة لعبد الوهاب الذي قال لى يا أستاذ مصطفى أنا طلبت منك تكلم عبد الحليم من أجل الأغنية، فرددت عليه حضرتك لم تطلب منى أن أرسل لك كلمات الأغنية فقال أنا سجلت الكلمات على التليفون ونادى على المايسترو أحمد فؤاد حسن وقال له سمع مصطفى البروفة وطلب منى أن أحضر فى اليوم التالى البروفة الرئيسية فى معهد الموسيقى.

كم تقاضيت مكافأة على هذه الأغنية؟

عبد الوهاب أعطانى مكافأة وعبد الحليم أعطانى مكافأة ووحيد فريد الشريك الثالث قدر المكافأة بمبلغ 500 جنيه تسلمتها من المستشار الخاص للشركة مجدى العمروسى وهو رقم كبير يساوى 50 ألفا الآن وزوجتى فرحت جدًا.

كيف تعرفت على الفنانة شادية؟

من الأشياء المهمة فى مسيرتى أننى كتبت 3 أغان للفنانة الكبيرة شادية أولاها «اكتب جوابى من السويس لحبيبى فى العريش» والثانية «أقوى من الزمان» والثالثة «لو القلوب ارتاحت» وأول أغنية لها كانت فى عام 1969 أثناء حرب الاستنزاف ولحنها محمد على سليمان وهى أغنية أكتب جوابى من السويس وهى من مختارات الإذاعة.

ما قصة أغنية أقوى من الزمان؟

أتذكر عندما كنت أجلس كعادتى فى حديقة معهد الموسيقى العربية و الحديقة التي كانت تحتضن كل يوم الشعراء والفنانين والملحنين وكنا نتعرف على كبار الشعراء ونحن الجيل الصغير فى حديقة المعهد أمثال مرسى جميل عزيز وحسين السيد وعبد الفتاح مصطفى وأحمد رامى تجمعنا الألفة، ومن ثم كانت فرصتى، وبينما أنا أجلس حضر المايسترو صلاح عرام وقال لى أين كنت أمس، الفنانة شادية تبحث عنك، وطلب منى عدم الانصراف قبل مقابلتها، كانت الفنانة تحضر بعد الرابعة عصرا لعمل البروفات على مسرح

معهد الموسيقى فى شارع رمسيس وبعد انصراف الموظفين منه وبعد الانتهاء من البروفات فى حدود الساعة التاسعة حضر المايسترو صلاح عرام وصعدت معه إلى حجرة الفنانة واستقبلتني بترحاب شديد، وقالت لى نفس العبارة التي سمعتها من عبد الحليم: إنها تمنت أن تغنى يا حبايب مصر وطلبت منى كلمات أغنية وطنية تقدم بها الموسيقار عمار الشريعى فى الحفلة التي كانت ستحييها تركتها وانصرفت وركبت أتوبيس رقم 95 من محطة الإسعاف حتى منزلى فى مصر القديمة وخلال الرحلة بدأت فى كتابة أغنية أقوى من الزمان، وانتهيت منها قبل وصولى وبعد أن وصلت إلى البيت طلبت عمار الشريعى تليفونيا وقرأت له النص وكان شديد الإعجاب به وبدأ فى وضع اللحن فى نفس الليلة ولتشدو بها شادية وتصبح من أشهر أغانيها.

من شجعك على كتابة الأغانى الوطنية؟

كنت أقف أمام مبنى الأهرام فى انتظار السيارة للذهاب إلى وزارة الشئون الاجتماعية كمحرر يغطى أخبارها وبينما أنا أقف أمام الباب وصلت سيارة رئيس مجلس الإدارة يوسف السباعى، وابتعدت حتى أفسح له الطريق وكى لا يشاهدنى لكنه لمحنى ونادى على وقال أنت مصطفى قلت له: نعم وطلب منى أن أصعد معه إلى مكتبه. لحظتها شعرت بالرهبة والخوف وفكرت فى أننى ربما أكون تسببت فى مشكلة ما تستدعى مساءلة رئيس مجلس الإدارة وفى المكتب طلب منى الجلوس وقال أنت مؤلف أغنية يا حبايب مصر قلت نعم، فرد: أعجبتنى جدا استمر فى كتابة الأغانى الوطنية الناس لن تتذكر إلا أعمالك، ستنسى المنصب والمكانة وتذكر لك ولى إبداعك وبعد رحيلى هى ستبقى، وطلب من مدير مكتبه إحضار جميع الروايات التي كتبها وتجهيز سيارة خاصة حتى انتقل بها إلى بيتى فى مصر القديمة وكانت الروايات 14 رواية منها نادية.

كتبت لفهد بلان أغنية شهيرة ونجحت بشكل كبير؟

من الأغانى التي أعتز بها أغنية « وركبنا على الحصان « التي غناها المطرب اللبنانى فهد بلان ونجحت بشكل غير مسبوق وأتذكر أن فهد بلان حضر إلى الأهرام للغناء فى حفلة بنقابة الصحفيين، وقال ونحن نسير من مبنى الأهرام إلى النقابة سيرا على الأقدام إن شركة صوت الحب التي أنتجت الأغنية ضحكت علينا بعد أن منحت كل واحد منا 150 جنيها ووقعنا إقرارا بالتنازل عن أي حقوق للأغنية وبعد إذاعتها أحدثت شهرة كبيرة، وقال لو كانت لنا نسبة بسيطة من كل «ألبوم» تم بيعه لأصبحنا أثرياء لأنها باعت أرقامًا كبيرة.

ما سر موهبة أمل دنقل؟

أمل دنقل لو كتب الأغانى العاطفية لتفوق على نزار قبانى، هو شاعر عظيم ورحلته كانت قصيرة وأعتبره «أشطر» واحد فى جيله شعريا وهو شاعر موهوب وكنا نلتقى مع بعض فى مقهى بوسط البلد.

وشهادتك عن الأبنودى؟

الأبنودى أدخل لونا جديدا فى كتابة الأغنية وهو دون شك «كسر» به الدنيا وهو رائد الأغنية الشعبية كما أنه عملاق فى الأغانى الوطنية.

لماذا لا تكتب الآن؟

لا أدرى السبب لكننى غير متأكد من تفاعل جيل المطربين الحالى مع كلماتى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الرابع
حوارات التطبيع
على سالم

عندما طرحت اسم الكاتب المسرحى الشهير على سالم لإجراء حوار صحفى معه فى يونيو عام 1997، لم أكن أتوقع حجم الاعتراضات من زملاء المهنة وقياداتها على اسمه، وبدأت أستمع إلى مبررات عديدة وراء رفض الفكرة ومنها كيف تمنح أحد أبرز الكتاب «المطبعين»منبرًا يطل منه على القراء فى الأهرام؟ هذا اجتهاد مرفوض ولا يخدم المصلحة العامة ولا يضيف للمجلة بل هو خدمة كبيرة للفريق الذي تربطه علاقات مع إسرائيل.

اتسعت دائرة الاعتراض بعد أن عرف بعض كبار الكتاب فى الأهرام وأبدوا غضبهم من مجرد طرح الفكرة، كنت متحمسًا للحوار، وتوقيته بعد أن أصدر الاتحاد العام لكتاب مصر فى نفس الأسبوع قرارًا بشطب عضوية الكاتب على سالم من الاتحاد، بعد زيارته المثيرة إلى إسرائيل، يومها أحدث القرار حالة من الجدل، وطلبت يومها أن يكون التقييم بعد إجراء الحوار.

على سالم كاتب شهير مؤلف مدرسة المشاغبين، واحدة من أشهر المسرحيات التي ارتبط بها الجمهور فى مصر وقدمت جيلا من النجوم الكبار فى المقدمة منهم عادل إمام وسعيد صالح وأحمد ذكى.

كل يوم كان يفضل الجلوس فى فندق صغير بشارع لبنان بالمهندسين بصحبة الدكتور سمير سرحان أستاذ الأدب الإنجليزى لساعات تمتد حتى الخامسة مساء بعدها ينصرف إلى منزله، ذهبت إليه فى الساعة الرابعة عصرًا بعد مرور يوم على قرار اتحاد كتاب مصر بإسقاط عضويته من الاتحاد عقابا له على زيارته إسرائيل، ودعوته للتطبيع.

كان ثائرًا على قرار الاتحاد، واثقا فى أنه سيعود بعد اللجوء إلى القضاء ساخرًا فى إجاباته.

بعد نشر الحوار تغيرت الصورة، واعتبره البعض من الأعمال المنشورة بالمجلة التي تستحق القراءة وأنه حمل أسئلة مهمة وطرح أهم الاتهامات المنسوبة للكاتب.

تطورت الفكرة وذهبت لإجراء حوارات مع كتاب ومفكرين يرفضون التطبيع وفى الوقت نفسه كتاب من أنصار التطبيع.

توالت الحوارات مع قامات مهمة مرت فى تاريخ مصر المعاصر، أمثال الكُتَّاب سعد الدين وهبة وثروت أباظة وأسامة أنور عكاشة والسيد يسين ومحمود السعدنى ونوال السعداوى وعبد المنعم سعيد والمؤرخ عبد العظيم رمضان وجمال بدوى، ثم اتسعت دائرة الحوارات مع الدكتور مصطفى محمود والدكتور عبد الصبور شاهين والشيخ يوسف البدرى والفنان عادل إمام والسيدة جيهان السادات وأمين هويدى وبرلنتى عبد الحميد والرئيس السودانى الأسبق جعفر النميرى والصادق المهدى رئيس وزراء السودان الأسبق.

كانت فى تلك الفترة تطفو على سطح الأحداث قضية التطبيع وقضية الحسبة.

فى كل مرة كنت ألتقى أحد هؤلاء المبدعين بصرف النظر عن موقفه السياسى، تجد لديه فائضًا كبيرًا من المعرفة والمنطق والصوت الهادئ فى طرح وجهة نظره بعيدا عن الانفعال أوالتشنج، ويهتم إلى أبعد حد بأن يظهرَ البعدُ الإنسانى فى شخصيته وعندما يتعلق الأمر بموقفه السياسى يدافع عنه بكل القوة وينتقد خصومه بأقسى العبارات، تكرر هذا من الكتُّاب على سالم والدكتور عبد العظيم رمضان وثروت أباظة ومحمود السعدنى وأسامة أنور عكاشة وغيرهم.

عندما أعود إلى حوار على سالم أتذكر يومها أنه قال: إن المشى فى حديقة الاحتفال بالعيد القومى لإسرائيل كان بالكتف!، كان يقصد عدد الحضور فى هذه المناسبة وهو أمر يكشف عن قناعاته وأنه لا يبحث عن تبرير لزياراته المتكررة إلى إسرائيل بل ويرى فى تصرفه أمرًا طبيعيا ويومها قال لست الوحيد الذي زار إسرائيل هناك المئات زاروها، هذا السؤال يطربنى لأنه يعنى أن الكل لا يعترف بأحد غيرى زار إسرائيل، فى حين أن عدد الصحفيين المصريين الذين لم يزوروا إسرائيل أقل بكثير من عدد الذين زاروها، لا أعترف بأن أعضاء نقابة الصحفيين 4 آلاف عضو، أعترف فقط بـ 20 صحفيًا فى مصر هم الذين زاروا إسرائيل إنهم الأكثر تأثيرًا وجماهيرية.

وقال إن تفسيره لفوز الكاتب سعد الدين وهبة برئاسة اتحاد كتاب مصر وهو الأبرز فى رافضى السلام مع إسرائيل، إن ستالين جاء بالانتخاب ولينين أيضًا وكشف عن أنه كاد أن يتبول لا إراديًا عند دخوله للمرة الأولى إسرائيل.

هو من مواليد دمياط 24 فبراير أعماله 15 كتابًا و27 مسرحية

توفى فى 22 سبتمبر 2015.

نشر الحوار بعنوان «على سالم»: أنا أحد عقلاء هذه الأمة و نجم عند الشباب الإسرائيلى.

كان السؤال الأول هل بالفعل تم فصلك من عضوية نقابة الممثلين بسبب زيارتك لإسرائيل؟

هذا ما نشرته الصحافة وحتى الآن لم يصلنى خطابٌ رسمى من النقابة يفيد فصلى، ولم يتقرر حسبما علمت فصلى وإنما شطبى، وأنا لا أعرف الفرق بين الاثنين.

التصريحات المنشورة كانت على لسان نقيب الممثلين عبدالغفار عودة؟

معنى هذا أن الكلام المنشور صحيح؟ وهذا يدعونا لسؤالك عن تأثير قرار كهذا عليك؟

تأثيره على المستوى النفسى مؤلم جدًا وخاصة عندما تنشر وكالات الأنباء العالمية أن «على سالم» POOT OUT بمعنى أنه تم «ركلى بالحذاء خارج النقابة» هذا خبر مؤلم أيضًا لأنه يعيد إلى الأذهان فى الغرب الفترة الماركسية التي كانت نقابة الفنانين بالذات تقوم فيها بالفصل والتحقيق مع الفنانين، وهى فترة العالم يحاول أن ينساها.

ما رد فعلك على قرار شطبك؟

سأرفع قضية أمام القضاء، لأنه واضح للجميع أن هذا القرار لا يستند إلى أي أساس قانونى ولا يستند إلى أي أساس شرعى من أي نوع، وأنا فى سبيلى إلى رفع قضية وأنتظر بما فيه الكفاية أن يبلغونى ولكنهم لم يبلغونى بهذا القرار.

كيف ترى تأثيره على إبداعك؟

تأثيره معنوى لأنه سيخيف الآخرين منى، وربما تفكر الهيئات فى عدم التعامل معى خوفًا من وجع الدماغ، لكن إذا استندنا إلى القانون ليس له أية آثار قانونية، لأن المحكمة الدستورية العليا أصدرت حكمًا تمنع فيه النقابة من أن تمارس خطرًا على الكتاب أو الفنانين، ولا توجد حتمية أن تكون عضوًا فى نقابة الفنانين لكى تمارس التمثيل والإخراج أو التأليف، وفى النهاية أرى أن قرار شطبى إهانة ولابد أن أدفعها عنى وأحصل على التعويض المناسب.

الكاتب محمد البساطى قال: إنك كاتب انحسرت عنك الأضواء وأن سبب زيارتك لإسرائيل بهدف إعادة الأضواء إليك ثانية؟

موافق على هذا الاتهام، ولكن السؤال هل هو يستطيع أن يزور إسرائيل للحصول على هذه الأضواء؟ الادعاء من جانبه كاذب، هو لا يتخيل وجود

فضول فكرى عند الفنان المبدع وهذا اتهام من بين اتهامات عديدة لا أقيم لها وزنًا أو أهمية لأننى أصلًا لا أحب الأضواء وهو يعلم ذلك جيدًا، فمن يرحب بأضواء مؤلمة وزيارتى تمنع عنى الأضواء ولا تكثفها علىّ.

الفضول الفكرى لماذا لم يدفعك إلى زيارة جنوب إفريقيا مثلًا؟

لأنها ليست على حدودى ولست فى صراع معها، إسرائيل دولة على حدودى ونحن فى سلام معها وانتقلنا من صراع الحرب إلى تنافس السلام، أريد أن أخوض معركتى فى هذا التنافس.

ما هى معركتك؟

معركتى كمواطن ومثقف مصرى أن أستوعب العلاقة بينى وبين الحضارة الموجودة والتي كنا فى حالة حرب معها ونحن الآن فى حالة سلام.

كم عمر الحضارة المجاورة التي تتحدث عنها؟

عمرها فقط يوم واحد! ولكنها تُصدِّر أكثر من غيرها، واستطاعت إقامة دولة تدار ديمقراطيًا، وعلىَّ أن أستفيد من كل هذا، فلابد أن نتعرف على هؤلاء الكتاب والشعراء وعلى إنتاجهم ولابد أن تضع يدك فى يد من يطلبون السلام منهم.

ماذا تقصد عندما قلت إن أصحاب الكلام الفارغ - حسبما وصفتهم - ينصحوننا دائمًا بالكف عن الفعل دون أن يشرحوا لنا خطتهم، ماذا تقصد؟

أنا أقصد خطة للسلام مبنية على التعاون بين شعوب هذه المنطقة وفى رحلتى إلى إسرائيل كان الهدف الأول هو لفت أنظار الناس إلى حتمية ممارسة السلام وصنعه، خاصة فى المنطقة العربية كلها وليس فى مصر فقط، ومن هم ضد السلام لم يطرح أحد منهم خطة عمل حتى نفهم الخطة التي يقدمونها للمنطقة وللعالم.

ربما لا يغيب عنك أن من هم ضد التطبيع يطالبون بوقف كل أشكال التطبيع لحين خضوع إسرائيل للمطالب العربية العادلة؟

متى نتوقف عن خداع النفس؟! أنا لا أقوم بالتطبيع ولست مسئولًا عن التطبيع لأنه يقوم على قدم وساق.. التطبيع مصانع، هل هؤلاء ضد هذه المصانع؟ وهل هم ضد التجارة المصرية الإسرائيلية؟ أنا لم أقرأ لأحد يهاجم مشروعًا مصريا إسرائيليًا وأُطَالبُ بالدخول فى هجوم السلام وهذه معركة طويلة للغاية يستطيع الناس أن يجعلوها تستمر سنوات طويلة ويستطيعون - أيضًا - أن يجعلوها تستمر إلى الأبد، وأنا مهتم بما يحدث فى مدينتى ملوى وأبوقرقاص بصعيد مصر أكثر من اهتمامى بالقدس، لأن مدينة القدس يعيش

فيها شعبان سيظلان يتقاتلان إلى أن يصلا إلى حتمية الاعتراف بالتعايش فى سلام.

ما الذي قدمته إلى ملوى وأبوقرقاص فى صعيد مصر طالما أنت مهتم بهما أكثر من القدس؟

أنا أقدم لهما شيئًا عندما أصر على ريادة العقل المصرى، وعملى هو أن أكون كاتبًا وقدمت لهما ما أقوله وما أنتجه.

ما هى مبرراتك المقنعة التي تسوقها إلى خصومك - وما أكثرهم - حول تكرار زيارتك إلى إسرائيل - 7 مرات - خلال عامين؟

كل مرة كنت أزور فيها إسرائيل كانت بسبب مهمة، وكلها زيارات قصيرة للغاية الهدف منها أن أقول: مصر هنا وأن هناك من يقف مع السلام، وردًا على مجموعة من الشرفاء الإسرائيليين الداعين إلى السلام أمثال سامى ميخائيل وعاموس عوس وديفيد جروسمق وهذه الأسماء تم الهجوم عليها مؤخرًا فى مصر، وهى خطة ذكية الهدف منها إصابة دعاة السلام فى إسرائيل بخيبة وهؤلاء عظماء، ويكفى أن عاموس عوس أعلن الشهر الماضى قائلًا ماذا يجرى عندما تكون القدس عاصمة لشعبين؟ ومن الخطأ الهجوم عليه ويجب أن يوجَهَ الهجوم إلى كارهى العرب أو المتطرفين، لماذا نهاجم مثقفين بطبيعتهم يريدون السلام فى هذه المنطقة؟

تفسيرك لموقف كهذا هل تراه عدم وعى؟

لا، بل هناك جيل كامل لم يستطع بعد التخلص من مفردات الحرب الباردة، فى حين أن أهم خصائص المثقف هى القدرة على مراجعة تفكيره.

هل تعترض على أنك أصبحت فى نظر الكثيرين أبرز أصدقاء إسرائيل؟

أنا صديق دعاة السلام فى إسرائيل فقط.

خلال زيارتك المتكررة لإسرائيل، هل التقيت رئيس وزرائها بنيامين نتنياهو؟

من يقرأ كتابي رحلة إلى إسرائيل سيعرف مدى عدائي التقليدي لليكود، ولو كان نتنياهو موجودًا فى عام 1994 كرئيس وزراء إسرائيل لما زرتها من الأساس.

لك تصريحات منشورة قلت فيها إنك تعرف عن إسرائيل أكثر مما تعرف وزارة الخارجية المصرية؟

هذا الكلام غير حقيقي، وهذا الخبر فعلًا نُشِرَ ويتهمني أنا شخصيًا بالجهل، ولو حدث وكنت قلت هذا الكلام فمعناه أننى أقدم مسوغات تعييني جاهلًا كبيرًا،

أنا واحد من صناع السلام ولست أستاذًا فى العلاقات المصرية الإسرائيلية.

إلى أي مدى أغضبك ما قاله عنك الشاعر أحمد فؤاد نجم بأنك نتن وخنزير؟

غضبت لدرجة أننى رفعت ضده قضية وهدفت من ذلك أن أُذكِّرهُ وأُذكِّرَ غيره بأنه لا داعى للتجاوز.

إسرائيل لا تلجأ إلى الحرب إلا إذا كانت خيارًا وحيدًا أمامها لماذا قلت ذلك؟

أي دولة فى العالم تقوم بالحرب عندما تكون اختيارًا وحيدًا أمامها.

ولكن هذا تبرير مرفوض منك لماضي إسرائيل غير الشريف والدموي؟

أنا أتكلم عن معطيات الحاضر وليس الماضى والحرب هى اختيار وحيد عند كل الدول، وهى تحدث فى حالتين، عندما يخطط لها أو عندما تفشل الأطراف المعنية فى الحفاظ على السلام، والحرب اختيار وحيد عند أي مخلوق وما أقوله يساوى فى موضوعيته 1+1، ولكن هناك حكومات ثورية ممكن أن تشن حربًا ليس من منطلق أنها اختيار وحيد، وإنما هى أحد الخيارات التي تعطيها بطولة فى الشارع أو تملؤها باللذة.

أنت من جيل يموت مجنونًا أو منتحرًا لماذا؟

أنا سوف أموت مبتسما ولن أموت منتحرًا أو مجنونًا، وحتى الآن قد أكون أثبتُ أننى أحد العقلاء فى هذه الأمة.

كلما سئلت لماذا تذهب إلى إسرائيل، تجيب حتى أعرفها، هل عرفتها حقًا؟

لست الوحيد الذي زار إسرائيل هناك المئات زاروها. هذا السؤال يطربنى لأنه يعنى أن الكل لا يعترف بأحد غيرى زار إسرائيل، فى حين أن عدد الصحفيين المصريين الذين لم يزوروا إسرائيل أقل بكثير من عدد الذين زاروها، لا أعترف بأن أعضاء نقابة الصحفيين 4 آلاف عضو، أعترف فقط بـ 20 صحفيًا فى مصر هم الذين زاروا إسرائيل، إنهم الأكثر تأثيرًا وجماهيرية.

هل هناك من بين الصحفيين أكثر جماهيرية من الأستاذ محمد حسنين هيكل أو الراحل الكاتب مصطفى أمين أو نقيب الصحفيين إبراهيم نافع؟! هؤلاء لم يزوروا إسرائيل؟

أتحدث عن السفر بعد توقيع أوسلو، ولا يعقل أن يسافر مصطفى أمين وهو فى الثمانين، كما أن نقيب الصحفيين يحترم منصبه، هناك أسماء معروفة زارت إسرائيل منها سعيد سنبل وصلاح منتصر ولطفى الخولى وعبدالمنعم سعيد، السفر أو عدم السفر ليس هو القضية، نحن فى حالة سلام مع إسرائيل والشعب المصرى كان سعيدًا بمبادرة الرئيس السادات.

ما مهمة المبدع من وجهة نظرك؟

أن يبدع.

هل تمارس أنت الإبداع الآن؟

نعم، وصدر مؤخرًا لى كتاب بعنوان «شواكيش ساخرة»، ولى مسرحية لم تنشر بعد بعنوان «واحد مسجون زيادة» وسأعود قريبًا إلى المسرح بمجموعة من الهواة.

لا تخشى الغزو الثقافى الإسرائيلى لمصر، ما الذي تخشاه إذن من إسرائيل؟

هذا سؤال مهم جدًا، ولأول مرة يُوجَهُ لى وبصراحة لا أريد لمجتمع على حدودى أن يكون أرقى منا كثيرًا وأريد أن ننافسه وأخشى ألا نتمكن من ذلك، فيشعر المصريون بالضآلة تجاهه كما يحدث للمثقفين المصريين، فهم يشعرون بالضآلة أمام هذا النموذج الحياتى، فيلجأون إلى الكراهية وينتابهم الكسل.

لماذا هاجمت من قبل الرئيس جمال عبد الناصر؟

لم أهاجمه وإنما ناقشت ظاهرته وهى ظاهرة الحاكم الفرد البطل.

الناقد فاروق عبدالقادر وصف مسرحك بأنه مسرح مراوغ، زائف ولا يدعو لشىء، هل قرأت ذلك؟

أنا لا أدعو لشىء، أنا كاتب مسرح يهمنى أن يقضى المتفرج أمسية ممتعة معى.

اتجاهك إلى الكتابة الصحفية هل هو خطؤك الوحيد؟

أنا مرغم على الكتابة للصحف حتى أعيش، وأنا الخاسر الوحيد فيها والقارئ هو المستفيد.

ما الذي لم تقله بعد عن صديقك الراحل الدكتور فرج فودة؟

أنت فتحت جرحًا قديمًا، وأقول فليرحمه الناس وليرحمه الله، فهو شهيد فى معركة الحرب ضد الجهل وكان هو الأول وهو بنفسه كان يريد أن يتصدر الصف، والتاريخ المصرى ملىء بمواطنين شرفاء مثله دفعوا الثمن غاليًا.

هل هناك قاسم مشترك بينك وبين الدكتور عبدالعظيم رمضان؟

سؤال أتخيله يلمح إلى أننا عملنا من قبل سويًا فى مهنة «الكمسارى».

عادل إمام شهرته تحققت فى أحد أعمالك وهى مسرحية مدرسة المشاغبين لماذا لم يتكرر العمل بينكما ثانية؟

الظروف هى التي أبعدتنا وهناك احتمال قائم للعمل سويًا.

ولكن هل تتوقع أن يخشى عادل إمام التعامل معك؟

لا أعتقد.

خصومك أضعاف أصدقائك، أليس هذا مؤشرًا على أنك تسير فى الطريق الخاطئ؟

ليس معنى خروج 3 مليون شخص فى عز الظهر إلى أشهر ميادين مصر «التحرير» وقالوا لا توجد شمس هل هذا يعنى أنها ليست موجودة؟ القضية ليست فى العدد لأن العدد فى الليمون وليس فى البشر، السلام يكتسب كل يوم أنصارًا جددًا وعدد خصوم السلام فى مصر قليل وعدد أصدقائى أكثر بكثير ولكن توجد غوغائية تمنع البشر من أن يعبروا عن رأيهم بوضوح.

هاجمت من قبل نزار قبانى حينما نشر كلامك ضد مبدعى مصر، ألم تشعر أنك خرجت عن إجماع الكتاب تجاه العلاقة مع إسرائيل؟

هل البشر أجمعوا على شيء، كلمة إجماع تحمل فى أحشائها كل أنواع الفاشية والاستبداد، كيف لكُتَّابٍ أن يُجمِعوا على شىء، فى حين أن عملهم أساسًا الاختلاف؟ لا يوجد إجماعٌ بين الكُتَّابِ.

ما تفسيرك لفوز الكاتب سعد الدين وهبة برئاسة اتحاد كتاب مصر وهو الأبرز فى رافضى السلام مع إسرائيل؟

ستالين جاء بالانتخاب ولينين أيضًا.

لماذا كدت تتبول لا إراديًا عند دخولك للمرة الأولى إسرائيل؟

لأننى ذهبت بسيارتى وبدون دعوة وكنت ذاهبا إلى المجهول.

ولكن الصحف نشرت فيما بعد أنك زرت إسرائيل مدعوًا؟

هذا كلام غير صحيح.

نقاط ضعفك التي ينفذ منها إليك خصومك؟

خصومى ليسوا فى حاجة إلى نقاط ضعفى، أعتقد أن خصومى ينفُذون إلىَّ من نقاط قوتى وهى أننى أقول لهم ما أفكر فيه وأعلنه.

دور أحزاب المعارضة فى مسيرة السلام من وجهة نظرك؟

دور سلبى جدًا، وهى بذلك تستسلم إلى الديماجوجية وتركت للحكومة القضية برمتها، وكنت أرى فى حزبىّ الوفد والتجمع أنهما قادران على فعل شىء ولكنهما خذلانى.

لماذا يشكو السفير الإسرائيلي فى القاهرة العزلة طالما أن أصدقاء السلام كثيرون؟

لأن السفير يمثل الحكومة الإسرائيلية وليس دعاة السلام، وفى المقابل أقول إن المشي فى حديقة الاحتفال بالعيد القومي لإسرائيل كان بالكتف!

من يعجبك من كتاب المسرح فى مصر؟

من الجيل القديم ألفريد فرج وسعد الدين وهبه وعلى سالم ومن الجدد لينين الرملي وبهيج إسماعيل ويسرى الجندي وبالمناسبة ما يفعله سعد الدين وهبة وأنا ولطفى الخوى هو عبارة عن مسرحية، على سالم اختار أن يلعب مع السلام، فكان لابد أن يختار هو أن يلعب ضد السلام، وأطالب بأن يتم اعتقالنا ووضعنا فى جزيرة وأن نطالب فى نهاية العام بكتابة عمل مسرحي.

هل تغيرت وجهة نظرك تجاه إسرائيل بعد وصول نتنياهو؟

لا ولكنني منذ وصوله أصبحت لا أفعل شيئًا.

ما الذي كسبته من موقفك؟

كسبت أننى حققت ما أريده وكسبت شبانًا فى إسرائيل وأصبحت نجمًا عندهم، ولم أقبض كما أشاع البعض لأن إسرائيل لا تدفع.

وما الذي خسرته؟

لم أخسر شيئًا، ولم أندم على الإطلاق، لأن الحرب ليس لديها أية إجابة عن أي سؤال.

أزمة رسام الكاريكاتير لورى كيف قيمتها؟

لورى لديه 104 ملايين قارئ، وكان من حسن السياسة أن يعمل فى «الأهرام»، وما حدث هو غيرة مهنية ليس أكثر ولا أقل، خاصة من نجوميته وكفاءته.

طالما قلت إنك لم تندم على ما فعلت، فكرة زيارة إسرائيل كيف راودتك؟

هناك مقولة لرئيسة وزراء إسرائيل السابقة جولدا مائير، قالت فيها: السلام هو أن أذهب بسيارتى إلى القاهرة لأشترى من سوق العتبة، وهى ماتت وأنا الذي نفذت الفكرة وللعلم الطريقة التي زرت بها إسرائيل والصدى الذي

أحدثته، هو الذي أغاظ منى الكثيرين، وأنا أحترم كل ما هو ممتع ابتداء من السمك المشوى وحتى الفكرة الجيدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سعد الدين وهبة

هذا الحوار جرى مع الكاتب سعد الدين وهبة، حينما كان رئيسا لاتحاد كتاب مصر فى مقر إدارة مهرجان القاهرة السينمائى بشارع قصر النيل، حيث كان يشغل منصب رئيس المهرجان ويرفع موقفًا رافضًا لكل من يدعو للتطبيع.

كان لمعرفة الموقف النهائى بشأن قرار الاتحاد تجميد عضوية على سالم فى هذا الصباح، كان يومه مزدحمًا بالمواعيد والأعمال استعدادا لافتتاح المهرجان الذي كان على وشك الانطلاق ومع هذا لم يعتذر عن عدم إجراء الحوار.

جاءت إجاباته قاطعة برفض التطبيع، بل واعتبر منطق على سالم شاذا لا يجب الالتفات إليه.

لم أتمكن من اصطحاب زميل مصور صحفى معى، حيث جرى ترتيب الموعد بشكل سريع ويومها خرجت بانطباعات عن هذا المبدع الذي كتب سيناريو فيلم «أبى فوق الشجرة» عن قصة الكاتب إحسان عبد القدوس ولعب دور البطولة الفنان عبد الحليم حافظ.

ويومها تساءل هل مجرد الذهاب إلى إسرائيل لإجراء حديث صحفى أو عمل صحفى يعد تطبيعًا؟ وقال إن رأيى الخاص معروف هو مع التشدد والحسم وضد السفر إلى إسرائيل أيا كانت المبررات. كما كان يستعد لتقديم مسرحية المحروسة 2015 التي تتحدث عن التطبيع وترفضه.

توفى سعد الدين وهبة فى شهر نوفمبر 1997

نشر الحوار تحت عنوان «سعد الدين وهبة: التطبيع تجنى ثمرته إسرائيل بلا مقابل».

فى مقدمة الحوار ذكرت أن سعد الدين وهبه يرفض تمامًا منطق على سالم، ووصل الأمر إلى حد سحب اعترافه به ككاتب مسرحى. ووضح من خلال الحوار معه أنه قرر قطع العلاقات معه تمامًا حين قال: «أرفض مبرراته ومفاهيمه الشاذة».. بل وأضاف اتهامًا آخر له بأنه: «كاتب مفلس يقول كلامًا فارغًا».. وهذا يعنى فشل أي محاولة للتطبيع بين على سالم وسعد الدين وهبه، فالتطبيع - وحده - كان سبب هذه الحرب المشتعلة!!.

كان السؤال الاول هو الكاتب المسرحى على سالم، كلما سئل لماذا تسافر إلى إسرائيل يجيب بأنه يريد أن يعرفها، لماذا ترفض أنت منطقه؟

من حق على سالم أن يسوق مبررات لذهابه إلى إسرائيل، لأنه يفعل شيئًا مرفوضًا من كل كتاب وفنانىّ مصر، ولكن للأسف تأتى دائمًا مبرراته واهية وغير مقنعة لأي عاقل، فمن واجبنا أن نعرف أعداءنا ولكن هل هذا يبرر له السفر إلى تل أبيب؟ أعتقد لا.. وليس الأساس فى المعرفة هو الزيارة، أنا أعرف شكسبير دون أن أقابله وليس معرفة إسرائيل تقتضي أن أقيم علاقات طبيعية معها، فهناك وسائل أخرى تتيح لعلى سالم والآخرين المعرفة، سواء عن طريق التليفزيون أو الكتب، ونحن نعرف الإسكيمو وكوبا ولم نزرهما، المعرفة الآن لا تحتاج لمفهوم على سالم الشاذ.

لماذا قال على سالم إنك وهو تلعبان مسرحًا فقط هو اختار التطبيع فلجأت أنت إلى الضد؟

لا ألعب مسرحًا وبإمكانه أن يعود إلى مواقفي منذ عام 1980، فأنا رفضت اتفاقية كامب ديفيد وأصدرت قرارًا من الجمعية العمومية لنقابة السينمائيين فى يناير عام 1980 ضد التطبيع، وفى ذلك الوقت لم يكن ظهر على سالم ولم تكن له أية مواقف أو آراء معلنة ولا توجد بيني وبينه علاقة تناقضية سوى رفض لموقفه الذي ظهر بعد موقفي بسنوات عدة.

إذن ما القرار النهائي داخل اتحاد كتاب مصر - الذي تترأسه - بشأن أعضائه من المطبعين؟

المشكلة حاليًا هى فى بعض ما آثاره الذين اُتِهمُوا بالتطبيع، وهو هل مجرد الذهاب إلى إسرائيل لإجراء حديث صحفي أو عمل صحفي يعد تطبيعًا؟ طبعًا هذا الموضوع يناقش بشكل جاد داخل الاتحاد ورأيى الخاص معروف هو مع التشدد والحسم وضد السفر إلى إسرائيل أيا كانت المبررات، ولكن موقف الاتحاد من: ما هى عملية التطبيع على وجه التحديد، ستصدر الجمعية العمومية قرارها فيها وسينفذ على الجميع دون استثناء طالما أقرته الجمعية العمومية.

أنصار التطبيع من الكُتَّابِ والفنانين يعتبرونك عدوًا للسلام؟

هذه مغالطة أرفضها بشدة خاصة وأنها تصدر عن كتُّاب لا يفعلون شيئًا الآن سوى الهرولة إلى إسرائيل دون سبب مفهوم، وفى تقديرهم الخاطئ من يرفض التطبيع يصبح مع الحرب، وكأنه لا يوجد سوى خيارين فى العالم إما أن نكون على علاقات طبيعية أو نحارب؟ ويتجاهل المتحمسون لإسرائيل مبدأ

مهمًا هو أن نظل جيرانًا إلى أن تُحَلَ المشكلة، وهى ليست مشكلة من وجهة نظرى، وإنما هى عدوان لأن اغتصاب أرض دولة هو عدوان وقهر وظلم.

متى فى رأيك تقوم العلاقات الطبيعية مع إسرائيل؟

لا أتخيل الآن قيام هذه العلاقات بين كتاب مصر وفنانيها مع إسرائيل وهى مازالت محتلة الجولان، وجنوب لبنان ومازالت تسومُ الفلسطينيين سُوءَ العذاب، وعند أي حادث فردى تعاقب الشعب الفلسطينى كله، والسلام الذي وقع بينها وبين السلطة الفلسطينية هى التي استفادت منه، بشهادة صندوق النقد الدولى، الذي أكد فى تقريره أن حالة الفلسطينيين بعد أوسلو هى أن دخل الفلسطينى انخفض إلى الخمس وقل عدد العاملين من 150 ألفًا إلى 25 ألفًا، فى الوقت الذي زاد فيه دخل المواطن الإسرائيلى من 11 ألف دولار فى السنة إلى 19 ألف دولار والاستثمارات زادت بنسبة ستة أمثال، معنى هذا أن الذي استفاد مما يزعم أنه سلام هى إسرائيل ولا أحد غيرها، وذلك نتيجة تخفيف قبضة العرب عليها، وفك المقاطعة والدخول فى بدايات تطبيع من بعض الحكومات، فى حين أن العلاقات الطبيعية لا تقوم إلا بين دولتين لا تعتدى إحداهما على الأخرى ولا تحتل أرضها.

مصر بينها وبين إسرائيل معاهدة سلام، وهناك التزام متبادل بينهما؟

هذا ما يردده بعض المصريين، فمصر لم تكن طوال تاريخها منعزلة عن عالمها العربى وحروب إسرائيل التي فقدت فيها مصر 100 ألف شهيد كانت من أجل الأمن المصرى الذي هو جزء من الأمن العربي، والقضية الفلسطينية هى قضية عربية وقضية مصرية وإسرائيل تهدف إلى سيادة المنطقة سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا.

معنى هذا أنك تخشى إسرائيل؟

لا أخشى إسرائيل، نحن نضن عليها أن تكون بيننا وبينها علاقات طبيعية، ولا يمكن أن تقوم معها علاقات فى مجال الثقافة، فى مصر مليون شخص يعملون فى مجالات الثقافة المتنوعة هذا العدد يعادل ثلث الشعب الإسرائيلى وبهذا لا يمكن أبدًا أن أخاف منها.

ما تعليقك بصفتك رئيسًا لاتحاد كتاب مصر على ما قاله على سالم بأن المثقفين المصريين يشعرون بالضآلة، أمام إسرائيل ولهذا يكرهونها؟

هذا كلام فارغ يصدر عن كاتب مفلس لا يفعل شيئًا سوى الكلام الفارغ، المثقفون المصريون لا يشعرون بالضآلة بل يشعرون بالقوة وبالتفوق ونشعر أنها لا تستحق «إسرائيل» أن يكون بيننا وبينها علاقات، استصغارًا لشأنها واستهانة بها وعدم الاعتراف بأن لها ثقلًا ويعلم سالم أن اتحاد كتاب إسرائيل

به 9 ثقافات، هم لم يفلحوا بعد فى التطبيع داخل اتحاد كُتَّابهم، لأن الكيان الإسرائيلى يضم ثقافات متباعدة ولا يوجد مسرح إسرائيلى ولا سينما إسرائيلية، هناك يهود، واليهود لا توجد بيننا وبينهم مشكلة، وإسرائيل ليس لديها شىء نبكى عليه، والتطبيع ميزة تحصل عليها إسرائيل دون أن تدفع مقابلًا، ونحن لا نريد أن تدفع وإنما فقط نطالب بأن تعيد للعرب حقوقهم.

إلى أي مدى تختلف معه فى ترديده الدائم بأن الـ 20 كاتبًا وصحفيًا الذين زاروا إسرائيل يمثلون 80 فى المائة من كتاب مصر لأنهم الأكثر تأثيرًا فى المجتمع؟

أختلف معه كل الاختلاف والذي يتحدث عنهم غير مؤثرين بالمرة، هو شخصيا ما الذي أثر به فى المجتمع المصرى، على سالم كان زمان هناك كاتب مسرح اسمه على سالم، أما الآن هو فشل فشلًا ذريعًا فى إقناع أحد بأن يزور إسرائيل وهو نفسه قبل غيره يعلم أنه غير مؤثر وأن الآخرين الذين يتحدث عنهم مثله، كتاب مصر وصحافيوها لن يسافروا إلى إسرائيل قبل أن تغير من سياستها ونظرتها وإعادتها للحقوق.

معنى هذا أنك لن تسمح طالما أنت رئيس مهرجان القاهرة السينمائى بمشاركة إسرائيلية فيه؟

لن أسمح إلا بعد وجود علاقات طبيعية ولن تكون هذه العلاقات إلا بعد انسحابها من الجولان وجنوب لبنان وحل المشكلة الفلسطينية، قبل ذلك لا.

لماذا طلبت مساندة الأقلام لاتحاد كتاب مصر مؤخرًا هل تخشى هجومًا عليك؟

ليس لهذا السبب وإنما لمعرفتى السابقة بأن هناك عزلة كانت قائمة بين الاتحاد والكتاب وإن اتحاد كتاب مصر الآن بدأ يتصدى لقضايا حرية التعبير ويقف فى وجه بعض الهيئات التي تعطى نفسها الحق فى مصادرة الكتب وبالتالى سيدخل الاتحاد فى معارك ويحتاج - بالطبع - المساندة.

هل تتوقع أن يثير عرض مسرحيتك الجديدة «المحروسة 2015» اعتراضًا إسرائيليًا عليها؟

لم أفكر فى هذا الأمر ولا يهمنى اعتراض إسرائيل أساسًا والمسرحية ستعرض فى المسرح القومى خلال شهر نوفمبر المقبل وهى تناقش التطبيع، وهى جزء ثالث مختلف عن المسرحية الأولى المحروسة والتي كتبتها عام 1960، وقدمت فى عام 1961، وكان زمنها المسرحى عام 1950، وكانت الأرض هى المحروسة ملك الخاصة المَلَكِية، والعلاقات داخل هذه الأرض تمثل محنة للفلاحين وهى إرهاص لثورة يوليو وفى عام 1985، كتبت

مسلسلًا تلفزيونيا اسمه «المحروسة 85» وكانت أرض الملكية انتقلت إلى هيئة الإصلاح الزراعى وأنا عارضت الإصلاح الزراعى، لأننى كنت متصورًا أنه سيكون هيئة مؤقتة توزع الأرض على الفلاحين، فإذا بها تنقلب إلى وزارة وخلقت بيروقراطية جديدة، وانتقدت هذا الكلام فى المسلسل، أما المحروسة 2015 هى الأرض نفسها التي كانت فى الأولى ملك الملك، ثم فى الثانية ملك الإصلاح فى المسرحية الأخيرة أصبحت الآن ملك الشركة المصرية الإسرائيلية للزراعة، وأنا أرى أن التطبيع حصل وأن هناك مشروعات مشتركة فى مجال الزراعة وأن رئيس مجلس إدارة هذه الشركة هو إسرائيلى يعيش فى قرية المحروسة والمسرحية تعرض للعلاقات التي ستنشأ بين المصريين والإسرائيليين فى عام 2015، إذا تم التطبيع كما كتبته فى المسرحية، وهى عمل فنى موجه ضد إسرائيل من وجهة نظرى.

أنصار التطبيع يعترضون على الهجوم الذي يشنه الكتاب فى مصر على أنصار السلام داخل إسرائيل؟

من هم دعاة السلام الذين يتحدثون عنهم؟! إذا كانوا يقصدون أن أعضاء حزب العمل الإسرائيلى فهم دعاة سلام، هم مخطئون لأن لو كان نتنياهو رجل حرب، فليس معنى هذا أن بيريز رجل سلام، بيريز هو صاحب مذبحة قانا وهو وراء بناء أغلب المستوطنات فى القدس، وهدفهما واحد ولكن الاختلاف بينهما فقط فى الوسيلة.

ولكن هل تختلف أنت مع الرأي القائل أن حماس هى التي قذفت نتنياهو إلى السلطة؟

إطلاقا، الإسرائيليون هم الذين انتخبوا نتنياهو وحماس وأعضاؤها يدافعون عن أرضهم المحتلة.

هل قرأت رأي على سالم الذي قال فيه: إن إسرائيل لا تلجأ إلى الحرب إلا إذا كانت خيارًا وحيدًا؟

نعم، وتعجبت من هذا الكلام الغريب والذي لا يقوله أحد داخل إسرائيل وإنما يصدر من الأخ على سالم وعندما نرجع إلى حروب إسرائيل نجد أنها خاضت حرب 1956، دون أن يكون لديها سبب، فهذه الحرب كما هو معروف دخلتها إنجلترا وفرنسا لعقاب عبد الناصر على قرار تأميم القناة، فلماذا دخلتها إسرائيل؟ أما حرب 67، فكانت مؤامرة من جانبها لتصفية عبد الناصر وضربه، وما الذي استفز إسرائيل حتى تحتل جنوب لبنان وتضرب المفاعل الذرى العراقى وتتسبب فى مأساة صابرا وشاتيلا؟! مأساة دير ياسين، هذا دفاع عن إسرائيل غريب جدًا، وللأسف هناك كُتَّاب داخل إسرائيل يدينونها ونتنياهو فى كتابه «مكان تحت الشمس» يسمى السلام سلام الردع ويقول إن العرب لا

يلجأون إلى السلم إلا إذا رُدِعُوا ويقول: حتى الرئيس أنور السادات لم يذهب إلى إسرائيل ولم يختر السلام إلا بعد أن هُزِمَ فى عام 1973 لأن رئيس وزراء إسرائيل يعتبر حرب 1973 هزيمة لمصر وهذه أكبر المغالطات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جمال بدوى

بعد حوار سعد الدين وهبة كان مخططًا أن نستكمل سلسلة الحوارات عن التطبيع. غير أن حدث استقالة الكاتب الصحفي جمال بدوي من رئاسة تحرير جريدة الوفد أشهر الصحف المصرية المعارضة فى ذلك الوقت، فرض نفسه بقوة وسعيت إلى إجراء مقابلة معه، كان قد تقدم باستقالته من رئاسة تحرير الوفد بشكل مفاجئ، مما أثار الكثير من التساؤلات حول المبررات والأسباب وهل ستتأثر الصحيفة؟

اتصلت به تلفونيا وجاء على الطرف الثاني نجله الذي أخبرني بأنه سافر إلى الإسكندرية من أجل الخلود إلى الراحة بعض الشئ.

طلبت رقم هاتفه فى شقة الإسكندرية وتواصلت معه وعرضت عليه زيارته فى الإسكندرية يومها تعجب من الإصرار، لكنه لم يرفض وأعطاني العنوان، كان يمتلك شقة فى منطقة المنتزه تطل على المنتزه وذهبت إليه وأجريت الحوار معه وبعد انتهاء الحوار وجه لى الدعوة لتناول الغداء فى أحد المطاعم بالإسكندرية، لكننى اعتذرت عن عدم قبول الدعوة، حيث كان ينتظرنى على الغداء الزميل الصحفى علاء رياض فى نادى السيارات لتناول الغداء معه.

فى هذا الحوار حافظ الكاتب جمال بدوى على خصوصية العلاقة مع فؤاد باشا سراج الدين رئيس حزب الوفد، وتحدث عن سنواته مع جريدة الوفد والحزب ولكنه فى النهاية حسم الأمر بنهاية علاقته بالحزب والصحيفة، كما أبدى رأيه فى قضية التطبيع وقضايا الحسبة التي كانت تملأ ساحات المحاكم.

وقال: منذ أول يوم توليت فيه منصب رئيس تحرير الوفد كنت جاهزا لترك المنصب، لأننى من مدرسة تنتمى إلى كراهية القيود والمناصب، ومدرستى تعتقد أن الصحفى والكاتب إنما يقوم بما يكتب وبما يفرز وبما ينتج من آداب ومن علم وليس بالمنصب إطلاقا و المصادفة البحتة هى التي وضعتنى فى موقع رئيس التحرير بعد وفاة أخى رئيس التحرير السابق الكاتب مصطفى شردى.

فى هذا الوقت كانت تنتشر ظاهرة ما يسمى بالصحافة الصفراء، وكان ينتقدها فى مقالاته وقال: إن معركة الصحافة الصفراء كانت بمساندة من رئيس الحزب ولم يعترض على أي معركة أنا دخلت فيها هذا للحق وللتاريخ،

وكأن فؤاد باشا سراج الدين يرسم سياسة الصحيفة، وأنا أنفذها ومسئول عنها وأمين عليها ولم يحدث أن نشب اختلاف فى شئون السياسة إلا فى بعض الأحايين عندما أكتب شيئا له نكهة خاصة أو له حساسية كنت أعرضه عليه قبل النشر.

من مواليد محافظة الغربية 12 فبراير 1934

توفى فى 31 ديسمبر 2007 عن عمر 73 سنة

نشر الحوار تحت عنوان «جمال بدوى: الحياة مع الوفد مستحيلة،

الباشا كان يخطط.. وكان يراجع مقالاتي»

والمقدمة «مثلما كان مثيرا للجدل وهو رئيس تحرير صحيفة الوفد - أكبر صحف المعارضة فى مصر - أراد الكاتب الصحفى جمال بدوى أن تكون نهاية علاقته بالصحيفة وربما بحزب الوفد أكثر إثارة، إذ فاجأ الجميع بمن فيهم رئيس حزب الوفد فؤاد سراج الدين باستقالته الشفهية، ومنذ الاستقالة والجدل لم يتوقف لحظة حول المبررات التي جعلت رئيس تحرير الوفد يترك منصبه فى هذا التوقيت ودون مقدمات، وربط البعض بينها وبين اشتداد الصراع والخلافات داخل الصحيفة والحزب على السواء وطالت الاتهامات الوفدية جمال بدوى وربط تلك الاتهامات بين استقالته وانتظار قرار تعيينه عضوا بمجلس الشوري.

حول علاقته المثيرة مع فؤاد سراج الدين والتي امتدت عبر 14عاما كاملة، ظل خلالها رئيسا لتحرير الوفد تحدث بصراحة وتطرق الحوار معه إلى علاقته الشائكة بالإخوان المسلمين وهجومه الحاد على الدكتور سعد الدين إبراهيم، وحقيقة علاقته بأيمن نور

<لماذا الطلاق الآن من الوفد؟

الطلاق يحدث عندما يصل الإنسان إلى نقطة اللاعودة أو عندما يتأكد من صعوبة استمرار الحياة بين طرفين وأنا منذ 14 عاما أشغل منصب رئيس تحرير جريدة الوفد وتلك فترة كافية جدا خاصة أن رئاسة التحرير وظيفة لها تقاليد وقيود وأنا لا أحب القيود.

>نقطة اللاعودة مَنْ الذي أوجدها؟

التعارض الشديد بين الفكر الذي يملأ رأسى والواقع الذي أعيشه، وطموحى كان ولايزال فى أن أتفرغ للكتابة فقط وأن أكون كاتبا دون أن يُلصَقَ اسمى بلقب وهذا صعب أن يتحقق فى ظل منصب رئيس التحرير.

>معنى هذا أن الاستقالة لم تكن وراءها خلافات مع رئيس حزب الوفد فؤاد سراج الدين؟

لا توجد أي خلافات وإنما التعارض بين ما أريده وبين ما هو كائن.

>كم مرة من قبل تقدمت باستقالتك؟

مرتين وكانت لهما ظروف وأسباب خاصة بالعمل ولكن «العِشرةَ» وإعطاء الفرصة حالا دون الاستمرار فى الاستقالة.

>ما ردك على من يربط بين الاستقالة وقرار محتمل بتعيينك عضوا بمجلس الشوري؟

من يقول هذا الكلام يهدف إلى تشويه صورتي أمام الناس، لأنه يعنى أننى أبيع الانتماء الحزبي من أجل عضوية مجلس الشوري.

>ولكن من أين أتى هذا الربط؟

هى عملية استنتاجات وتوقعات، لأن أقرب حدث قادم سيكون هو التعيين فى مجلس الشورى ولو كان هناك حدث آخر، لتم معه الربط أيضا وحتى الآن لم يستسغ أحد فكرة أننى أطمح إلى التحرر من قيود المنصب.

>فى حالة حدوث تعيينك هل ترحب؟

أعتقد أن لكل حادث حديثا

>هل الاستقالة مقصورة على رئاسة التحرير أم عضوية الحزب أيضا؟

أنا استقلت فقط من رئاسة تحرير جريدة الوفد وحتى هذه اللحظة مازلت عضوا فى الهيئة العليا للحزب.

>هل واجهت معارضة من داخل الحزب بسبب هجومك المتواصل على الصحف الصغيرة الشهيرة بالصفراء؟

إطلاقا، لأن معركة الصحافة الصفراء كانت بمساندة من رئيس الحزب ولم يعترض على أي معركة أنا دخلت فيها، هذا للحق وللتاريخ وكان فؤاد باشا سراج الدين يرسم سياسة الصحيفة وأنا أنفذها ومسئول عنها وأمين عليها ولم يحدث أن نشب اختلاف فى شئون السياسة.

>لكن السياسة التحريرية للصحيفة من الذي كان يرسمها؟

ما المقصود بالسياسة التحريرية؟

>ما ينشر بها؟

أنا رئيس التحرير والرجل لم يتدخل إطلاقا.

>وهل كان يراجع مقالاتك؟

فى بعض الأحايين عندما أكتب شيئا له نكهة خاصة أو له حساسية كنت أعرضه عليه قبل النشر.

>وهل حدث أن اعترض على نشر مقال بعينه؟

لم يحدث.

>ألم يحدث أن رشحت من يخلفك فى رئاسة التحرير؟

لماذا أرشح؟ الصحيفة بها كفاءات على درجة عالية جدا.. وأنا فخور بهذا، وأزعم أننى أعددت جيلا كاملا من الأكْفَاء لأننى كنت مستعدا لهذا اليوم.

>منذ متى كنتَ مستعدا للرحيل؟

منذ أول يوم، لأننى من مدرسة تنتمى إلى كراهية القيود والمناصب ومدرستى تعتقد أن الصحفى والكاتب إنما يقوم بما يكتب وبما يفرز وبما ينتج من آداب ومن علم وليس بالمنصب إطلاقا والمصادفة البحتة هى التي وضعتنى فى موقع رئيس التحرير بعد وفاة أخى رئيس التحرير السابق الكاتب مصطفى شردي.

>عفوا معنى هذا أنك رئيس تحرير بالمصادفة؟

الموت مصادفة هو مات وأنا توليت مكانه ولا أخفى عليك أن أي إنسان يحب المنصب لكن فى أعماقى أفضل عدم التقيد ومنذ أول يوم أعددت طاقما من المساعدين بحيث لا تتوقف الوفد لوفاة أحد أو لاستقالة آخر.

>إذن أنت تعارض فكرة الاستعانة بصحف من خارج الصحيفة لتولى رئاسة تحريرها؟

لم أفكر فى أن يتولى شخص من الخارج، لأن الجريدة بها قياداتها والصف الثانى مليء بالكوادر الذي يمكن لأي منها أن يتولى المسئولية.

>هل تتذكر أرقام توزيع صحيفة الوفد عندما توليت مسئوليتها؟

نعم وكانت عالية.

>وهل استمرت الأرقام العالية؟

لم تستمر.

>ما السبب برأيك فى عدم استمرارها؟

السبب هو أن الصحيفة الأسبوعية تكون أكثر إنتشارا وما حدث ليس فى عهدى وحدى وإنما حدث أيضا فى عهد مصطفى شردى، عندما تحولت الوفد إلى صحيفة يومية، لأن الجريدة الأسبوعية لها طعم خاص، إضافةً إلى أن السوق الصحفية ازدحمت بعدد كبير من الجرائد والمنافسة ضخمة وهذا وضع طبيعى فى ظل ارتفاع الأسعار والقوة الشرائية الضعيفة، ومع الأزمات الموجودة والكساد، ومن الطبيعى أن تتعدد أمام القاريء العروض الصحيفية.

>طالما تتحدث عن المنافسة، ما الصحف التي كانت تتنافس معها الوفد؟

الوفد كانت فى منافسة مع صحيفتين، الأولى اسمها «الأهرام» والثانية اسمها «الأخبار».

>وماذا عن الجمهورية؟

وطبعا الجمهورية بدون شك..ولكن المنافسة الحقيقية كانت مع الأهرام والأخبار.

>ألهذا واجهت اتهاما بأنك حولت الوفد إلى صحيفة قومية فى عهدك؟

هذا شرف عظيم لى ولكن ما الذي تقصده بمفهوم القومية؟ هل تقصد أنها صحيفة حكومية؟

>نعم الاتهام أعتقد أنه يشير إلى ذلك؟

إذن أنا اعترض على ذلك، لأننى لم أجعل من الوفد صحيفة حكومية وإنما جعلت منها صحيفة قومية وضعت قضايا الوطن الكبرى فى الصدارة، هى قومية وليست حكومية.

>ما مفهومك للمعارضة؟

أن يكون لها برنامج واضح وصريح لما تتخيله للإصلاح السياسي والدستوري والاقتصادي وإذا حدث أن الحكومة نفذت شيئا يتفق مع هذا الإصلاح العام، فضروري أن تؤيده وعندما ترتكب الحكومة خطأ تقاومه.

>إلى أي مدى تتفق مع من يرى أن الأحزاب المصرية بما فيها الوفد ما هى إلا صحف تصدر فقط؟

الأحزاب تاريخيا فى مصر نشأت فى رحم الصحف.

>وهل هذا الكلام ينطبق على حزب الوفد؟

حزب الوفد قديم وله وجود قبل أن تولد صحيفته بـ 70 عاما ولا أستطيع أن أقول إن حزب الوفد وُلد فى رحم الصحيفة، ما أقصده أن هناك أحزابا

تاريخية مثل الإصلاح والوطن الذي أسسه مصطفى كامل والأمة - ليس حزب الشيخ الصباحى نشأت فى رحم الصحف وهذه ظاهرة تاريخية فى مصر، الصحف تنشأ قوية ثم يحدث الغليان السياسى فتظهر الأحزاب.

>كيف تنظر إلى صحيفة مايو لسان حال الحزب الوطني؟

أكبر دليل على مدى قوة الحزب الوطنى هو صحيفة «مايو» ومن خلالها يمكن أن تحكم على قوة الحزب.

>ما الفرق بين حزب الأمة التاريخى وحزب الأمة الذي يرأسه الآن الشيخ الصباحي؟

حزب الأمة الحالى متخصص فى قراءة الكف ورؤية المستقبل، أما حزب الأمة القديم فقد كان راسخا ويسمى بحزب أصحاب المصالح الحقيقية ولا توجد أدنى مقارنة بينه وبين حزب الودع الحالي.

>لماذا وصفت الدكتور سعد الدين إبراهيم بأنه يسعى لإحداث وقيعة بين الأقباط والمسلمين فى مصر؟

لأن التعليق الذي قام به على مشروع القانون الذي أصدره الكونجرس الأمريكى كله عبارة عن دسٍّ ومحاولة للوقيعة، خاصة فى ربطه بين ما يعانيه العرب والفلسطينيون على يد الإسرائيليين وبين وضع الأقباط فى مصر وهو يعلم قبل غيره أن الربط بين الوضعين خطأ فادح، لأن ما يعانيه الفلسطينيون على يد إسرائيل شيء يختلف تماما ولا يصلح أن يتماشى بما يحدث من خلافات ومشاحنات بين الإخوة داخل البيت الواحد.

>وهل يتساوى فى ذلك مع الدكتور ميلاد حنا؟

أنا أقدر الموقف الوطنى للدكتور ميلاد حنا برغم أنه يجنح أحيانا فى الحديث حول هذا الموضوع ولكن لا يمكن أن أتهمه بسوء النية.

>لماذا يأخذ عليك البعض أنك تتبنى وجهة نظر الإخوان المسلمين؟

لأنى أنا من الإخوان المسلمين وتربيت فى أحضان الإخوان.

>وهل لاتزال من الإخوان؟

لا طبعا، ولكن الذي ماأزال فيه هو الإنتماء إلى مفهوم معين للإسلام لا يحصره «فى المسجد» و«الميضة» والوضوء والفروض، الإسلام أشمل وأعظم من كل هذا، لأنه نظامُ حياةٍ ينظم حياةَ الكون والبشر، هذا هو مفهومى للإسلام.

>وهل هذا هو مفهوم الإخوان؟

إذا كنت تريد أن تعتبره مفهوم الإخوان اعتبره هو مفهومى، فى النهاية هذا الدين العظيم لا نستطيع أن نحصره داخل الأطر التي تريد أن تفرضها المجتمعات الأوروبية، نحن نختلف عنها هناك يوجد فصل ما بين الكنيسة وبين الدولة لأنه هناك عندهم كهنوت، فى الإسلام لا يوجد ذلك ولا توجد الطبقة الوسيطة بين الخالق والمخلوق وأنا أستطيع أن أقابل الله خمس مرات فى اليوم بدون إذن من أحد هذه فروق، الأوروبيون غير قادرين على فهمها والمستشرقون عندنا للأسف تأثرو بالفكر الغربي.

>ولهذا جاء موقفك مطابقا تماما للإخوان فى قضية الدكتور نصر حامد أبو زيد؟

هذه من المحطات الصغيرة التي لا تستحق الضجة المفتعلة بشأنها وهذه من الأشياء التي تشككنى فى المؤسسات الغربية ويكفى أن «أشير إلى أن أبو زيد كان يطمح فى افتعال هذه الضجة وللأسف بعض رواد الفرقعات الدينية والفكرية فى مصر أرادوا أن يصنعوا منه «جون دارك».

>وهل أنت تؤيد البعض القليل الذي يطالب بإنشاء حزب سياسى للإخوان؟

العمل السياسى يجب أن يُتاح لكل إنسان، هم كمواطنين مصريين من حقهم أن يمارسوا العمل السياسى وهذا لو حدث يمكن من خلاله نزع ما لدى الإخوان - كما يقال - من نزعات مثل العنف والبعد عن المجتمع، لأن الاندماج داخل المجتمع هو الأفضل ولا يصح أن نعزل الإخوان عن بقية الجماعة السياسية المصرية والبرلمان ليس الأزهر ولا الكنيسة.

>لماذا هاجمت الدكتور فتحى سرور عندما كشف عجز الأحزاب عن تربية الشباب سياسيا؟

أنا لم أهاجمه ولكنى طلبت منه عدم تجاهل الأسباب التي تَحوُلُ دون مشاركة الشباب فى الحياة السياسية وهو يعرف الأسباب جيدا فلماذا يتجاهلها؟

>بهذه المناسبة من كان على حق فى التراشق بالكلمات الذي جرى بينه وبين الوزير كمال الشاذلى حول تلك القضية؟

الدكتور سرور تكلم من وجهة نظر الناقد ولكن تجاهل مسببات الظاهرة وكمال الشاذلى تكلم بما يمليه عليه منصبه وموقعه كمسئول سياسي.

>بصراحة هل يزعجك أن تسند رئاسة تحرير الوفد إلى الشاب أيمن نور؟

أيمن من حقه أن يطمح إلى هذا ولكن السؤال هل جاء ليسلب منى موقعى؟! أنا الذي تركت الكرسى وبالمناسبة أيمن اعتبره ابني.

>هل كنت تتوقع حذف اسمك من على الصحيفة بهذه السرعة؟

الذي حسم ذلك فى تقديرى هو الخبر الذي نُشر فى صحيفة الأخبار عن استقالتي وبهذا تأكد «الباشا» بأننى اتخذت قرارى النهائي.

>معنى هذا أنه لم يحاول معك حتى تعدل عن قرارك؟

حاول كثيرا ولكننى كنت قد اتخذت قرارى النهائى الذي لا رجعة فيه.

>ما السبب الحقيقى لعدم نية الرجوع؟

درجة التشبع من عدم الاحتمال.

>ما الذي سيختلف فى قلمك بعد عودتك إلى أخبار اليوم.

لا شيء، الرجل هو «الرجل» إلا إذا اختلف الرجل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أسامة أنور عكاشة

ذهبت إلى الإسكندرية لإجراء حوار مع الكاتب والمؤلف أسامة أنور عكاشة لاستطلاع رأيه فى تبنى بعض الكُتَّاب قضية التطبيع، باعتباره من أشد المعارضين لهم وصاحب المواقف المتشددة ضد إسرائيل ومبادرة السلام.

وتقييمه لموقف على سالم خصوصًا وأن الكاتبة صافيناز كاظم كانت قد أجرت حوارًا للمجلة وانتقدت فيه أسامة أنور عكاشة.

عندما اتصلت به على هاتف المنزل أخبرني بأنه سيكون بعد ساعات فى شقته بالإسكندرية، المدينة التي يعشقها ويقضى فيها أوقاتا طويلة من العام يكتب، ويتأمل وعلق قائلا أنا أسكن فى أول طريق الإسكندرية القاهرة وفى نهاية الطريق بالإسكندرية شقتي فى منطقة المعمورة.

فى الإسكندرية استقبلني بكل الود وتحدث عن مشروع عمره الذي- لم ينجزه - وهو كتابة فيلم عن انتصار أكتوبر 73، كان متحمسا إلى أبعد حد لكتابة الفيلم عن انتصار أكتوبر، لكنه كان عاتبا على الرئيس السادات فى موضوع السلام وقال فى الحوار إنه أعطى لليهود قبل المفاوضات كل ما يريدون، فهو ذهب إلى القدس، واعترفت مصر بإسرائيل، ويكفى هنا ما قاله هنري كيسنجر - وزير خارجية أمريكا - فى مذكراته عن مفاوضات فض الاشتباك، إنه دُهش عقب اجتماعه بالسادات فى أسوان عندما فوجئ بالتنازلات التي لم تكن تحلم بها جولدا مائير - رئيسة وزراء إسرائيل. وقدمها السادات.

واعترف أن أعماله الأدبية المكتوبة لم تحقق الرواج وقال إن النُسخ موجودة، ولكن أين القراء وعن التراشق بينه وبين الكاتبة صافيناز كاظم قال لماذا تضعني فى رأسها منذ زمن، ربما تراني أحد المفسدين فى الأرض، أو تراني رجلا لستُ جديرًا بأن تُكتَبَ عنى كلمة طيبة، ولكن هى فى حد ذاتها حالة فريدة من نوعها وتشعر بنوع من الغيرة ضد الإبداع، لأنها ليست مبدعة، وهى سيدة تكتب فى النقد أحيانا، وفى الموضوعات العامة كثيرا، وهذا ما يجعلها تحس بعداء.

كل من تعامل مع أسامة أنور عكاشة من الزملاء الصحفيين قطعا يشهد له بالبساطة، يرد على التليفون فى كل وقت لا يعتذر عن عدم إجراء المقابلات، بما فيها التلفزيونية ولا يطلب أي شيء قياسا بكتاب وفنانين يشترطون مقابل مالي كبير نظير الظهور على الشاشة. ويعد عكاشة أحد أهم المؤلفين وكتاب السيناريو فى الدراما المصرية والعربية وتعتبر أعماله التلفزيونية الأهم والأكثر متابعة فى مصر والعالم العربي، وهو من مواليد 27 يوليو 1941 فى مدينة طنطا محافظة الغربية وتخرج فى كلية الآداب عام 1962 توفى فى مستشفى وادى النيل بالقاهرة عن عمر يناهز 69 عامًا يوم28 مايو 2010

جاء عنوان الحوار أسامة أنور عكاشة: «كنا خلال حرب أكتوبر ساداتيين حتى النخاع».

ذكرت فى المقدمة «»فتح أسامة أنور عكاشة صندوق آرائه الجريئة، والواضحة وانطلق محاربا على جميع الجبهات، فقال رأيه فى الناصرية، والساداتية، وقال كلمته فى كل من هاجموه سابقا - وربما لاحقا - فكانت الأسماء محور الحوار، بداية من صافيناز كاظم، ومرورا بـ ممدوح الليثى وعلى سالم ونور الشريف، وجلال دويدار.. وصولا إلى أنيس منصور.

حاولت أن تكون البداية هادئة فسألته عن سيناريو فيلم أكتوبر «أبواب الفجر» خاصة وأن الجدل المثار حوله توقف؟

بعد الحملة الشرسة التي انفجرت فى وجهى صممت على أن أشرع فى كتابة هذا الفيلم على مهلى ودون أن تدفعنى هذه الحملة للإسراع به وقررت أن أكتبه بالطريقة التي أراها ودون تعجل منى، الآن المسألة تعدت إطار أننى أكتب فيلما عن حدث قومى بأهمية انتصار أكتوبر إلى مسألة التحدى الفنى، وأحسست أن هناك فِرَقًا من حملة السكاكين والسيوف تنتظرنى على نواصى الشوارع وطالما قبلت التحدى فعلىَّ أن آخذ وقتى بالكامل، ولن يدفعنى أحد للإسراع بالفيلم خوفا من أنه لا ينفذ.

معنى هذا أنك لم تبدأ بعد فى الكتابة؟

لا أنا بدأت الكتابة بتأن وليس بتكاسل.

وهل زالت الخصومة المعلنة بينك وبين الكاتب أنيس منصور التي حدثت بسببه؟

لم أهاجم أنيس منصور ولكنه هو الذي بدأ وهاجمنى بكلام يقع تحت طائلة قانون العقوبات، ومع هذا سكت لأننى ليس لدى وقت أبدده فى الدعاوى القضائية ومع هذا لم يتوقف لحظة واحدة عن الهجوم علىَّ معتبرا، أننى واحد من الناصريين الذين يجب استئصالهم وإعدامهم ولم أهاجمه.

ما مبرراتك التي تجعلك تعتقد إلى حد بعيد أن الصراع بين مصر وإسرائيل رغم السلام سيبقى قائما؟

الصراع لم ينته، وما يحدث الآن يمكن أن نسميه بالهدنة المؤقتة، والسلام المصرى الإسرائيلى لم يستطع أن ينهى الصراع، لأن هناك تناقضًا جوهريًا بين البلدين، وتحليلى أن مصر قوة فى المنطقة، بإمكانياتها البشرية والفكرية، وإسرائيل قوة تكنولوجية، وهى مفرزة من إفرازات الحضارة الغربية زُرِعتْ فى المنطقة وبذلك يصبح هناك قوتان، ولابد أن تتقاطع وتتعارض المصالح ولابد أن تسلم إحدى الدولتين للأخرى بالسيطرة والاستيلاء.

ولكن لماذا تغفل تأثير السلام على امتصاص هذا التناقض؟

أين السلام الذي تتحدث عنه، الذي يحدث الآن لعبة تشارك فيها أمريكا وإسرائيل.

معنى هذا أنك ستضمن «أبواب الفجر» على الأقل فى نهاية العمل هذا الاستنتاج؟

لا. لأن أبواب الفجر فيلم يرصد المعجزة التي قام بها الشعب المصري، وفكرته تتبلور فى كيفية تحويل هزيمة 1967 إلى انتصار فى أقل من 6 سنوات وهي فترة صغيرة فى عمر الأمم.

وهل لا تزال مصمما على رأيك بأن حرب أكتوبر ليست حرب الرئيس السادات وإنما هى انتصار الجنود المصريين؟

ليس تصميما بناء على رأي شخصى وإنما هو استقراء لحقائق؛ لأن القائد لم ينزل إلى جبهة القتال!!.

ولكنه يكفيه فقط شجاعة اتخاذ القرار؟

لا أحد يستطيع أن يسلب الرئيس السادات إنجازه ومجده فى اتخاذ قرار الحرب ولن أدخل فى متاهات وأقول: إن قرار الحرب كان حتميا ولازما ولكن

أقول: إنه امتلك شجاعة اتخاذ القرار ولهذا كنا جميعا فى عام 1973 «ساداتيين» ونحن شبهنا السادات بالملك أحمس الذي طرد الهكسوس ونحن اختلفنا معه بشكل جوهرى.

بمن تعنى بكلمة «نحن»؟

أعنى كل من يقف فى خندق معارض لتوجهات السادات ولا أريد أن أُقوِّم المسألة وأحددها فى الناصريين، لأننى ضد هذه التسمية والسادات أعطى لليهود قبل المفاوضات كل ما يريدون، فهو ذهب إلى القدس، واعترفت مصر بإسرائيل، ويكفى هنا ما قاله هنرى كيسنجر - وزير خارجية أمريكا - فى مذكراته عن مفاوضات فض الاشتباك، إنه دهش عقب اجتماعه بالسادات فى أسوان عندما فوجئ بالتنازلات التي كانت لا تحلم بها جولدا مائير - رئيسة وزراء إسرائيل. وقدمها السادات.

وهل لهذه الأسباب تكره السادات؟

على المستوى الشخصي لا أكره ولكن الكاتب ضمير وأتعجب من تكرار مقولة إننى ناصري فى حين لم أنتمِ إلى حزب من الأحزاب طوال عمرى وفى عز سطوة الاتحاد الاشتراكي، ولما كانت بطاقة العضوية فيه جواز المرور لأشياء كثيرة جدًا، منها تموين البيت، أنا لم أكن عضوا به، وعبد الناصر لم يكرمني وكنت خلال فترة حكمه معدما وموظفًا صغيرًا، والعكس حدث معي فى عهد السادات واستفدت على المستوى المادي من الانفتاح والسادات لم ينكل بى، إذن العنصر الشخصي منتفٍ تمامًا، ولو أن المصلحة الشخصية هى الغالبة لأصبحت ساداتيا حتى النخاع.

من الذي قال إن المبدع لا يكتب بحياد وأنت صدقته؟

المبدع لا يكتب بحياد.. الكاتب موقف والحياد معناه ألا تقول شيئا والحياد فى الفن أكذوبة.

قلت إنك كاتب اعتاد أن يختار معاركه وما المعركة التي اخترتها؟

معركتى مع الاتجاهات التي تحاول أن تنال من الشخصية المصرية، وكنت مستعدًا منذ البداية أن أتحمل تبعاتها.

وما تبعاتها؟

وصلت إلى حد محاربتى فى رزقى وتقبلت ذلك.

ولكن هل ندمت؟

لم أندم ولأول مرة أكشف أنه عُرض علىَّ تسوية الموضوع، ولكننى رفضت.

لماذا؟

ليس تكبرًا أو عندا، وإنما لأن المطلوب كان التراجع عما قلت وأن أعتذر.

وما صيغة الاعتذار؟

أن أكتب رسالة أقول فيها لم يكن قصدى ما قلت وهذا لم أستطع أن أفعله، وكثيرون اعترضوا على اندفاعى، ولكن أردت ألا أكون سلبيًا.

وهل لهذه الأسباب تحاملت على ممدوح الليثى فى أزمته الأخيرة؟

أنا لم أتحامل على ممدوح الليثى ولم أكتب ضده وإنما كتبت فيما يخص مهنتى والذي دفعنى للكتابة فى القضية موضوع ظهور سيناريست كتب مسلسل «شقة الحرية» الذي تقاضى عنه الليثى 500 ألف جنيه، ووجدت فى ذلك فرصة لكى أتناول موضوع «ورش السيناريو»

لماذا قلت إن الشعب المصرى لم يهزم فى عام 1967م؟

الشعب المصرى والجيش المصرى لم يُهزَم لأن الجيش لم تتح له فرصة حقيقية للقتال والجنود لم يحاربوا والصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كان أحد أسباب الهزيمة والهزيمة ضربة قدر أصابت مصر.

ما تعليقك على ما قاله عنك الكاتب جلال دويدار رئيس تحرير جريدة الأخبار بأنك مؤرخ مسموح له بممارسة الظلم على أي من زعمائنا؟

أنا لست مؤرخًا وما قاله غير صحيح ولو ادعيت أننى أكتب التاريخ لأصبحت كاذبًا ويبدو أنه استسهل كلمة مؤرخ.

ولكن هل ترى أن كلمة مؤرخ تنطبق تماما على الدكتور عبدالعظيم رمضان؟

أرجو أن تعفينى من الكلام فى حالة الدكتور عبدالعظيم رمضان، لا لشىء سوى أننى كما قلت: أختار معاركى، الدكتور لا يحتاج إلى معارك إضافية، هو يُعَامَلُ على أنه مؤرخ وكفى.

ولكن كتاباته عن عبد الناصر، هل تندرج من وجهة نظرك تحت مسمى التأريخ؟

هل تأذن لى أن أحذف اسمى من مقولة جلال دويدار، ونضع بدلا منه اسم الدكتور رمضان، لأن المقولة تنطبق عليه تماما، وهو الذي مارس الظلم على زعماء مصر.

موقف الكاتب على سالم المعلن من التطبيع مع إسرائيل، إلى أي حد يزعجك؟

على سالم كاتب مسرح موهوب، أعتقد أنه حين نفد رصيده من الكتابة المسرحية، بدأ يكتب فى السياسية، وأشياء أخرى، وليته استمر كاتبا مسرحيا، والغريب أنه يحاول أن يفرض رأيه، ويعلن بجرأة غريبة عن ضرورة أن توضع قائمة سوداء لكل معارضى التطبيع، وبهذا أعطى لنفسه الحق فى أن يحجر على آراء الآخرين، أعتقد أنه أخطأ كثيرًا، وارتكب ما سموه فى الدراما الإغريقية، بالخطأ التراجيدي، الذي يحكم مصير البطل، وأعتقد أنه لن يكون بمقدوره الآن أن يتواءم مع نفسه، فضلا عن أنه وضع نفسه فى مواجهة مع مشاعر أمته ومصالحها.

لماذا تكرر أنك تقدمى ولست ناصريا؟

لأننى أصلا ضد تسميته الناصرية.

ماذا تعنى التقدمية؟

أقصد معناها اللغوى، وهو الحركة إلى الأمام، ولا أعنى أننى شيوعى بالطبع.

نادرا ما يتردد اسم الرئيس محمد نجيب، عندما يتردد هل يعنى لك شيئا؟

يعنى الصورة الرومانسية الجميلة لثورة يوليو 1952.

ولكن المعاملة القاسية التي تعرض لها من الرئيس عبد الناصر، هل أثرت قليلا على حبك لعبد الناصر؟

ليس وحده الذي عومل بقسوة حسبما أشرت، لأن الثورات كما يقال، تأكل أبناءها، وحسابات السياسة لا علاقة لها بالرومانسيات، الثورات بحكم طبيعتها فعل عنيف.

إلى أي مدى أسعدك رأي الكاتب نجيب محفوظ، عندما قال عنك: إنك روائي الملايين، الذي نقل الأدب المكتوب إلى من لا يقرأ ولا يكتب؟

ما قاله اعتبره طوق تكريم لا أحلم به.

ولكن هل صحوت من حُلمك الطويل، بأن تصبح يوما أحسن مؤلف سينمائي؟

أنا ضد أفعل التفضيل، فى الفن لا يجوز هذا، والفن ليس فيه كلمة أخيرة.

ولكنك قلت من قبل: إنك صاحب أفضل أعمال قدمها التليفزيون المصري؟

النقاد هم الذين قالوا ذلك.

وهل حقا أعمالك الأدبية المكتوبة لم تبع منها نسخة واحدة؟

النسخ موجودة، ولكن أين القراء.

ولكن أعمال نجيب محفوظ ويوسف إدريس وتوفيق الحكيم، وآخرين لها قراء؟

هؤلاء حفروا فى الصخر، وشهرتهم ذاعت بعد ظهور رواياتهم فى السينما، وكان هناك خلط كبير بين اسم نجيب محفوظ، والطبيب نجيب باشا محفوظ، وكان الطبيب أشهر من الكاتب.

لماذا التراشق بالكلمات الجارحة بينك وبين الكاتبة صافيناز كاظم؟

أنا لا أعرف لماذا تضعني فى رأسها منذ زمن، ربما تراني أحد المفسدين فى الأرض، أو تراني رجلا لست جديرًا بأن تُكتَبَ عنى كلمة طيبة، ولكن هى فى حد ذاتها حالة فريدة من نوعها.

ماذا تقصد بكلمة حالة؟

أرجو أن تسأل المتخصصين، حتى لا أبدو متأثرا بهجومها علىَّ، وهى حالة فريدة من حيث تاريخها والتقلبات الكثيرة التي مرت بها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وأعتقد أن أي كاتب من حقه أن يغير رأيه، ولكن فى حدود نسق فكرى معين، ولكن أن تنقلب من الضد إلى الضد بلا مبرر، فهذا دليل على أنها غير متوازنة، بالإضافة إلى أنها تشعر بنوع من الغيرة ضد الإبداع، لأنها ليست مبدعة، وهى سيدة تكتب فى النقد أحيانا، وفى الموضوعات العامة كثيرا، وهذا ما يجعلها تحس بعداء.

وهل قرأت ما قالته عنك فى «الأهرام العربي» بأن مسلسلاتك مثل رغيف الحواوشى، وأنها سبب أمراض الكبد؟

نعم.. قرأت ذلك وأرى أن السيدة صافيناز كاظم تجيد كلام المطبخ، وهى ليست ناقدة، وإنما طباخة فاشلة، وهى كانت عايشه فى زمن «السوتيه» ومازالت، والحقيقة أن كلامها ناقص ملح! وأمراض الكبد لم تنتشر بسبب الحواوشى ومسلسلاتى، وإنما الذي انتشر مع ظهور مقالاتها، هو مرض المرارة فى عهدها الجديد، والفترة التي توقَفَتْ فيها عن الكتابة، كانت الحالة الصحية فى مصر أفضل بكثير، وما دامت المسائل وصلت إلى تشبيهات المطبخ، يجب أن نكف جميعا عن الكلام، ونتفرغ للأكل، فهذا أفيد على الأقل من قراءة ما تكتبه هى، ويكفى أنها قالت: إن الثقافة الغربية ثقافة سوقية، وأعتقد أن لسانها كالعادة سبقها، وأنصحها أن تفكر ولو لدقيقة واحدة قبل الإجابة به، حتى لا تقع فى مغالطات منطقية.

لماذا قلت إن حزب الوفد الجديد كل ما فعله أنه استغل «العلامة التجارية» للوفد؟

لأن الحزب الآن مجرد صدى للماضى فقط، ويعتمد على قيادة تاريخية، هى فؤاد باشا سراج الدين، وعلى رصيد قديم عند الناس، دون أن يقدم شيئا للحاضر أو المستقبل.

هل ترى هناك أحزابا فى مصر يمكن أن تتوقف بالحديث عندها؟

لا يوجد حزب فى مصر الآن له جماهيرية.

هل زال الحرج الذي تسبب عندما رفضت أن يلعب الفنان عادل إمام بطولة مسلسل «أرابيسك»؟

لا يوجد حرج، ويجمعنى بعادل إمام تقدير متبادل، ومحاولة العمل معا فى «أرابيسك»، كانت محاولة لم يصادفها التوفيق، وكل ما حدث: أن عادل إمام كان مُصِّرًا أن يقرأ العمل بالكامل قبل أن يرتبط، وأنا رأيت فى هذا نوعًا من عدم الثقة بما أكتب، فافترقنا، وظل هو الفنان الذي أحبه، وأنا الكاتب الذي هو يقدره.

هل فيلم «أبواب الفجر» زاد كثيرًا من خصومك؟

لم يزد منهم، وإنما أظهر حجمهم.

وإلى أي مدى أغضبك رأي الفنان نور الشريف فيك؟

نور الشريف خاف من صحيفة «أخبار اليوم»، خاصة أنها هاجمته عندما لعب بطولة فيلم «ناجى العلى»، ولهذا هاجمنى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صلاح عيسى

هذا الحوار جرى مع الكاتب الصحفي صلاح عيسى فى منزله بعمارات الأوقاف بشارع أحمد عرابى بالمهندسين، كل من زاره فى هذه الشقة أصابته الدهشة من كم الكتب التي تملأ كل جدران الشقة وتبدأ من بابها وحتى كل ركن فيها وعندما سألته عن ذلك، قال تلك هى حياتى وسبب متاعبى مع زوجتى التي تطاردها الكتب.

كان موعد الحوار فى الرابعة بعد الظهر فى طقس شديد الحرارة وبدا متحمسا للحوار يجيب على الأسئلة بطريقته الساخرة، يسأل عن أحوال المهنة، وهاجم بقسوة الأديب ثروت أباظة لكنه كان مع إنشاء حزب سياسى لجماعة الإخوان وحزب علمانى بعد عام 2011 تحققت نبوءته وتم السماح للإخوان بحزب سياسى هو الحرية والعدالة ويبدو أن الحزب كان هو مسمار النهاية لهذا التنظيم.

وعن طبيعة الخلاف مع الدكتور عبد العظيم رمضان، قال هو يقول إننى غير مؤهل، وأنا أرى أنه ارتكب جريمة فى تحقيقه مذكرات سعد زغلول، وأتحدى أي أكاديمى فى مصر أن يثبت عكس ما أقوله عن هذه المذكرات، وبالمناسبة معظم المؤرخين ليسوا خريجى ليسانس التاريخ بمن فيهم الجبرتى وهذه معلومة له.

بعد نشر الحوار كنت أتبادل معه الحديث عبر الهاتف وكان يرسل بشكل غير منتظم مقالات تنشر فى المجلة وعندما تتأخر المكافأة المالية استقبل منه بكل تواضع برقية على «فاكس» المجلة رسالة أين المكافأة؟ كانت وسيلة التواصل واستقبال المقالات منه عبر جهاز الفاكس.

وقال إن كان مضطرًا إلى الكتابة فى صحف لا أتفق معها فى الرأي وكل الصحف التي كتبت فيها لا يتفق معها فى الرأي مائة فى المائة بما فيها الأهالى وأضطر إلى التضحية بجزء من آرائى لظروف الملائمة.

صلاح عيسى (مواليد 14 أكتوبر 1939 فى قرية «بشلا»بمحافظة الدقهلية- توفى فى 25 ديسمبر 2017

نشر الحوار تحت «صلاح عيسى: كنت شيوعيًا والآن لا توجد شيوعية!»

كان السؤال الأول أنصار التطبيع داخل مصر يرون أن مَنْ هم ضد التطبيع متخلفون عقليًا؟

نحن نرد لهم التحية بأحسن منها.

هل أصبحوا ظاهرة داخل المجتمع المصرى؟

لا أظن أنهم ظاهرة، بالعكس الآن يقلون، ولكن صوتهم فقط يعلو عما كان عليه حتى فى الفترة التي كان فيها تطبيع، وهذه الظاهرة غريبة جدًا.

ما تفسيرها لديك؟

أعتقد بسبب القبول العربى من حيث المبدأ بفكرة التسوية، هذا هو الذي أدى إلى ارتفاع صوتهم وقوى من معسكر التطبيعيين.

ما حدود التطبيع مع إسرائيل من وجهة نظرك؟

أنا من المتشددين، لكننى أطالب بأن نصل لتعريف للتطبيع يوسع جبهة معارضى التطبيع.

لكن بدا للبعض أنك تؤيد إعلان كوبنهاجن؟

لا أؤيد كوبنهاجن، ولكن لا أؤيد كثيرا مما جاء فى الحملة التي شُنَتْ على المشاركين فيه، لأنها تجاوزت ما هو موضوعى إلى ما هو شخصى وسعت لإهدار تاريخ كل المشاركين.

المؤرخون كالقضاة ثلاثة: «واحد فى الجنة واثنان فى النار» أين مكان المؤرخ الدكتور عبدالعظيم رمضان؟

أعتقد أنه كسياسى شخص سيدخل النار بالقطع.

ما هى الكبائر التي ارتكبها وتدخله النار؟

أهم شىء فى رأيى أنه خرج من الجامعة ليمارس العمل العام بطريقة تفتقد النزاهة المؤرخ وتجرده وسعيه للمصلحة العامة، وأسبابه كانت ولاتزال تعود إلى طموحه فى الصعود.

هل قرأت رأيًا لمؤرخ مصرى أنصف دور اللواء محمد نجيب؟

كثيرون واستشهد بما كتبه الأستاذ أحمد حمروش عن ثورة يوليو، وبالمناسبة محمد نجيب استُخْدِمَ سياسيًا لمحاولة الهجوم على جمال عبد الناصر والطعن فيه.

هل تتفق مع الرأي الذي يرى أن الرئيس عبد الناصر ظلمه كثيرًا؟

ما فعله عبد الناصر ضد محمد نجيب لا يختلف كثيرًا عما فعله الزعيم مصطفى كامل فى أحمد عرابى، اللاحق دائمًا يريد أن يقلل من نفوذ السابق، وهذه الأمور تسمى الضرورات السياسية.

لماذا قلت إن الرئيس السادات أضاعت سيئاته كل حسناته؟

لأن الحسنات كانت فى بداية حكم السادات، والسيئات فى النهاية وليت العكس حدث.

أبرز سيئات السادات من وجهة نظرك؟

عدوله عن تطوير الديمقراطية المصرية.

هل العدول عن تطوير الديمقراطية يستوجب كل هذا الهجوم عليه منك؟

أعترف بأن الهجوم على السادات سببه أمور سياسية، وعندما يتم تقييمه تاريخيًا ستختلف الأمور وأنا طالبت أخيرًا بإقامة تمثال له باعتباره قائدًا لحرب أكتوبر.

هل تتفق مع الكاتب أسامة أنور عكاشة فى رأيه بأن حرب أكتوبر هى انتصار الجنود وليس السادات؟

الانتصار هو انتصار الاثنين معًا.

العقلاء يقبلون أنصاف الحلول، هل أنت مع هذه المقولة؟

نعم، لأن العقلاء يفعلون ذلك.

ما هى أنصاف الحلول التي قبلتها لكونك عاقلًا؟

الكتابة فى صحف لا أتفق معها فى الرأي.

ما هذه الصحف؟

كل الصحف التي كتبت فيها لا أتفق معها فى الرأي مائة فى المائة.

هل هذا التعميم يشمل صحيفة الأهالى، لسان حال حزب التجمع؟

بما فيها الأهالى، ولا توجد جريدة تتطابق أفكارها مع أفكارى، واضطر إلى التضحية بجزء من آرائى لظروف الملائمة.

هل لا تزال ترى أن صوت المطرب أحمد عدوية كما شبهه الدكتور مصطفى محمود كفحيح ذكر البط عندما ينادى أنثاه للمضاجعة؟

هذا رأي مصطفى محمود وليس رأيى، وهذا هو مبرر انتشاره.

التباعد فى كل شىء، هل هى الجملة المناسبة لوصف طبيعة العلاقة بينك وبين الكاتب ثروت أباظة؟

طبعًا لأن الكاتب ثروت أباظة شىء مختلف عن الجيل المصرى الحالى، سواء الشاب أو الوسيط أو حتى العجوز أو الشيوخ، فهو حالة متفردة فى ذاتها ولا أظن أن أحدًا قريب منه من أي نوع كان.

ولكن ظل رئيسًا لاتحاد كتاب مصر لسنوات طويلة؟

هذا من نكد الدنيا.

عصابة الأربعة عبارة ذاع صيتها منذ سنوات مضت وكنت أبرز أفرادها، ما هى جرائم تلك العصابة؟

يُسأل فى ذلك الذين أطلقوا الاسم علينا، وجرائمها أنها صنعت صحيفة ناجحة جدًا وهى الأهالى فى الفترة من 28 وحتى 1984.

هل جاء الموقف الذي تعترف فيه بوجود خلاف جوهرى بينك وبين حزب التجمع؟

يوجد خلاف ولكن ليس جوهريًا، وهو يتعلق بالوقت الراهن لأننى اختلفت مع الاتجاه السائد فى حركة التجمع الذي ينظر إلى الأصوليين الإسلاميين على أنهم شىء واحد ولا يفرق بين المعتدلين والمتطرفين.

هذا الخلاف إلى أي مدى باعد بينك وبين الحزب؟

القاعدة فى التجمع هى أن الذي يختلف يعتكف.

لو سُمِحَ بتأسيس حزب شيوعى هل تنضم إليه؟

قبل تأسيس هذا الحزب نحن فى حاجة إلى اجتهاد يسارى جديد.

ما الفرق الواضح بين اليسارى والشيوعي؟

الشيوعيون يساريون وهناك يساريون ليسوا شيوعيين.

أين موقعك؟

كنت شيوعيًا، والآن لا توجد شيوعية حتى أكون شيوعيًا.

أنت مشروع روائى توقف؟

بسبب حماقة من حماقات الحياة، عندما اعتقدت أن القصص والروايات لا تغير العالم، وتصورت أن العمل السياسى هو الذي سيغير العالم.

لماذا قلت إن المشير عبدالحكيم عامر هو المسئول عن هزيمة 56 والانفصال بين سوريا وهزيمة 1967؟

هذه حقائق تاريخية وهو شخصية أساءت كثيرًا لثورة 23 يوليو.

قلت إن الكاتب ثروت أباظة تدفعه الشيخوخة للخلط فى التواريخ ماذا تقصد؟

بسبب كثرة حديثه عن أنه فى عهد عبد الناصر كان هناك عدوان على أعراض الرجال، الحقيقة أن هذا حدث فى وزارة كان والده وزيرًا فيها هى وزارة إبراهيم عبدالهادى.

إذن لماذا تهاجم دائمًا جبهة علماء الأزهر؟

لأنها تتبع وزارة الشئون الاجتماعية، ودورها تقديم خدمات اجتماعية لموظفى الأزهر، وليست جهة لإصدار الفتوى.

ما دليلك على أن رئيس حزب الأمة الشيخ أحمد الصباحى حول الحزب إلى أكاديمية لتفسير الأحلام؟

الإعلانات التي ينشرها فى الصحف وهى ظاهرة تدعو للفكاهة ومن سوء الحظ أن تكون فى مصر أحزاب وهمية بهذا الشأن.

ولكن اسمه بات متداولًا فى الشارع المصرى؟

نعم متداول ولكن ليس كحزب وإنما كنكتة.

لماذا وصفت آراء الدكتور ميلاد حنا بأنها آراء تثير الغيظ وربما الغضب؟

لا أريد أن أستفزه مرة أخرى، ولكن ما حذرته منه حدث فعلًا، وواجهت مصر حملة أمريكية.

هل لهذه الدرجة هو شخصية مؤثرة؟

ليس لهذه الأسباب، ولكن هو شخصية قبطية لامعة ومعروفة، وبالتالى اسمه أضاف إلى تراكمات أخرى وهو أخطأ فى التوقيت وفى الرسالة وعاد يشعل أزمة.

كيف ترى موقف الكاتب على سالم تجاه إسرائيل؟

على سالم أخطأ خطأً كبيرًا لم يكن له ما يبرره وهى حماقة وتفكير خاطئ منه.

لماذا لم يسعدك فوز مصرى هو كمال الشاذلى بلقب أفضل برلمانى عربى؟

تكفى مشاهدة واحدة لجلسة من جلسات مجلس الشعب والمقاعد خالية لتعرف أن اللقب أخطأ العنوان والشخص.

هل هناك من يجلس تحت القبة كان أحق منه باللقب؟

خالد محيى الدين أو زكريا عزمى أو البدرى فرغلى.

لماذا تهاجم المؤرخ عبد العظيم رمضان للحد الذي يراك فيه تخرج عن حدود الخلاف؟

هو يقول إننى غير مؤهل وأنا أرى أنه ارتكب جريمة فى تحقيقه مذكرات سعد زغلول، وأتحدى أي أكاديمى فى مصر أن يثبت عكس ما أقوله عن هذه المذكرات، وبالمناسبة معظم المؤرخين ليسوا خريجى ليسانس التاريخ بمن فيهم الجبرتى وهذه معلومة له.

كيف ترى حرب الخليج بعد مرور سنوات عليها؟

هى كارثة، وأسوأ أحداث هذا القرن على صعيد الساحة العربية.

لماذا ترجح انتحار المشير عبدالحكيم عامر؟

أتمنى أن يكون قد انتحر.

مؤيدو الرئيس عبد الناصر وأنت واحد منهم يرون كل قراراته كانت صائبة لماذا؟

لأن عبد الناصر كان عظيم المجد عظيم الأخطاء.

دخلت السجن 5 مرات فى عهد عبد الناصر والسادات، لمن تشهد منهما؟

لفترة حكم السادات، لأن السجون كانت أفضل كثيرًا من فترة عبد الناصر.

إذن معاملة السجون القاسية فى عهد عبد الناصر تندرج أيضًا ضمن الأخطاء العظيمة؟

بناء الدولة يحتاج إلى قبضة قوية.

هل ألغيت طموحك بأن تصبح يومًا ما رئيسًا للتحرير

الآن لا أحسد أي رئيس تحرير على منصبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

د. عبدالعظيم رمضان

أجريت حوارًا مرتين مع الدكتور عبدالعظيم رمضان المؤرخ المصرى الشهير الذي كانت آراؤه لا تروق للكثيرين، الأول كان لمجلة المجلة السعودية والتي تصدر فى لندن والثانى لمجلة الأهرام العربى نشر فى أغسطس عام 1997، جرت المقابلة فى مكتبه بمؤسسة دار المعارف بالمبنى الشهير المطل على النيل، هو أحد مؤرخى تاريخ مصر المعاصر، وأستاذ التاريخ بجامعة المنوفية سابقًا، وعضو مجلس الشورى، ورئيس تحرير سلسلة تاريخ المصريين، كما

كان له مساحاته الثابتة فى مجلة أكتوبر الأسبوعية، وجريدة الأهرام، وجريدة الجمهورية. رئيس اللجنة العلمية المشرفة على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، أشرف على سلسلة تاريخ المصريين والتي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، حيث تولى رئاسة تحريرها، وله كتاب مثير بعنوان تاريخ مصر والمزورون، صدر فى عام 1993.

كانت تتواجد خلال إجراء الحوار زوجته الصحفية بمجلة أكتوبر أميرة خواسك

من مواليد 1925 وتوفى عام 2007

نشر الحوار تحت عنوان «الدكتور عبدالعظيم رمضان:أنا يسارى.. وحزب فى ذاتى».

السؤال الأول هل تراجع الآن تأييدك الواضح لإسرائيل خاصة بعد أن كشفت مجددًا عن وجهها الحقيقى؟

لا لم يتراجع، ومازلت متحمسًا لإسرائيل لأننى على يقين تام بأنها ليست هى العدو الأول وإنما أمريكا هى العدو الأساسى.

أمريكا عدو لمن؟

عدو للعرب ولمصر وللعالم الثالث، وتمثل الإمبريالية وهى التي تسلح إسرائيل وإسرائيل بدونها لا تساوى شيئًا.

ومتى اكتشفت أن أمريكا هى العدو الأول؟

لا تنس أننى رجل يسارى.

وهل تنبه أحد قبلك إلى حقيقة أمريكا؟ أم هذا هو اكتشافك؟

أعتقد أن الرئيس السادات توصل قبلى إلى ذلك عندما اتجه إلى الشعب الإسرائيلى مباشرة وزار القدس وتوقف عن طرق الأبواب الأمريكية المغلقة.

ولكنك تجاهر، بل وتتفاخر بأنك حتى الآن رغم كل التأييد لإسرائيل لم تزرها؟

نعم، لم أزر إسرائيل.

متى تنوى زيارتها؟

لا أنوى، وبصراحة شديدة أعلنها للمرة الأولى، لأسباب نفسية فقط.

وهل تلقيت دعوات لزيارتها؟

مرات عديدة، آخرها منذ شهرين لحضور ندوة هناك عن هزيمة يونيو واعتذرت وقلت لا أستطيع مهاجمة عبد الناصر فى إسرائيل.

ماذا يعنى السلام بالنسبة لك؟

يعنى أن يشعر الإسرائيليون بمزايا السلام بمعناه الواضح وهو الأمن؟

ولكن ربط السلام مقابل الأمن هو بالضبط - عفوًا يا دكتور - مفهوم رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو؟

أنا مصرى عربى مسلم، لا أقبل أن تكون هناك أرض عربية محتلة.

تقول إنك رجل يسارى، وفى الوقت نفسه محسوب على حزب الوفد كيف؟

منذ استقالتي من حزب التجمع بعد قبولى مبادرة السلام لم أنضم إلى حزب معين، وأتفق مع كل حزب فى أشياء وأختلف فى أشياء أخرى، وأنا حزب فى ذاتى.

ما نقاط الاتفاق مع حزب الأمة مثلًا؟

أتفق معه فى أنه حزب ظريف.

هل هناك توصيف لكلمة ظريف؟

ظريف بمعنى أن وجوده يخفف كثيرًا من دور الحياة الحزبية الجاد.

بصفتك مؤرخًا مصريًا، هل انتحر المشير عبدالحكيم عامر أم قتل؟

عبدالحكيم عامر تم إعدامه وأنا لدى الوثائق التي تؤكد ذلك، وأتحدى أن يعارضنى أحد فيها.

ومن الذي أعدمه؟

الرئيس جمال عبد الناصر، وربما تكون هى المرة الوحيدة التي أتفق معه فيها، لأنه كان محقًا فى قرار إعدامه حتى يستطيع أن يسيطر من جديد على القوات المسلحة.

ما الدلائل التي تتحدى بها وتجزم أنه أعدم؟

أكدت التحاليل الطبية عدم تعاطيه سم على الإطلاق، وأن ما نشر عن أنه تعاطى ملى جرام من السم نكتة مضحكة، فهل يعقل أن ينتحر بتعاطى واحد ملى جرام وهو معه 150 ملى جرام، وكيف تسنَّى له أن يتعاطى الجرعة ثم يخفى الباقى فى جسده.

ولكن الكاتب صلاح عيسى يرجح أنه انتحر؟

أنا لا أحب أن أرد على صلاح عيسى، وأنا متجاهله تمامًا، ولا أريد الدخول فى حوار معه، لأنه يتجاوز حدوده فى المخاطبة، وأستشهد بمقولة الزعيم سعد

زغلول عندما عرض عليه أن يتفاوض مع عبدالخالق باشا ثروت، فقال: الحوار يكون بين الأَكْفَاء.

يبدو أن رأيك الحاد فيه بسبب هجومه عليك بعد تحقيقك مذكرات سعد زغلول؟

ما قاله عن تحقيقى مذكرات سعد زغلول أنموذج للابتذال فى المناقشة وهو ليس مؤهلًا علميًا لمناقشتى، ولا يستطيع أن يقرأ حرفًا مما كتبه سعد زغلول، فضلًا عن أنه كاتب لا يحمل حتى ليسانس التاريخ، وكل مؤهلاته خدمة اجتماعية.

وما ردك العلمى على الأخطاء التي وقعت فى المذكرات وأثبتها أستاذ جامعى متخصص؟

هذه الأخطاء هى أخطاء الأستاذ الجامعى بسبب تسرعه، وليست أخطائى أنا ورددت عليه.

معنى هذا أن أعمالك دائمًا تحظى برضاك التام؟

لا يوجد إنسان يكبر على الخطأ.

لماذا هاجمت محمود نور الدين السجين مؤخرًا؟

لأننى أحسست بمهانة شديدة فى أن يُنَصَبَ قاتله فى الظلام بطلًا، مع أنه لا يوجد فى سجله أي نوع من أنواع النضال الذي عرضه التاريخ، فهو لم يشترك فى حرب من الحروب.

وهل تعارض وجهة نظر مؤيدةٍ بأنه لم يُصبْ مصريًا خلال عملياته ضد الدبلوماسيين الإسرائيليين؟

نعم، لأنه كان يعمل فى لندن، فلماذا لم يقتل الإسرائيليين هناك بدلًا من إقدامه على ترويع الشعب المصرى بجرائمه الدموية.

هل عندك تفسير لوقوف بعض أحزاب المعارضة معه؟

هذه الأحزاب تمارس التجارة السياسية، والأحزاب التي تقصدها محلات تجارية وسوبر ماركت، وللأسف الشديد اليسار هو الذي يتبنى هذه القضية الخاسرة.

بمن تقصد اليسار فى مصر؟

حزب التجمع هو الحزب اليسارى الوحيد.

وماذا عن الحزب الناصرى؟

هو حزب يمينى متطرف وفاشى.

إلى أي مدى مازلت متحاملًا على الذين يرفضون التطبيع؟

أصف دائمًا من يقف فى وجه التطبيع بأنه متخلف عقليًا.

ولكنك مؤرخ وتعلم جيدًا أن الأغلبية الكاسحة ضد التطبيع؟

من الذي قال هذا الكلام، الناس فى مصر مع التطبيع، والإسرائيليون يأتون لزيارة مصر ويلقون الترحيب.

معنى هذا أنك تساند بقوة الكاتب المسرحى على سالم فى موقفه البارز تجاه التطبيع؟

أساند كل من يمد يديه لجماعات السلام فى إسرائيل.

فى رأيك مَنْ أبرز رافضى التطبيع فى مصر؟

هم الفاشست الناصريون الذين سمحوا - بتهاونهم - لإسرائيل أن تحتل سيناء مرتين وهم رافضو معاهدة السلام وكامب ديفيد.

ما هى مكاسبهم من وجهة نظرك نتيجة لهذا الرفض؟

هم يعيشون من وراء ذلك ويتاجرون بالقضية، وهذا هو مبرر وجودهم فى الساحة السياسية.

هذا الكلام هل تقصد به الحزب الناصرى؟

نعم، لأن هذا الحزب هو الفاشست بعينه.

وهل تقر بتأثيرهم؟

لا، لأنهم مجرد مانشيتات بالحبر الأحمر تصدر على رأس صحيفة لا يقرأها المصريون.

هل تحتفظ بصداقة مع مدير المركز الثقافى الإسرائيلى؟

هو صديقى.

هذه الصداقة جعلته يلجأ إليك لمهاجمة المعارضة المصرية، خاصة التي تسب إسرائيل؟

هذا ما نشرته جريدة «العربى»، ولجأت إلى القضاء لأن المستند الذي ظهر تم تزويره.

الكاتب أسامة أنور عكاشة يقول إن عبدالعظيم رمضان مؤرخ مسموح له بارتكاب مغالطات فى حق زعماء مصر؟

أسامة أنور عكاشة روائى أحترمه، ولكنه يقع فى أخطاء تاريخية قاتلة ويردد كلامًا كله مغالطات وهو روائى وليس مؤرخًا.

ولكنه يرى أن السادات أعطى لإسرائيل كل ما تريد بزيارته للقدس واعترافه بها قبل بدء المفاوضات؟

هذا الكلام عجيب، وأنصحه بأن يقرأ فى التاريخ قبل أن يتطوع بالحديث، لأن زيارة السادات للقدس هى أعظم عمل سياسى قامت به مصر فى القرن العشرين.

هل قرأت رأيه فى أن سيناء عادت جغرافيًا؟

هؤلاء الناس تجار وليسوا ثوارا وسيناء عادت لمصر سياسيًا وجغرافيًا وعسكريًا.

ما نقاط ضعفك التي ينفذ منها خصومك؟

خصومى حتى الآن لم يجدوا منفذًا للهجوم على شخصى غير نشأتى العصامية، فأنا صعدت من السفح إلى القمة.

جماعات السلام فى إسرائيل لماذا تراهن على أنها يمكن أن تؤثر فى قرارات نتنياهو؟

عندما تجد المساندة ستؤثر وهى أكثر وطنية من نتانياهو، لأن رئيس وزراء إسرائيل ليس إسرائيليًا وإنما هو يهودى أمريكى، وقفز إلى الحكم بمعجزة حزب الله وجماعة حماس، فهما قدما إليه الفرصة على طبق من ذهب بالتفجيرات التي قاما بها.

لماذا تسخر من هذه الأعمال التي يراها الكثيرون أعمالا بطولية وهل هناك أوراق ضغط أخرى؟

لا توجد أوراق ضغط عربية الآن، لأن وجودها يتطلب تكاتفا عربيا وتعاونا اقتصاديا وهذا لن يحدث.

رئيس اتحاد كتاب مصر سعد الدين وهبة نجح فى الحد من اتساع دائرة التطبيع على الأقل بين الكُتَّاب؟

لم ينجح وأنا أرغمته على أن يتراجع عما أعلنه بشأن محاكمة من يخالفونه فى الرأي داخل الاتحاد والذي أزعجنى أنه يريد محاكمة أكبر كتاب مصر.

من هم أكبر كتاب مصر الذين تتحدث عنهم؟

لطفى الخولى مثلًا لا أعتقد أن وضعية سعد الدين وهبة تسمح له بمحاكمة هذا الكاتب.

إذن لماذا قلت من قبل أن مصر لا يوجد بها كاتب الآن؟

أقصد كاتب فى جماهيرية الأستاذ محمد حسنين هيكل.

هذا اعتراف نادر منك فى حق هيكل؟

كنت زمان معجبا به، أما الآن أختلف معه على طول الخط، لأنه يقف ضد حركة التاريخ.

هناك من يرى أن الكاتب سلامة أحمد سلامة كاتب جماهيرى؟

هو كاتب مجيد، لكنه لا يكتب فى القضايا التي تهم مصر.

ولكنه كثيرا ما يتناول قضايا مصرية آخرها البلطجة؟

أنا أول من كتب عن البلطجة.

هل قرأت رأي الكاتب جلال أمين عندما قال من يرد أن يعرف ماذا تريد إسرائيل يقرأ لعبدالعظيم رمضان؟

أنا لم أسمع عن كاتب باسم جلال أمين.

حرب أكتوبر انتصار الجنود وليست انتصار السادات، هذا الكلام يردده أسامة أنور عكاشة؟

من يقول هذا الكلام هو بكل تأكيد متخلف عقليًا ويشبه القول بأن حروب نابليون لم يكن هو المنتصر فيها وإنما الجنود الفرنسيون.

الهجوم من جانبك لا يتوقف على الرئيس جمال عبد الناصر، ما السر؟

لأنه لم يكن حاكمًا ديمقراطيًا وإنما كان حاكمًا ديكتاتوريًا.

كريمته هدى قالت إن السادات جار على تاريخ والدها؟

كل الحكام يُزَوِّرون التاريخ.

لفظ الدعارة الحزبية والصحفية لماذا أطلقته على بعض الأحزاب؟

أنا مُصِرٌ عليه وهو ينطبق على بعض الأحزاب فعلًا.

هل زالت الخصومة بينك وبين رئيس حزب الأحرار مصطفى كامل مراد؟

زالت والأحرار كتب مؤخرًا أهم مقال عنى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ثروت أباظة

هذا الحوار جرى مع الأديب ثروت أباظة فى مكتبه بمجلس الشورى فى شهر سبتمبر عام 1997 حيث كان يشغل منصب وكيل مجلس الشورى، وهو مؤلف رواية «شىء من الخوف» حدد الموعد فى العاشرة صباحًا كانت هى المرة الأولى التي أدخل فيها مبنى المجلس.

المكتب فخيم يحمل ملامح العائلة الأباظية الشهيرة يبتسم ولا يتردد فى الإجابة عن الأسئلة مهما كانت، خلال الحوار معه عبر عن ثقته الكاملة فى القراء الذين يقبلون على قراءة رواياته ومقالاته فى الأهرام رافضًا الانتقادات التي يوجهها البعض بتراجع شعبيته بين القراء.

يومها كان قد انسحب من المنافسة فى الانتخابات على منصب رئيس اتحاد كتاب مصر بعد أن ظل رئيسًا للاتحاد طوال 22 عامًا، وقال إن المؤامرة كانت فى إنجاح الشيوعيين للسيطرة على مقاليد الأمور باتحاد كتاب مصر وهم يعرفون أننى لا أتعامل مع الشيوعيين، وعندما قلت له إن الشيوعية كنظرية ربما تكاد تكون قد انتهت من العالم؟ قال: هؤلاء الشيوعيون فى مصر ليسوا أصحاب مبادئ، هم ينتفعون ماديًا من شيوعيتهم وتأتى لهم الأموال من إيطاليا وفرنسا ومن كل بقايا الأحزاب الشيوعية فى العالم ولو كانوا على إيمان لكنت احترمتهم.

وأكمل هم سيطروا على كل التليفزيون وهم يسيطرون على كل المجلات التي تصدرها الهيئة العامة للكتاب باستثناء مجلة القصة التي أشرف عليها.

وعندما سألته لماذا طالبت صناع فيلم ناصر 56 أن يقدموا فيلمًا آخر عن ناصر 1967؟

رد: أليس هذا هو الطبيعى؟ فبدلا من أن يقدموا فيلما عن هزيمة 1956 عليهم أن يقدموا فيلما عن الهزيمة الأكبر 1967 التي لم نعرف بعد أسرارها.

كانت نبوءته سابقة فيما يخص جماعة الإخوان، فعندما سألته هل تراها فعلا حزبًا يسعى إلى السلطة الدنيوية؟

أجاب: نعم ولا يوجد لها مبرر آخر، ألسنا جميعًا مسلمين وإخوان مسلمين؟! فما هو سر تسمية الإخوان المسلمين هل هذا تميز؟ هم قتلوا النقراشى باشا والخازندار ويحتضنون الإرهابيين كلهم الآن.

وقال إنه يعتب على الحكومة تأخرها فى اتخاذ إجراء قرار غلق المقر والقبض عليهم ووصفها بجماعة الإخوان المجرمين، وأن جرائمهم هى احتواء الإرهابيين ومدهم بالأموال ولا أفرق بين الإخوان والإرهابيين.

وصف الكاتب محمد حسنين هيكل بكلمة كبير الكهنة فى صحافة عهد الطغيان.

ثروت دسوقى أباظة من مواليد (15 يوليو 1927 - توفى فى 17 مارس 2002)

عنوان الحوار «ثروت أباظة:الإخوان هدفهم السلطة الدنيوية»

مقدمة الحوار

يعتبره البعض كاتبًا لا يعبأ كثيرًا بآراء الآخرين.. بل يستهويه فقط أن يستمع إلى رأيه، رغم اختلاف الآراء معه أو حوله.

ورغم كونه يشغل منصب وكيل مجلس الشورى المصرى الذي يجمع بين أعضائه جميع التيارات السياسية والفكرية إلا أنه شديد العداء لجماعة الإخوان المسلمين، ومن قبلهم الناصريين والشيوعيين، وباتت قضيته الأولى هى كشف عوراتهم دون أن يفوت فرصة واحدة لذلك.

ثروت أباظة.. والذي استقال من عضوية اتحاد كتاب مصر - والذي ظل قرابة 22 عامًا رئيسا له - أبعده عنه الشيوعيون حسبما يصنفهم يتميز بالوضوح والجرأة فى كل مواقفه ومعاركه - ولهذا يعلن فى حواره مع «الأهرام العربى» أنه يأسف لكونه لا يرى إلا السلبيات لفتره حكم عبد الناصر وفى المقابل يعتبر السادات هو رجل التاريخ.. ويقول بكل تواضع لا أعرف من هو صلاح عيسى، وأن الشاعر عبد الرحمن الأبنودى قال كذبا، ويعترف بأنه يتطهر من الرجس الأعظم بعد لمسه لصحيفة الشعب.

لماذا استقلت من عضوية اتحاد كتاب مصر والذي ترأسته 22 عامًا؟

لأن الذين نجحوا فى الانتخابات الأخيرة، والخاصة باختيار مجلس إدارة جديد للاتحاد لا أستطيع التعامل معهم ولا أتوقع أن أتعامل معهم.

معنى هذا أنك استقلت من عضوية مجلس إدارة الاتحاد؟

لا. أنا استقلت من عضوية الاتحاد بالكامل ولم أعد الآن عضوا فى اتحاد كتاب مصر.

ما ردك على من يرى أن استقالتك هى عفوا - سلبية؟

وما الإيجابية؟ أن أظل عضوا وهناك شك ولو بنسبة واحد فى المليون ألا أنتخب رئيسًا له.

معنى هذا أنك استشعرت مؤامرة من أعضاء الاتحاد عليك؟

نعم كانت هناك مؤامرة مدبرة.

ما شكل هذه المؤامرة؟

المؤامرة كانت فى إنجاح الشيوعيين للسيطرة على مقاليد الأمور باتحاد كتاب مصر، وهم يعرفون أننى لا أتعامل مع الشيوعيين.

وهل تعتقد أن فى مصر الآن كتابًا شيوعيين؟

يوجد عدد كبير من الكتاب الشيوعيين، وصحيفة الأهرام يكتب فيها عدد كبير منهم.

ولكن الشيوعية كنظرية ربما تكاد تكون قد انتهت من العالم؟

هؤلاء الشيوعيون فى مصر ليسوا أصحاب مبادئ، هم ينتفعون ماديًا من شيوعيتهم، وتأتى لهم الأموال من إيطاليا وفرنسا ومن كل بقايا الأحزاب الشيوعية فى العالم، ولو كانوا على إيمان لكنت احترمتهم.

ما دليلك على أنهم يحصلون على أموال من الخارج؟

الكتب التي تترجم لهم ولم يقرأها أحد فى مصر.

لا تنكر أنك على صلة قوية بوزير الإعلام المصرى صفوت الشريف، ومع هذا تشكو من سيطرة الشيوعيين على التليفزيون؟

هم سيطروا على كل التليفزيون، ولكن فى عهد الحرية ماذا يفعل الوزير بهم وهم يسيطرون على كل المجلات التي تصدرها الهيئة العامة للكتاب باستثناء مجلة القصة التي أشرف عليها.

هل مجلة إبداع ضمن ما تقصد؟

خصوصًا مجلة إبداع. من يشرف على تحريرها؟

الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى؟

إذن ما رأيك؟ هل تأكدت.

لماذا طالبت صناع فيلم ناصر 56 أن يقدموا فيلما آخر عن ناصر 1967؟

أليس هذا هو الطبيعى؟ فبدلا من أن يقدموا فيلما عن هزيمة 1956 عليهم أن يقدموا فيلما عن الهزيمة الأكبر 1967 التي لم نعرف بعد أسرارها.

هل تقر بأن صناع ناصر 1956 قدموا عملا إيجابيا مؤثرًا عن الرئيس جمال عبد الناصر؟

هذا يستحيل، ولو مائة فيلم لن تنجح فى تغيير الحقيقة الراسخة عن إخفاق عبد الناصر وديكتاتوريته.

بعد مرور 27 عامًا على وفاة عبد الناصر هل لازلت ترى أنه لم يحقق أية أمجاد خلال فترة حكمه؟

فى الواقع أنا آسف لا أستطيع أن أجارى الذين يقولون إن هناك إيجابيات وسلبيات فى عهد عبد الناصر، أنا لا أرى إلا السلبيات فقط.

كيف ترى بناء السد العالى ومجانية التعليم؟

السد العالى دفعت فيه مصر ثمنًا غاليًا جدًا وهو احتلال روسيا لمصر، وكان يمكن أن يبنى بوسائل أخرى، أما مجانية التعليم فيعود الفضل فيها إلى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين وليس عبد الناصر.

يبدو أنك مصر على إنكار إيجابيات عبد الناصر؟

أرجو من يقول إن هناك إيجابية أن يأتى إلىَّ، ويناقشنى فيها وسأرد عليه.

ما دليلك على أن عبد الناصر سمح لزبانيته -كما وصفتهم- بأن يعتدوا على اعراض الرجال أمام زوجاتهم؟

أحكام المحاكم التي صدرت فى ذلك.

لكن الكاتب الصحفى صلاح عيسى يرى أن هذا خلطًا فى التواريخ منك بسبب الشيخوخة، وأن الاعتداء حدث فى عهد وزارة إبراهيم عبد الهادى والتي كان والدك وزيرًا فيها؟

إذا كان صادقًا فيما يدعى، فليأت بدليل واحد أو شخص واحد حدث له ذلك فى عهد وزارة إبراهيم عبد الهادى باشا، وهذا ادعاء منه، شأنه فى ذلك شأن كل الشيوعيين.

ما سر الهجوم المتبادل بينك وبينه؟

أنا لا أعرف هذا الشخص. وأتحدى أن أكون قد كتبت مقالة فيها اسمه أو حتى رددت عليه ولا أعرف ماذا يكتب.

هل هذا تجاهل منك لشخصه؟

أنا رجل صادق ولا يُضيرنى أننى لا أعرفه ولا أقرأ ما يكتب.

اتهامك للناصريين بأنهم يكرهون مصر والعرب هل هو مبالغة منك أم تراه حقيقة؟

لم أقل إنهم يكرهون مصر والعرب وإنما قلت إنهم أساءوا إلى مصر بما لم يسئ مثله اليهود.

هل يزعجك هجوم الناصريين عليك؟

هو شرف لى.

جماعة الإخوان هل تراها فعلا حزبًا يسعى إلى السلطة الدنيوية؟

نعم ولا يوجد لها مبرر آخر ألسنا جميعًا مسلمين وإخوان مسلمين فما هو سر تسمية الإخوان المسلمين هل هذا تميز؟ هم قتلوا النقراشى باشا والخزندار ويحتضنون الإرهابيين كلهم.

هل تداركت الحكومة المصرية تقصيرها تجاه جماعة الإخوان، أم لازالت كما وصفتها منذ سنوات مقصرة؟

الحملات التي يقوم بها وزير الداخلية تجعل الدولة غير مقصرة.

لكن هل كنت تقصد بكلمة التقصير عدم إغلاق مقر الإخوان وحظر جميع نشاطاتهم؟

نعم وكنت أعتب على الحكومة تأخرها فى اتخاذ إجراء قرار غلق المقر والقبض عليهم.

يبدو أنك لم تعثر على الكلمة المناسبة لوصف حقيقة جماعة الإخوان فتارة تسميها الإخوان المجرمين وأخرى الإخوان المسلحين؟

أنا أعتبرها جماعة الإخوان المجرمين.

وما جرائمهم غير ما تردده عن قتلهم للنقراشى باشا؟

جرائمهم الآن هى احتواء الإرهابيين ومدهم بالأموال، ولا أفرق بين الإخوان والإرهابيين.

عقلية من تخشاها من جماعة الإخوان؟

لا يوجد بين الإخوان شخص واحد يستحق الذكر وذو عقلية وهذا ليس معاداة منى وإنما هى الحقيقة.

هل تطالع آراء مرشد الجماعة المحظورة مصطفى مشهور؟

لا أعترف بأن هناك مرشدًا عامًا لأننى لا أعترف بوجودهم أصلًا.

هل هناك فعلا صحيفة تتطهر من الرجس الأعظم كما قلت بعد أن تلمسها؟

صحيفة الشعب لسان حال حزب العمل وهناك صحيفة أخرى لا أذكر اسمها الآن.

ما دمت تكره الناصريين لهذا الحد هل هى صحيفة «العربى»؟

لا. لأن هذه الصحيفة لا ألمسها أصلا.

من كان المقصود بكلمة كبير الكهنة فى صحافة عهد الطغيان؟

بدون شك أقصد الكاتب محمد حسنين هيكل.

وهل حكمك القاسى هذا جاء لأنك عملت معه وعرفت هذه الحقيقة؟

لم أعمل معه، وأنا بدأت فى الأهرام عندما كان الكاتب يوسف السباعى رئيسا لها.

عندما تقرأ الصحف يبلغ الحزن مداه عندك لماذا؟

كيف أفرح وأنا أطالع تفاصيل معركة شرسة بالأسلحة البيضاء والصواعق داخل جدران نادى الزمالك وقرأت أن من بين المتشاجرين - وهم أعضاء مجلس الإدارة - قاضيا سابقا، وتساءلت هل يعقل أن يتهم قاض بأنه يستخدم الصواعق الكهربائية ضد زملائه، إنها مأساة.

هل لازلت ترى أن حزبى العمل والأحرار وجود بلا وجود وعنوان بلا موضوع ولافتة على فراغ؟

نعم ومعهما حزبا الأمة والناصرى والدليل على ذلك أن تمثيلها فى الحياة البرلمانية محدود جدًا، فالحزب الناصرى لم ينجح له سوى مرشح واحد هو المحامى سامح عاشور ونجح لأنه صعيدى وبالعصبية ألف شلة ونجح رغم أنه ناصرى وليس لأنه ناصرى.

إلى أي مدى تختلف مع الرأي الذي يرى أن صحيفة الشعب هى أقوى معارضة صحفية فى مصر؟

إذا كان الافتراء على أقدار الناس وتمزيق سمعاتهم وكرامتهم وشرفهم هو الصحافة المطلوبة الآن فأنا أعلنها أننى سأترك الصحافة، ولن يشرفنى أبدًا أن أنتمى إلى فئة الصحافة التي تقول على وزير الداخلية أنه بلطجى.

هناك اقتراح بأن يقنع نقيب الصحفيين الشعب بنشر الوقائع فقط وأن يرد الوزير دون اللجوء إلى القضاء؟

الوزير لم يفعل شيئًا سوى تبليغ النيابة العامة والمهاترات من جانب صحيفة الشعب فقط بجانب أن نقابة الصحفيين لم تحاكم صحفيًا واحدًا منذ نشأتها،

ولم تثبت وجودها فى محاكمة أعضائها وأنا حزين لموقف النقابة.

لماذا قلت إن الرئيس السادات هو رجل التاريخ؟

يكفى السادات انتصار 73 ومبادرة السلام ليكون رجل التاريخ.

هل سجل التاريخ لرجله السادات أية أخطاء من وجهة نظرك؟

الأخطاء التي يتحدث عنها البعض وتسبب فيها السادات تحتمل الصدق والكذب، أما أخطاء عبد الناصر فهى ثابتة ولا تحتمل المجادلة.

هل كما قلت يوجد بين الناس كلاب؟

أخلاق الكلاب بغير وفاء.

فيم التشابه إذن؟

فى السعار.

هل واجهت نقدًا أحسن من النقد الذي وجهه إليك فؤاد باشا سراج الدين عندما قال عنك إنك تقبل الأيادى وتحرق البخور؟

أنا أحترم فؤاد سراج الدين.

ما دمت تحترمه كيف تنظر لممارسات حزبه سياسيًا؟

أحزاب المعارضة فى مصر هى التجمع والوفد فقط، ولكن أخشى ألا يكون هناك حزب باسم الوفد بعد فؤاد سراج الدين أطال الله فى عمره.

ما سر خوفك وهناك قيادات كبيرة فى الحزب؟

شخصية فؤاد سراج الدين هى التي توجد حزب الوفد فقط.

أعداؤك ثلاثة كما حددتهم الإخوان - الشيوعيون - الناصريون، هل هناك تشابه فيما بينهم؟

الإرهاب والكذب والاختلاق الرابط المشترك بينهم.

لماذا لم ترد على ما قاله الشاعر عبد الرحمن الأبنودى بأن سيناريو فيلم «شىء من الخوف» الذي كتبه يختلف كلية عن قصتك، ولهذا نجح الفيلم؟

الذي قاله كذب، والفيلم موجود والقصة موجودة أيضًا، وهو ليس كاتب الحوار وإنما أنا الذي كتبته وما فعله هو أن صاغ الحوار باللهجة الصعيدية فقط وأنا أسفت لما قال.

قلت إنك تكتب الرواية دون تخطيط وفى 15 يومًا فقط؟

نعم وعندما أكون فى إجازة خارج مصر.

معنى هذا لو قضيت عامًا كاملا فى الخارج نتوقع 24 رواية؟

يا سلام! هل الروايات تأتى لوحدها؟ عندما أصل إلى موضوع رواية أدوخ، وأنا فى العام لا أكتب إلا رواية واحدة، وأنا لست حكاءً وإنما أكتب موضوعًا.

لماذا تمسك عصا التطبيع من الوسط؟

أنا ضد التطبيع، وضد الكتاب الذين يروجون للتطبيع، وأعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك تطبيع ثقافى وفنى مع إسرائيل فى ظل حكومة نتانياهو.

بم ترد على زملاء المهنة الذين يتحمسون للتطبيع مثل الدكتور عبد العظيم رمضان والكاتب على سالم والمخرج حسام الدين مصطفى؟

لا أوافق على تحمسهم، وفى الواقع أنهم يثيرون مشاعر الشعب الثائرة.

هل توافق على تجميد عضويتهم من الاتحاد والنقابات؟

مسألة تبحث.

ما صدى كتاباتك؟

كل الشعب المصرى معى لأنه يكره الشيوعيين، لأنه مع الإيمان، ويكره الإخوان لأنه ضد الإرهاب، ويكره الناصرية بدليل أنه الحزب الذي لم ينجح له سوى مرشح واحد فقط، وأنا أعبر عن الأغلبية الصامتة وهذا رأي وزير السياحة الأسبق فؤاد سلطان.

مكاسبك من هذا الموقف الحاد المعادى لكل التيارات؟

حب الناس، ولو لم تكن الناس تحبنى ما جرى معى هذا الحوار.

لكن لماذا يتردد ودائما أنك فى انتظار منصب وزير الثقافة؟

قلت للرئيس مبارك ذات مرة عندما حدثنى فى شأن مقال كتبته، لأنك لم تعينى وزيرًا وجدتنى كاتبًا والكاتب لا تجده أما الوزير تجده، فى أي مكان.

معنى هذا أنك لم تتحسر يومًا على عدم إختيارك وزيرًا فى الحكومة؟

أنا حياتى فى الكتابة والوزير لا يكتب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السيد ياسين

فى ذكرى مرور 42 عامًا على انتصار أكتوبر جرى هذا الحوار مع المفكر السيد ياسين، عالم الاجتماع البارز ومدير مركز الأهرام للدارسات السياسية والاستراتيجية لأكثر من 20 عامًا، الحوار جرى فى مكتبه بعد أن ترك المنصب وأضحى مستشارًا للمركز.

بطبيعة الحال لم نبتعد فى الحوار عن هموم المثقف المصرى وتوقع الفشل لعملية السلام الجارية، وطالب بوقف ممارسة التطبيع مع إسرائيل إلى أن تنشأ الدولة الفلسطينية وتحقيق المطالب المشروعة للشعب الفلسطينى، ومقاومة التطبيع وثيقة سياسية للمثقفين المصريين ومستمرة، وهى تدل على حيوية المجتمع المدنى المصرى واستقلاليته إزاء الدولة ولن تستطيع إسرائيل أن تلوى أيادى المثقفين المصريين بفرض التطبيع عليهم لأنه لا يفرض، ومهما كان هناك دعاة للتطبيع فهم يعدون على أصابع اليد الواحدة ولا يعبرون أي تعبير ولا وزن لهم فى الشارع الثقافى المصرى.

كما أبدى موقفًا صارما من الإخوان وقال كان لديهم جهاز سرى قام بالاغتيالات وهى ثابتة فى حقهم ومصر تمر بمرحلة انتقالية، ولا ينبغى أن تمر بمرحلة تجريب سياسى وأنا ضد من يقول فلنجرب ونرى ما يحدث ولا يمكن المغامرة بمستقبل مجتمع نتيجة دعوات غير مدروسة، والإخوان لا نعرف ما هو تعريفهم للدولة الإسلامية وماذا يعنون بتطبيق الشريعة الإسلامية. وما هو موقفهم من الأحزاب خاصة أن مصطفى مشهور مرشد الجماعة المحظورة قال فى لحظة ما إن الأحزاب هى أحزاب شيطانية، ماذا يقصد بذلك؟ لا نعرف.

جاء عنوان الحوار «السيد ياسين فى ذكرى 42 عامًا على أكتوبر: معركتنا القادمة مع إسرائيل حرب عصابات»

السؤال الأول كيف تنظر إلى حرب أكتوبر بعد مرور 42 عامًا عليها؟

هى تجربة خطيرة فى الممارسة المصرية فى العصر الحديث، وتكشف عن عبقرية القيادة السياسية المصرية فى التخطى الدقيق للحرب وفى الحشد المعنوى المتزن وفى التعبئة السياسية، وفى الإعداد العسكرى، ثم فى حفظ سر الحرب حتى آخر لحظة لأن الحفاظ على السر كان من أهم وأخطر جوانب المعركة ومن هنا حين اندلعت الحرب فوجئت إسرائيل بها مفاجأة حقيقية لأن الرأي السائد كان لديها هو أن القوات المصرية والسورية عاجزتان عن شن الهجوم، وأن الوطن العربى أصبح جثة هامدة وأنها تستطيع أن تضم ما تشاء من الأراضى العربية بدون مقاومة وجاءت أكتوبر لتثبت خطأ وجهة النظر الإسرائيلية وهى فى رأيى أشبه بمعمل اجتماعى تولى بذاته نفى عديد من السلبيات التي التصقت بالمجتمع المصرى.

ما هذه السلبيات التي تقصدها؟

السلبيات التي أوجدتها كارثة هزيمة يونيو 1967.

ما هو ردك على ما يقوله البعض خاصة أمين هويدى وزير الدفاع الأسبق بأن إسرائيل حققت أيضًا نصرًا فى أكتوبر؟

مجرد اختراق القوات المصرية لخط بارليف هو انتصار حاسم لمصر، تحقيق المفاجأة وإيقاع الخسائر بإسرائيل فى الأيام الأولى للحرب انتصار حاسم أيضًا، والذي يهم هو الحصاد النهائى فى الوعى العام للهزيمة أو الانتصار، والوعى العام هنا عادة ما يكون لديه حس صادق حتى لو حاول بعض المؤرخين والباحثين أن يكذبوا هذا الحس، وهناك دراسة إسرائيلية موثقة تقول: إن لدى الوعى العام الإسرائيلى حرب أكتوبر كانت هزيمة ساحقة لإسرائيل.

ما التفسير من وجهة نظرك لهذه الآراء التي تمثل صدمة للشارع العربى؟

أعتقد أن أمين هويدى يقصد أن الجولات كانت متعادلة، ولكن أقول إن مجرد القرار بشن الهجوم لتحرير الأرض ضد إسرائيل انتصار مصرى، وأنا أحترم كتابات هويدى جدًا ولكن فى موضوع حرب أكتوبر أختلف معه لأن الذي انتصر فيها مصر والعرب، والدليل أن حالة مصر بعد الحرب مقارنة بفترة ما قبل الحرب تغيرت كثيرًا للأفضل.

ما ردك على رأي الكاتب أسامة أنور عكاشة بأن أكتوبر كانت «انتصار الجنود المصريين وليس انتصار الرئيس السادات»؟

هذا كلام لا أساس له من الصحة ولا يجوز وفيه نوع من عدم النزاهة والقصد منه الإقلال من الدور البطولى للرئيس السادات فى قرار شن الحرب ضد إسرائيل، ويجب أن نتجرد فى الحكم على القيادات التاريخية المصرية مهما كانت عواطفنا مع من أو ضد من، وأنور السادات استطاع أن يقطع يد إسرائيل الطويلة فى أكتوبر وأنا لا أقبل كلام أنور عكاشة.

خصوم السادات لماذا، يحاولون سلبه مجده فى حين يعتبرون خطيئة عبد الناصر الكبرى، وهى النكسة مجدًا وهذا رأي الصحفى صلاح عيسى؟

فى تقييم الرؤساء الأهواء تعمل والموضوعية أحيانًا تختفى، ونحن فى حاجة إلى أكبر قدر من الموضوعية، وهزيمة يونيو كانت السقطة الكبرى لعبد الناصر، وترد إلى عجزه رغم شخصيته الكارزمية العظيمة - عن السيطرة على المؤسسة العسكرية وفشله فى إدارة الحرب، وهذا فى تاريخه لا يمكن أن يفلت منه والنظام الناصرى انتهى فى عام 67 وليس فى عام وفاة عبد الناصر فى 1970.

هل لازلت ترى أن مصير العملية السلمية الجارية هو الفشل الحتمى؟

التسوية الجارية فشلت فعلًا لأن ما نراه الآن منذ تولى نتانياهو الحكم فى إسرائيل هو موجة استيطانية جديدة ضد الشعب الفلسطينى بكل ما يعنيه الاستعمار الاستيطانى، ولابد أن نواجه الحقيقة والواقع بصراحة.

ما الحقيقة الواجب مواجهتها؟

الحقيقة هى أن هذه الموجة الاستيطانية لن يوقفها زيارة أولبرايت ولا الراعى الأمريكى المتميز ولا الشجب التقليدى العربى ولا التصريحات التي لا معنى لها ولا الدعوة إلى الصبر والانتظار ولا الدعوة إلى تشجيع الدول فى أن تضغط، كل هذا الكلام لا أساس له، وإنما الذي يوقف هذه الموجة ويعاقب إسرائيل عقابًا شديدًا هو حركة المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وبالتالى إن لم يقابل العرب الفعل بالفعل وليس الفعل بالكلام لا مجال لوقف هذه الهجمة الاستيطانية.

كيف يتحقق وقف الاستيطان؟

عن طريق إسقاط ضحايا إسرائيليين كل يوم هذه هى الطريقة الوحيدة، وليس هناك بديل سوى قطع يد إسرائيل ثانية وحتى نثبت لهم أن الأمن لن يتحقق بالاستعمار الاستيطانى.

معنى هذا أنك ترى أن أكتوبر ليست هى آخر الحروب مع إسرائيل؟

لا.. الحروب النظامية مستبعدة إلا إذا حاولت إسرائيل أن تشن حربًا على سوريا، وإنما فى الأجل المنظور سيناريو الحروب النظامية مستبعد.

هل إسرائيل تدرك ذلك وبالتالى تتمادى فى الاستيطان والتعنت؟

إسرائيل تعرف أن الحرب القادمة ستكون حرب عصابات، والأخبار التي تتناقلها الصحف تشير إلى أنها تستعد لذلك، وأعتقد أن حرب العصابات ستوقع بها خسائر أكبر من الحرب النظامية.

هل ترى أن عرفات هو رجل هذه المرحلة؟

عرفات كان ومازال معبرًا دائمًا، ولكن إذا استمر عرفات فى مواجهة الموجة الاستيطانية بطريقته هذه، قد لا يكون عرفات هو رجل المرحلة القادمة.

هل ترى ضرورة لوقف التطبيع لحين ظهور جديد يبرره؟

لا يوجد تطبيع.

لكن فى مصر دعاة كثيرين للسلام والتطبيع.

ومن قال إننا دعاة حرب؟ نحن دعاة سلام وليس هم، ولكن يجب وقف ممارسة التطبيع مع إسرائيل إلى أن تنشأ الدولة الفلسطينية وتحقيق المطالب المشروعة للشعب الفلسطينى، ومقاومة التطبيع وثيقة سياسية للمثقفين المصريين منذ 20 عامًا ومستمرة وهى تدل على حيوية المجتمع المدنى المصرى واستقلاليته إزاء الدولة، ولن تستطيع إسرائيل أن تلوى أيادى المثقفين المصريين بفرض التطبيع عليهم لأنه لا يفرض ومهما كان هناك دعاة للتطبيع فهم يعدون على أصابع اليد الواحدة ولا يعبرون أي تعبير ولا وزن لهم فى الشارع الثقافى المصرى.

هل هذا التقييم منك ينطبق على المثقفين المصريين الذين شاركوا فى اجتماعات كوبنهاجن؟

ينطبق عليهم جميعًا كل من دعوا للتطبيع وعملوا كوبنهاجن لا يعبرون عن جمهور المثقفين المصريين إطلاقًا، وبالأوزان النسبية لا وزن لهم إزاء وزن جموع المثقفين هم مجموعة محدودة العدد ومنطقهم أيا كان لا يتفق مع ما يحدث الآن.

لماذا ترفض منطقهم؟

لأنه لا يجب أن نعطى إسرائيل ورقة رابحة وكأننى أمنحها مكافأة على جرائمها العنصرية ولماذا المكافأة وهى لم تبد أي رغبة أو أي ميل إلى حل المشكلة الفلسطينية، والمقولات التي يرددونها عن الضغط على إسرائيل من خلال جمهور السلام هذا كلام واهى لأن غالبية الشعب الإسرائيلى انتخبت نتانياهو وأي كلام عن مظاهرات السلام فى إسرائيل هو مجرد كلام فلكلورى لن يؤثر فى السياسة الإسرائيلية.

إذن ما الذي يؤثر فى السياسة الإسرائيلية؟

الذي يؤثر الفعل وليس الكلام هم يفعلون ونحن العرب نتكلم المطلوب مقاومة مدعومة من كافة الشعوب العربية لأنها المدخل لحل الصراع.

برأيك ما المصلحة المباشرة لدعاة التطبيع؟

لا توجد مصلحة مباشرة، وإنما هى وجهة نظر ولكنها مرفوضة، وأنا ضد التطبيع بدرجة مائة فى المائة.

هل تحفظت على قرار اتحاد كتاب مصر بالتحقيق مع المطبعين من أعضائه؟

أنا رجل قانون قبل أن أكون أستاذًا فى علم الاجتماع، والتحقيق لابد أن يكون له أساس قانونى يوجب إحالة شخص للتحقيقات سواء فى نقابة الصحفيين أو فى اتحاد الكتاب، وأطالب قبل التحقيق إثبات أن هناك نصًا يسمح بذلك

وأن كافة الإجراءات الشكلية روعيت، وأعتقد أن دستور النقابة والاتحاد يخلو من نص يسمح بالتحقيق مع عضو له وجهة نظر مخالفة.

ولكن هل نال من موقف مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام أن شارك مديره الدكتور عبدالمنعم سعيد فى كوبنهاجن؟

لا. لأن الدكتور عبد المنعم سعيد يقوم بعمله باقتدار، وما حدث وجهة نظره والمركز له تقليد هو القبول بالاختلاف.

ما الأخطاء العربية التي ترصدها فى مسيرة التسوية السلمية مع إسرائيل؟

سؤال صعب جدًا، أولًا من الأخطاء البارزة مسلك منظمة التحرير فى إجراء مفاوضات سرية أدت إلى أوسلو دون التشاور، وبالتالى أوسلو بها ثغرات لا حدود لها، الأخطاء الأخرى تسرع بعض الدول العربية مثل الأردن فى إقامة علاقات مع إسرائيل وهرولة البعض الآخر فى إقامة هذه العلاقات قبل أوانها والخطأ الأخير، هو عدم الالتفات إلى أن الكلام لن يجدى مع نتانياهو.

لماذا قلت إن العنف الإسلامى وجد جذوره فى أرضية جماعة الإخوان المسلمين؟

لأن الإخوان كان لديهم جهاز سرى قام بالاغتيالات وهى ثابتة فى حقهم.

كيف خلصت إلى أن الرؤية الإسلامية المزعومة - حسب تعبيرك - لحزب العمل ما هى إلا رؤية دنيوية؟

لأن الهدف هو الوصول إلى السلطة.

هل تغير رأيك فى أن صحيفة «الشعب» لسان حال الحزب متخصصة فى تقديم الثقافة السياسية المغشوشة؟

لا توجد ثقافة سياسية، هى مقالات إنشائية وخطب منبرية ليس إلا، فما معنى أن ينشر مقال فى صفحة كاملة ليست هذه هى الصحافة الحديثة، لأن الصحافة الحديثة تقوم الآن على الإيجاز وتقديم المعلومات وعدم المبالغة وعدم اللجوء إلى الغوغائية وعدم إلقاء التهم جزافًا.

هناك اتهام لك بأنك كثيرًا ما تنتقد أفكار الآخرين ونادرًا ما تكشف عن أفكارك؟

أعتقد أن هذا الكلام لا أساس له من الصحة، أفكارى معروضة ومنشورة وأنا رجل اشتراكى ديمقراطى لا أقبل الحل الرأسمالى الكامل وأرفض أيضًا التطبيق الجامد للماركسية وأدعو إلى صيغة وسط.

هل يوجد كاتب يكتب للنخبة فقط؟

القضايا التي أطرحها لا أتوقع لشخص تعليمه عادى أن يستطيع متابعتى فيها، والكاتب لا يوزع نفسه على القراء.

ما تعريفك مصطلح التطرف الفكرى؟

هذا صعب جدًا، وإنما مفهوم التطرف الفكرى ممكن أن يرتبط بمفاهيم أخرى مثل ظاهرة الجمود الفكرى والانغلاق الفكرى، والتطرف الفكرى هو عدم رؤية الواقع وإنما الانغماس فى الصياغات النظرية الجامدة.

كيف ترصد التحولات الفكرية لدى بعض المثقفين فى مصر؟

المثقف الأصيل هو من لديه رؤية محددة للعالم تصدر عنها أحكامه وتقييماته، وهو من يمتلك ما يمكن تسميته مشروعًا فكريًا، وليس معنى ذلك أن يجمد على مشروعه، قد يتغير والتغيرات قد يكون مبعثها تغيرات داخلية فكرية تتعلق بنضج الشخص أو بالفكرة التاريخية، أو بظهور متغيرات جديدة فى العالم أو الوطن، وبالتالى قد يغير من بعض أفكاره أو يطورها، ولكن ما يلفت النظر، الانتقال من النقيض إلى النقيض.

ما الحالة الصارخة التي تراها تعكس وبدقة الانتقال من النقيض إلى النقيض؟

حالة المفكر جارودى، ينتقل من شيوعى يمينى، إلى مسيحى كاثوليكى، ثم إلى مسلم، هذه حالة ملفتة للنظر، و مسألة غير منطقية، ودهشتى هنا ما علاقة رؤية العالم الاستانلية الماركسية وما علاقتها بالرؤية المسيحية، وما علاقة المسيحية بالإسلام.

لكن هذه حالة جارودى، ماذا عن النموذج المصرى؟

حالة الكاتب عادل حسين، فهو تحول من مفكر ماركسى متزمت، إلى مسلم متزمت، هذه مسألة ملفتة للنظر، من حق كل إنسان أن يغير ما يشاء، إنما أنا أقول توجد انتقالات فكرية ليست مفاجئة، وليست متزمتة أو مبالغة، ودائما فى مثل المستشار طارق البشرى، فهو أصدر كتابا مهما، هو «الحركة السياسية فى مصر» منذ الستينيات، وكان له موقف وانتقادات لحركة الإخوان المسلمين فى تاريخها كله، وربما وقف متعاطفا إلى حد ما مع قوى اليسار، وبعد مرور 20 عاما أراد أن يعيد طبعة ثانية من الكتاب، فاحتار هل سيغير من الأحكام التي كتبها؟ لأنه أصبح أقرب إلى التيار الإسلامى.. ماذا يفعل؟ فاختار حلا موفقًا جدا، هو أن يترك المتن كما هو، وكتب مقدمة جديدة، أعتبرها خطابا رفيعا للنقد الذاتى، قال فيها: لماذا كانت ملاحظاته سلبية إزاء هذا التيار، ولماذا رجع فى كلامه، أنا أعتقد أن هذا مثال على الأمانة الفكرية، بعكس أصحاب الانتقالات المفاجئة من النقيض إلى النقيض، وما يصاحب ذلك من انتقالات مفاجئة لقطع علاقاتهم نهائيا بماضيهم، بل

ويمارسون التطرف فى الاتجاه الآخر لتغطية ما فات، وكأنه يتخلص من ماض يعتبره ماضيا آثم ويبالغ فى رفع شعارات تياره الجديد والإغراق فى تطرفه.

هل هذا الكلام ينطبق على موقف الكاتب لطفى الخولى؟

أنا لا أحب أن أعلق وأنا ضربت أمثلة بأشخاص، لأنها أمثلة يمكن أن نسميها نموذجية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عبد المنعم سعيد

أجريت مع الدكتور عبد المنعم سعيد حوارين الأول فى أكتوبر 1997 والثانى بعد أزمة قطر مع مصر والسعودية والإمارات فى المرة الأولى كان ضمن وفد تحالف كوبنهاجن حين تولت وزارة الخارجية الدانماركية رعاية اقتراح للصحافى الدنماركى هربرت پونديك، المقيم فى إسرائيل، بترتيب حوار بين عدد من المثقفين المصريين والإسرائيليين المهتمين بالتسوية السياسية للصراع العربى - الإسرائيلى على أساس صيغة مدريد وتنفيذ اتفاق أوسلو، بهدف تكوين نواة كتلة شعبية لدفع عملية التسوية وبعد استطلاع رأي المصريين والإسرائيليين رعت الخارجية الدانماركية اجتماعين فى لويزيانا التي تبعد 45 كيلومترًا عن كوبنهاجن. انعقد أولهما فى أكتوبر 1995، وحضره من الشخصيات المصرية كل من: الكاتب الصحفى محمد سيد أحمد، والكاتب الصحفى لطفى الخولى، وأحمد فخر رئيس المركز القومى لدراسات الشرق الأوسط، والدكتورة منى مكرم عبيد عضو مجلس الشعب فى حينه والأستاذة فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة. واعتذر عن عدم الحضور لأسباب طارئة الدكتور عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام. وحضر الاجتماع الثانى الذي انعقد فى فبراير 1996، كل من لطفى الخولى والدكتور محمد السيد سعيد نائب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام والدكتور إبراهيم كامل رجل الأعمال والدكتورة سميحة فوزى الأستاذة فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى جامعة القاهرة والدكتور جمال عبد الجواد الخبير فى مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية.

يومها كان الدكتور عبد المنعم سعيد يشغل منصب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام وفسر مشاركته فى التحالف بأنه يؤمن بضرورة العمل السياسى على جميع الجبهات للسعى لتحقيق المطالب العربية.

كانت نقابة الصحفيين قد إحالته للتحقيق وهناك علامات استفهام حول مشاركته فى اجتماع كوبنهاجن مع إسرائيلى وقال إن المشكلة مع نقابة الصحفيين بدأت بعد اشتراكى كعضو فى التحالف الدولى من أجل السلام العربى الإسرائيلى حيث قام مجلس النقابة بتوجيه لفت نظر لى وللأستاذ لطفى الخولى على أساس أننا خالفنا قرارات الجمعية العمومية للنقابة.

نشر الحوار بعنوان «د. عبد المنعم سعيد.. لا أرى فيما أفعله تطبيعًاوذهبنا إلى كوبنهاجن برضاء عرفات»

السؤال الأول ما حقيقة إحالتكم للتحقيق فى نقابة الصحفيين؟

المشكلة مع نقابة الصحفيين بدأت بعد اشتراكى كعضو فى التحالف الدولى من أجل السلام العربى الإسرائيلي، حيث قام مجلس النقابة بتوجيه لفت نظر لى وللأستاذ لطفى الخولى على أساس أننا خالفنا قرارات الجمعية العمومية للنقابة.

هل حقا خالفتما قرارات الجمعية العمومية؟

نحن رددنا على قرار لفت النظر ووضحنا أن خطاب النقابة يحوى أخطاء بارزة حيث كان يتحدث عن التحالف العربى الإسرائيلى وليس التحالف الدولى.

هل الأزمة انتهت على الأقل من جانب النقابة بخطاب لفت النظر؟

لا. إذ ظهر فجأة موضوع جديد هو التحقيق معنا من خلال قرار اتخذه مجلس النقابة فى غياب نقيب الصحفيين وبرغم ذلك أرسلنا ردًا جديدًا ومعه مذكرة قانونية تتعلق بالدستور وتتعلق بسوابق المحكمة الدستورية وتتعلق بقانون النقابة وحتى هذه اللحظة لم يصلنا رد.

هل تأخير الرد يحمل دلالة معينة من وجهة نظرك؟

أتصور أن هناك وجهة نظر معينة تريد أن تستبعد وجهة نظر أخرى، وبعد أن فشلت فى إقصائها من الساحة السياسية عن طريق الحوار تحاول أن تلجأ إلى إجراءات عقابية لاستبعادها من الحديث.

لكن التحقيق معك هل سببه زيارتك لإسرائيل أم الاجتماع مع إسرائيليين؟

لا أعرف، المكتوب هو مخالفة قرارات الجمعية العمومية، ولهذا أرسلنا خطابًا للنقابة نقول فيه ماذا يقصد المجلس. لأن لو سبب القرار هو الاتصالات مع شخصيات إسرائيلية فهذا يعنى أن نصف أعضاء النقابة ينتظرهم التحقيق المماثل.

طالما تقول إن نصف الأعضاء لهم سوابق مع إسرائيل هل التحقيق طال غيرك ولطفى الخولى.

مؤخرًا تم لفت نظر عضوى النقابة عماد أديب والدكتورة سونيا دبوس، وذلك ضمن القرار الصادر بالتحقيق معنا فى حين أن السؤال ينطبق على عدد كبير جدًا من الصحفيين ويجب ألا ننسى أن النقابة شهدت انتخابات منذ شهور قليلة وكان مرشحًا فيها الأستاذ مكرم محمد أحمد وفاز بأغلبية ساحقة وموقفه من هذه القضية معروف، ولا توجد عنده العقدة الموجودة عند الآخرين، وبالتالى حدث استفتاء أمام الصحفيين على هذه الحقيقة واختاروه.

عفوًا يا دكتور هل تعتقد أن انتخاب مكرم محمد أحمد جاء لكونه مع التطبيع؟

بالطبع لا، ولكن قضية العلاقة مع إسرائيل هى جزء من جدول أعمال طويل لدى النقابة.

لماذا هاجمت نقابتى الصحفيين والمحامين فى صحيفة هآرتس الإسرائيلية؟

لم يحدث أن هاجمت، وما نشر فى الصحف المصرية عن هذا الموضوع يعكس سوء النية الموجودة داخل الوسط الصحفى المصري.

ماذا قلت إذن؟

قلت إن فى مصر قوى مؤيدة للسلام، ونفيت نفيا قاطعًا أننى طردت من نقابة الصحفيين، مؤكدًا أننى لازلت عضوًا بها، ومحاولة طردى منها سوف تفشل.

ما سر إقحام أزمة نقابة المحامين مع المحامى فريد الديب فى هذه التصريحات الخاصة بك؟

استشهدت بأزمة نقابة المحامين لأدلل على القدرة المصرية داخل النقابتين للحفاظ على حرية الرأي.

هل تؤيد فريد الديب فى موقفه بقبول الدفاع عن عزام الجاسوس؟

نعم، ولو تمت محاكمة الجاسوس الإسرائيلى دون وجود محامى مصرى لكان الموقف المصرى ضعيفًا والديب كان على حق فى قبوله الدفاع، ومن هاجمه أضر بصورة القضاء المصرى.

هل ترى أن نقيب محامى القاهرة المحامى عبد العزيز محمد لم تصله رسالتك ولهذا رد عليك فى الأهرام؟

هو رد علىَّ وأشاد بى فى نفس الوقت، والذي حدث أنه تراجع فى كلامه، لأن الخطاب الذي أرسلته النقابة إلى فريد الديب كان يشير صراحة إلى أنه سيتم

التحقيق معه بسبب قيامه بالدفاع عن الإسرائيلى عزام، ولدى صورة ضوئية من الخطاب، وليس كما قال نقيب المحامين فى القاهرة إن التحقيق معه سببه التصريحات التي أدلى بها إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية.

بعيدًا عن تداعيات كوبنهاجن، ما الذي دفع مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام لحضور هذا الاجتماع شبه المرفوض؟

إيمانى بضرورة العمل السياسى على جميع الجبهات، للسعى لتحقيق المطالب العربية والتدهور الحادث فى عملية السلام ووصول شخصية عنصرية مثل نتانياهو والتي تتطلب مواجهتها حشد كل الأوراق والتحركات داخل إسرائيل وخارجها على النطاق الدولى لمقاومة ما يقوم به وبدأت لتقويض عملية السلام.

مشاركتك فى كوبنهاجن أضاعت حياد مركز الدراسات السياسية؟

مركز الدراسات هو مركز غير محايد، والعاملون به لهم انحيازات فكرية وعلمية مختلفة. وهذه المشاركة منى لن تؤثر على موضوعية المركز ولا حياده.

معنى هذا أن حضور اجتماع كوبنهاجن كان بصفتك الشخصية؟

فعلا هى مشاركة شخصية بعيدة عن كونى مديرًا للمركز.

بماذا ردت على معارضى كوبنهاجن من داخل المركز بعد عودتك؟

عقب عودتى من الاجتماع قلت لزملائى المعارضين: اكتبوا بقوة، ولكن فى حدود أدب الحوار والاختلاف.

هل ترى أن المشاركة الشخصية هى التي دفعت الأستاذ السيد ياسين إلى أنه يصف مجموعة كوبنهاجن بأنها جماعة لا وزن لها فى الوسط الثقافى المصرى؟

الأستاذ السيد ياسين أستاذى، لا أستطيع أن أعقب عليه ولكن لو كانت هذه هى الحقيقة فما المشكلة إذن؟

بم ترد على من يقول إن دعاة السلام فى إسرائيل ليس لهم أي تأثير على السياسة الإسرائيلية؟

وهل هناك عنصر واحد يؤثر على السياسية الإسرائيلية؟ الواقع أن الذي يؤثر على السياسية الإسرائيلية مجموعة عناصر منها الموقف الدولى والموقف الأوروبى وتوازن القوى العسكرى والصمود إزاء عمليات الاستيطان وحجم وضغوط قوى السلام داخل المجتمع الإسرائيلى.

هل لديك تفسير لموقف الرافضين للتطبيع وهم الأغلبية؟

فى مصر توجد مدرستان تعارضان ما فعلناه، الأولى ترفض عملية السلام كلها وتعريفها للسلام يقوم على تقويض الوجود الإسرائيلى كله بمعنى أن إسرائيل وجودها فى حد ذاته جريمة وبالتالى لا تعامل لا تفاوض وهذه المدرسة تتجسد فى الناصريين الذين يتكلمون دائما عن حل عسكرى.

من أبرز المنادين بالحل العسكرى فى هذه المدرسة؟

الأستاذ ضياء الدين داود أمين عام الحزب الناصرى يتكلم كثيرا عن زحف الجيوش العربية ومعه الدكتور عبد العظيم أنيس الذي يتكلم أيضا عن أهمية استئناف العمل الفدائى المسلح، أما المدرسة الثانية فترى أن التطبيع هو الورقة الوحيدة المتاحة لدينا ومن ثم يجب أن نستخدمها للضغط على إسرائيل فى حين أن التطبيع ليس ورقة واحدة وإنما هو مجموعة أوراق ولا أرى فيما أفعله تطبيعًا.

وأنت كباحث سياسى ما سبب رفض الناصريين للعملية السلمية وتكرار مناداتهم بالحل العسكري؟

الناصريون يحاولون إعادة إنتاج الماضى، ولا توجد لديهم الشجاعة حتى الآن لدراسة التجربة الناصرية التي حدثت فى الستينيات وتجربة هزيمة يونيو 1967 على وجه التحديد وعندهم قدرة هائلة على عدم التعامل مع المعطيات المعاصرة.

ماذا تقصد بعدم القدرة على التعامل مع المعطيات المعاصرة؟

أقصد أن الناصريين لديهم جمود فكرى شديد منذ اللحظة التي توفى عندها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

قلت إن كوبنهاجن من أهدافه مواجهة مواقف نتانياهو، كيف حدث هذا من يناير وحتى الآن؟

بالفعل حدثت على مدى الأشهر الماضية تطورات مهمة فعلى الصعيد السياسى أعتقد أننا نجحنا فى إحداث تقدم لدى جماعة السلام الآن بحيث أصبحوا يتبنون الآن القدس كعاصمة لدولتين، وبالتالى قبول فكرة إعادة التقسيم السياسى للقدس كما حدث تقدم فى برنامج حزب العمل الإسرائيلى المعارض وآخر فى برنامجه المعلن فى مايو الماضى قبول حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى بما فيه حقه فى إقامة الدولة وهذا النص مأخوذ من إعلان كوبنهاجن.

هذا يعنى أنك تنسب ما تسميه التغيرات الإيجابية فى برنامج حزب العمل لكوبنهاجن؟

نعم، وأعتقد أننا قدمنا مساهمة جيدة فى هذا الإطار، وأريد أن أنبه إلى شىء مهم جدًا هو أن إحدى نقاط الضعف الرئيسية التي كانت لدى قوى السلام الإسرائيلية أنها كانت تتهم من قبل الإسرائيليين بأنه لا يوجد لها شريك فى العالم العربى وبالتالى تتهم بعدم الوطنية وجود مجموعة كوبنهاجن من المصريين والفلسطينيين والأردنيين والإسرائيليين طرد هذا الشك ودعم موقف جماعة السلام فى إسرائيل.

من الذي اختار مجموعة كوبنهاجن المصرية؟

لم يخترها أحد، الذي حدث هو أن الأستاذ لطفى الخولى اتصل بى وبعد ذلك اتصلنا بآخرين بعضهم وافق والبعض الآخر تراجع فى اللحظة الأخيرة بعد أن زادت السخونة.

من الذي تراجع فى اللحظة الأخيرة؟

اللواء أحمد فخر مدير مركز دراسات الشرق الأوسط.

لماذا لم يتم اختيار الدكتور عبد العظيم رمضان المؤيد للتطبيع بشدة فى كوبنهاجن؟

أنا لا أعرفه.

وهل لا تعرف آراءه أيضا خاصة موقفه من إسرائيل؟

الدكتور عبد العظيم رمضان لديه أفكار أوافق عليها وأخرى أرفضها فى موضوع السلام أوافق على الكثير مما يقوله وأعتقد أنه كاتب كانت لديه آراء مبكرة فى هذا الإطار، المشكلة أنه يدخل معارك جانبيه بعيدًا عن فكرته الرئيسية وهذا يعرضه لمشاكل عديدة.

وهل توافق أيضا الكاتب على سالم فى رأيه شديد التطرف من وجهة نظر الكثيرين عندما وصف من هم ضد التطبيع بأنهم متخلفون عقليا؟

على سالم له طريقة مسرحية فى إخراج كثير من آرائه ووجود معارضين لكوبنهاجن أضاف إليها قوة ورصيدا.

هل حقا أخطأت مجموعة كوبنهاجن التوقيت والموضوع كما قال الكاتب عادل حسين؟

عادل حسين يتحدث كغيره عن أشياء لا تخصنا فى شىء بمعنى أنه يركز على نتانياهو وهو لا يعرف أن كوبنهاجن هى لمقاومة نتانياهو، ومعروف عن عادل

حسين أنه من أنصار الحل الوجودى للصراع وأنا شخصيًا أختلف مع تعريفه للسلام وأرى أن كلامه جرى وراء سراب.

كيف تقيم وزن دعاة التطبيع داخل المجتمع المصرى؟

كثيرون وغالبية المصريين ضد الحرب وضد العودة إلى مسلسل التعبئة الفكرية والأغلبية المصرية استقبلت العام الماضى 623 ألف سائح إسرائيلى وليس معنى هذا أن الشعب المصرى موافق على ما تفعله حكومة الليكود.

ولكن أنت تعلم أن الليكود قفز إلى الحكم بأصوات الإسرائيليين؟

ليس جميع الأصوات هناك من هم ضد الليكود وعلينا أن نستفيد من موقفهم.

وهل لهذا قلت إن تجربة المقاطعة فى الماضى ضاعت تحت ظلالها فلسطين؟

تحت ظلال المقاطعة فقدنا فلسطين والجولان وسيناء والتفاوض أعاد لمصر سيناء والتطبيع كما قلت ليس ورقة واحدة والتعامل مع التطبيع على أنه نوع من «النجاسة» خبل سياسى.

فى رأي الكثيرين أهداف كوبنهاجن الخمسة نظرية جدًا وإلا هل يعقل أن تتخلى إسرائيل عن ترسانتها النووية؟

يعقل جدًا لأنها تخلت عن سيناء.

لماذا قلت إن هناك من يعجزون عن إدارة مقاعدهم لكى يشاهدوا أراضى سيناء؟

لأن هذا هو الجوهر، من معه الأرض يكسب ومن ليست معه يخسر هذه هى المعادلة، المعركة مع إسرائيل منذ نشأتها لها هدف هو الأرض والسكان، وكثيرون فى مصر لا يريدون أن يروا هذه الحقيقة مثل ما أراه الآن من كتابات وتسفيه لكامب ديفيد وتمجيد لمرحلة حدثت فيها الهزيمة.

كيف تنظر لمن يهاجمون الرئيس السادات؟

لن أدخل فى النوايا لكن المؤكد أن هؤلاء المهاجمين لديهم جمود سياسى.

وهل الجمود السياسى وحده دفعهم إلى التشكيك فى انتصار أكتوبر؟

الناصريون لم يتحملوا أن الانتصار تم على يدى السادات ولم يتم على يدى الرئيس جمال عبد الناصر والمؤسف أن مفكرين كبار لم يستوعبوا بعد هذه الحقيقة.

من يدرك العرب أم إسرائيل مقولة «كيسنجر» أن السلام فى الشرق الأوسط كراكب الدراجة الصاعد على التل إذا لم يواصل الصعود لا يتوقف وإنما يتراجع؟

الكل يدركها بنفس المعنى.

هل توافق قطر فى إصرارها على عقد مؤتمر الدوحة الاقتصادى؟

نعم وهناك تحامل على قطر لأنها دولة عربية صغيرة واتخذت قرارًا وسط مشاركة عربية فى عمان باستضافة المؤتمر ولا تستطيع أن تتخلى عن التزامها الدولى وبالتالى الضغوط الكثيرة عليها فى غير محلها وعلى الدول العربية أن تقرر حجم مشاركتها.

وماذا تتوقع للمؤتمر؟

أتوقع الفشل

من هم أبرز خصوم السلام فى مصر؟

الإسلاميون والناصريون والقوميون والغريب أنه معسكر فكرى غير متجانس فى قضايا أخرى.

هل نالت خطوة كوبنهاجن من رضاء عرفات قبل أن تخطوها؟

نعم ولولا رضاء عرفات على كوبنهاجن لما ذهبنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نوال السعداوى

هذا الحوار جرى مع الكاتبة الدكتورة نوال السعداوى فى شقتها التي تسكن فيها فى منطقة الكورنيش بشبرا وهى نفس العمارة التي تقيم فيها كريمتها الدكتورة منى حلمى.

ذهبت إليها فى الساعة الرابعة عصرا، وبعد أن وصلت اكتشفت أن عطلا ما فى جهاز الكاسيت الخاص بى، واتصلت بزوجها الدكتور شريف حتاتة الذي كان موجودا، وساعدنا بإحضار جهاز كاسيت بديل كبيير الحجم وجرى الحوار معها يحمل تساؤلات كثيرة عن مسيرة نوال السعداوى وجرأة طرحها.

كانت ومازال لها آراء مثيرة، ففى قانون الطلاق تحديدًا تقول: يجب أن تمنح المرأة نفس الحقوق التي يتمتع بها الرجل بحيث يكون فى يد المرأة قرار الطلاق مثل الرجل تمامًا وألا يحدث الطلاق بقرار منفرد من الرجل وأن يتم أمام دائرة قضائية وألا يسمح للرجل بتطليق زوجته إلا أمام المحكمة كما

أطالب بمنع تعدد الزوجات وتعديل قانون الجنسية بحيث تمنح الأم المصرية الجنسية لأطفالها.

فى الواقع تحقق بعض ما طالبت به وأصبحت الأم المصرية تمنح أولادها الجنسية المصرية كما تم إنشاء محاكم الأسرة.

عنوان الحوار د. نوال السعداوى:قاسم أمين ليس نصيرًا للمرأة.. ولم ينصفها

السؤال الأول بعد مرور عقود عديدة على تمردك ما الذي تغير فى قناعاتك؟

قناعاتى لم تتغير وأنا مؤمنة بنفس المبادئ التي ناديت بها طوال السنوات الماضية.

ما هذه المبادئ؟

العدل والحرية والحب وهى مبادئ موجودة فى جميع الديانات.

معنى هذا أنك لا تزالين على موقفك الرافض للمجتمع الأبوى فى مصر؟

أنا أرفض المجتمع الطبقى الأبوى فى مصر.

ماذا تقصدين بمصطلح النظام الطبقى الأبوى؟

أقصد أن الذي يحكم المجتمع قلة صغيرة تمثل طبقة حاكمة من الذكور، هذا هو مفهومى للنظام الطبقى الأبوى.

ما اعتراضك تحديدًا على ما تسمينه بالنظام الطبقى الأبوى؟

لأنه يسمح لطبقة معينة - وهى الذكور - بالسيطرة والتحكم فى الأغلبية الساحقة من الناس.

ما البديل الذي تقترحينه؟

أطالب بتغيير عدد من القوانين التي تنحاز إلى الرجل على حساب المرأة بل وتظلمها.

ما القوانين التي تطالبين بتغييرها؟

قانون الطلاق وقانون تعدد الزوجات والجنسية.

ما الذي تطالبين بتغييره تحديدًا فى هذه القوانين؟

فى قانون الطلاق تحديدًا، يجب أن تُمنح المرأة نفس الحقوق التي يتمتع بها الرجل بحيث يكون فى أيدى المرأة قرار الطلاق مثل الرجل تمامًا وألا يحدث الطلاق بقرار منفرد من الرجل، وأن يتم أمام دائرة قضائية وألا يسمح للرجل

بتطليق زوجته إلا أمام المحكمة، كما أطالب بمنع تعدد الزوجات وتعديل قانون الجنسية بحيث تمنح الأم المصرية الجنسية لأطفالها.

لكن الإسلام يبيح تعدد الزوجات؟

هناك دولة إسلامية منعت تعدد الزوجات مثل تونس، والإنسان سواء كان رجلًا أو امرأة يجب أن يكون مسئولًا عن الأسرة والأطفال، والسؤال لماذا يذهب الرجل ويتزوج امرأة أخرى؟ كيف يمارس الرجل الجنس مع أربع نساء فى وقت واحد؟ وينتقل من فراش إلى فراش امرأة أخرى؟ أنا ضد تعدد الزوجات ويجب أن يصدر قانون جديد ينص على أن يكون الزواج الثانى للرجل أمام دائرة قضائية وبعد استطلاع رأي الزوجة الأولى فى الانفصال أو الاستمرار.

لماذا تطالبين بأن يكتب اسم المولود باسم أمه؟

وما المانع؟ هل لو حدث ذلك ستنهد الدنيا؟ الأم تعطى اسمها إلى الطفل فى بلاد متقدمة كثيرة وحتى فى بعض الدول الإفريقية.

ما جدوى أن تمنح الأم اسمها للطفل؟

أولًا الاعتراف بقيمة الأم والشرف المقترن باسمها، أنا أعتقد أنه من دواعى الشرف لأبنائى أن يحملوا اسمى، النقطة الثانية هى أن الرجل مادام هو الوحيد الذي يحتكر مسألة الاعتراف بالجنين ويجعله طفلًا شرعيًا بالتأكيد سوف يستغل هذا ضد النساء.

كيف يستغل الرجل اعترافه بطفله؟

فى حالات الاغتصاب يهرب الرجل، وتلد الأم طفلا لا يحمل اسم الأب والبديل فى هذه الحالة هو أن تمنح الأم اسمها للمولود وأن يكون الاسم مشرفًا.

معنى هذا أنك تقترحين أن تمنح الأم اسمها لأبناء السفاح؟

طبعًا ولماذا نطلق عليهم أبناء السفاح؟! هذه الكلمة أرفضها، لأنها جاءت من النظام الطبقى الأبوى، وعلى مسئوليتى وأنا طبيبة فإن 90% من الخادمات يُعتَدىَ عليهن جنسيًا من رب الأسرة، فهل نطلق على هذا الحمل حمل سفاح؟

ماذا نطلق إذن؟

لابد من إلغاء كلمة سفاح، لأنها تجعل الرجل فاسد الأخلاق، ومن هذه الكلمة نشجعه على الاعتداء الجنسى ثم يهرب من المسئولية وتدفع الضحية المسكينة الثمن، ولهذا يجب أن يكون ابنها غير الشرعى شرعيًا ويحمل اسم أمه.

لماذا تتناسين وباستمرار وضعية الدين؟

الإسلام دين العدل وهل من العدل أن أعاقب الضحية؟

ما ردك على الكثيرين الذين يرون أن أفكارك لا تتمتع بأي قبول يُذْكَر؟

هؤلاء يحاولون طوال الوقت تشويه صورتى وتسفيه آرائى.

من صاحب المصلحة فى ذلك؟

كثيرون، بدليل أننى لم أظهر فى التليفزيون المصرى ولا تتاح لى فرصة التحدث مباشرة إلى الناس.

وهل اعترض أحد على ظهورك؟

المسئولون فى التليفزيون يرفضون ظهورى، لأن الشباب سوف يشاهدنى ويتأثر بآرائى، وسبق أن طلبت الرد على الشيخ الشعراوي ولكن طلبى رفض وأنا أعتقد أن الشعراوي صنعه التليفزيون وأصبح نجمًا بسببه.

بصراحة لماذا الخوف من ظهورك؟

هم يعتقدون أننى كاتبة عن الجنس فقط، فى حين أنا أكتب فى أشياء أخرى واهتمامات عديدة تركز حول لقمة العيش والجنس.

لماذا وصفتى الكاتب فهمى هويدى بأن تقييمه للمرأة تعسفى وآراءه مبتسرة؟

كنت أرد عليه فى مقال حول بعض أفكاره التي لم ترق لى.

من أنصف المرأة فى الكتاب؟

لا يوجد أحد حتى الكاتب قاسم أمين.

وما اعتراضك على قاسم أمين؟

أنه قال: إننا نربى المرأة ونعلمها حتى تصبح زوجة وأما صالحة.

وما وجه الاعتراض هنا؟

لأنه اعتبر أن تعليم المرأة بهدف إعدادها لتكون زوجة وأمًا صالحة.

فى رأيك ما السر فى توقف أفكارك وعدم انتشارها؟

كما قلت، هناك كثيرون يحاولون منع أفكارى وعدم انتشارها داخل مصر، بدليل أن الجامعات المصرية يرفض الأساتذة بها أن أكون موضوعًا لرسائل

الدكتوراه والماجستير، وحدث أكثر من مرة أن رفض المشرف على البحث طلب الباحث أن أكون أنا الموضوع.

هل السبب فى ذلك أن أفكارك تتعارض مع الدين؟

غير صحيح أنا مسلمة وابنة رجل أزهرى، وقرأت القرآن أكثر من مرة، بدليل عندما يذكرون أسماء الكاتبات الروائيات فى مصر لا يذكر اسمى بينهن، والمثير أنهم يرددون كلامًا يحمل تشويهًا لى مثل القول بأننى أطالب بحرية الجنس بين الأولاد والبنات.

ما وجهة نظرك فى حجاب المرأة؟

أرفض الحجاب، والدين الإسلامى لا يفرضه.

ولكن توجد آية قرآنية تشير إلى الحجاب؟

الدين لا يؤخذ بالآيات فقط لابد أن نُرجع الآية إلى زمانها ومكانها وأسباب النزول، وحتى لو كانت الآية موجودة لابد أن أبحث لماذا جاءت؟ هذا هو الفهم الصحيح للإسلام.

معنى هذا أنك ضد الحجاب؟

ضده على طول الخط، وعلى ظاهرة المحجبات اللاتى يضعن المكياج وأحمر الشفاه، وأتساءل أيهما أكثر فتنة شعر المرأة أم عيناها؟ أنا «مش فاهمة إيه حكاية الشعر» لماذا تخفى المرأة شعرها؟

الحاصل الآن هو ظهور التيارات الأصولية التي تَدَّعى الدين، وللأسف هناك من شجعهم وكان سببًا فى ظهورهم.

من الذي شجعهم؟

الرئيس أنور السادات هو الذي شجعهم، وقتلوه لأن فى التاريخ هناك قصة دائمًا تتكرر، حيث يقتل الابنُ أباه، والتيارات الأصولية هى «ابن» السادات وقتلوه.

هل هناك عقدة لك مع الرجل؟

لا، توجد ولكن والدى هو الذي جنى علىَّ عندما علمنى التمرد، ولهذا أنا أكره تسلط الرئيس فى العمل.

وماذا عن تسلط الرئيسة؟

أحيانًا تكون الرئيسة «ألعن»، والدكتورة آمال عثمان جسدت النموذج الواضح على تسلط الرئيسة، خاصة خلال فترة توليها منصب وزيرة التأمينات

والشئون الاجتماعية. وكان بينى وبينها خلافات وأصدرت قرارًا بإغلاق جمعيتى.

وهل تحاملك عليها لأنها أغلقت كما تقولين فرع جمعية تضامن المرأة فى مصر؟

لا فهى التي صاغت كل قوانين الرئيس السادات والتي عرفت بـ القوانين سيئة السمعة.

ما ردك على ما قاله الشيخ يوسف البدرى بأنك لم تقدمى زادًا إلى الحركة النسائية؟

هو لا يعرف أي شىء عن الحركة النسائية ومن أين له أن يعرف؟ يجب أن يُسألَ أهل العلم وليس يوسف البدرى، هل قرأ الـ 23 كتابًا حتى يردد مثل هذا الأحكام.

وهل حقًا كما قال تخجلين من أن تذكرى أنك أمًا وزوجة؟

هذا جنون، كيف أرد على شخص كهذا؟! أنا زوجة وأم وأفاخر دائمًا بذلك، فأنا زوجة الدكتور شريف حتاتة وأم الكاتبة منى حلمى والمخرج عاطف حتاتة.

بصراحة من الذي كسب مناظرة قناة الجزيرة منكما؟

لم يحدث حوار بيننا، يوسف البدرى أضاع الوقت ولم يعطنى فرصة لكى أعبر عن آرائى، لكن بشهادة الجميع دمرت الشيخ يوسف البدرى وهو يستحق ذلك.

لكنه يتهم المذيع الدكتور فيصل القاسم بالانحياز إلى جانبك؟

غير صحيح، فيصل كان يحاول إنقاذ الحوار.. يوسف البدرى سقط وحده أمام المشاهدين ولم أبذل أي جهد لإسقاطه، وأنا تركته يسقط ويلف حول عنقه الحبل ويشنق نفسه بنفسه ولم أنقذه وكان بإمكانى إنقاذه لو انفعلت وكنت كلما أبتسم يسقط أكثر بعصبيته وعدوانيته.

ولكن يقول كسب المناظرة بالقاضية؟

هذه حلاوة الروح.

يوسف البدرى أعلن أنه سيخلع عمامته لو عرف عادل إمام نقائض الوضوء؟

وهل نقائض الوضوء تشكل أركان الإسلام؟! كثيرون لا يعرفونها وهناك أناس لا يتوضؤون ولهذا يجب أن يتغير مفهوم العبادات، هو يتصور أن العبادات هى كيف أتوضأ؟ وعدد مرات الوضوء وهل أدخل المرحاض بالرجل اليمنى أم

اليسرى ما هذا؟ هو وأمثاله يشوهون صورة الإسلام وكلامه يجعل المرء والعياذ بالله يكره الإسلام.

ما الفرق بين تدين الكاتبة صافيناز كاظم ويوسف البدرى؟

صافيناز كاظم هى الوجه المشابه لـ يوسف البدرى، هى يوسف البدرى المرأة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

محمود السعدنى

هذا الحوار جرى مع الكاتب الساخر محمود السعدنى فى مبنى النادى النهرى للصحفيين بالجيزة كان الموعد فى الثامنة مساء، كل يوم كان يجلس فى النادى الذي ساهم فى إنشائه وأصبح مكانًا يقصده الكبار للجلوس مع الكاتب الكبير.

فى أثناء الحوار كان مجاملا، بعد النشرعرفت أن الكاتب محمود السعدنى كان يتوقعه بطريقة أفضل ويومها تأثرت وتمنيت ألا يكون قد غضب، وأذكر أن بعد ذلك تحدثت معه تلفونيا وكان كما هى عاداته تلقائيًا كبيرًا فى المهنة أتابعه وأقرأ مقالاته وأستمع إليه ويوم وفاته أتذكر كنت فى مدينة الغردقة لحضور بطولة الاسكواش الدولية التي ينظمها الأهرام وكان الكاتب الصحفى إبراهيم حجازى يقدم برنامج فى دائرة الضوء على الهواء من هناك على مدى أيام البطولة، كنت رئيسا لتحرير البرنامج وقبل موعد الحلقة بساعتين اتصل الفنان صلاح السعدنى وأبلغ إبراهيم حجازى بالوفاة ويطلب المساعدة فى التواصل مع الشيخ محمد محمود الطبلاوى لإحياء أمسية العزاء، وجرى تغيير ضيوف الحلقة واستضافة الكاتب الساخر عاصم حنفى الذي كان موجودا فى الغردقة للمناسبة نفسها، كما جرى ترتيب مداخلات هاتفية مع الدكتور كمال الجنزورى رئيس وزراء مصر الأسبق والفنان عادل إمام وغيرهم من الشخصيات الكبيرة التي اقتربت من الكاتب محمود السعدنى.

نشر الحوار تحت عنوان: «محمود السعدنى: عبد الناصر مات مهموما»

السؤال الأول لماذا لم تعلن رأيك بصراحة من قضية التطبيع مع إسرائيل؟

أنا أعلنت رأيى ولكن يبدو أنك لست متابعا لى، والحكومة الإسرائيلية تقدمت بـ 11 احتجاجًا ضدى فى عام 1995، وهاجمتنى صحيفة إسرائيلية مرتين، رددت عليها فى المرة الأولى، أما فى الثانية كتبت: لن أرد حتى لا يحدث التطبيع عن طريق الشتائم المتبادلة.

لكن ما أقصده هو لماذا لم تقل رأيك حتى الآن فى مجموعة كوبنهاجن المصرية؟

أنا ضد المزايدات، وضد الصوت العالى، والكاتب لطفى الخولى من الممكن أن يخطئ، ولكنه ليس خائنا.

معنى هذا أنك تختلف مع من يرى أن التطبيع هو الورقة الأخيرة فى يد العرب؟

العرب حالهم لا يسر عدوا ولا حبيبا، وبرغم كل الظروف لم يجتمعوا ولا حتى يوحدوا الصف أو الهدف أو أي شىء «خالص» فإذا كان لطفى الخولى ومن معه يرى أنه بالكلام مع دعاة السلام فى إسرائيل - الذين لا أؤمن بهم - سيحقق شيئا، فليحاول، ولكننى فى المقابل أرفض نموذج التطبيع الذي يجسده الكاتب المسرحى على سالم.

ما الفرق فى رأيك بين مسلك على سالم ولطفى الخولى؟

لطفى الخولى يشتغل بالسياسة طوال عمره، والخطوة التي قام بها خطوة سياسية، أما على سالم فقد ارتكب غلطة عمره عندما «فبرك» حكاية ساذجة.

ما الذي «فبركه» على سالم؟

كَذَبَ، وقال إن زيارته لإسرائيل لم تكن بدعوة منها، وأنا أتحفظ على كلامه.

كما أنه عاد من إسرائيل، وبدأ يمارس دور الناصح الأمين.

ما الذي بينك وبين الدكتور عبدالعظيم رمضان؟

لا شىء.. وأنا أحترمه، ولكن لى تحفظات عليه، فأنا لم أعرف عنه أيام الرئيس جمال عبد الناصر أنه قال رأيه فى عبد الناصر، وبالتالى أغضب منه ولو «لكشه» الرئيس سنتين أو ثلاثة فى السجن أو ضربه «بالخرزانة» على رجله، كنت سأقول عنه إنه «رجل كويس» ولكنه كان صامتا.

هل حقا أنت أول من أطلق عليه كلمة الكمسارى؟

نعم

ولكن ألا ترى أن هذا تجاوز منك فى حقه؟

الكمسارى مهنة شريفة، وأنا عمى كان كمساريا، ولكن أنا أحب أن أداعب الناس «فهزرت» معه والحقيقة شرف كبير له أن يصبح هذا الكمسارى عالما كبيرا، وأستاذا فى الجامعة و«مؤرخًا معتبرًا».

هل قرأت رده عليك، عندما قال إن مهنة الكمسارى أشرف من مهنة ناصرى؟

عيب الدكتور أنه يشتم الناس وينتظر ألا يشتمه أحد.

وهل توافقه فى أن الناصرية أصبحت مهنة؟

هم يقولون إن الناصرية أصبحت مهنة، ولكنها ليست كذلك، وعبدالعظيم الآن لا يتوقف عن مهاجمة عبد الناصر.

ما اعتراضك على هجومه؟

يقول إن عبد الناصر كان ديكتاتورًا، وأقول له إنه لم يكن ديمقراطيًا، وكان حكمه حكم فرد وأسأله من الذي كان سيبنى السد العالى؟ هل مجلس النواب؟ يا دكتور رمضان.

هل توافق رأي الكثيرين فى أن نكسة 1967 أضاعت صورة عبد الناصر؟

لم تؤثر إطلاقا على صورته، الذي أضاعت صورته - بحق - الهزيمة كان «محمد على»، لأنه قبل أشياء مثل حل الجيش وإغلاق المصانع الحربية والمدارس، وخفض عدد الجيش، أما هزيمة يونيو لم تحقق أي مكسب سياسى للأعداء.

هل نسيت أن احتلال سيناء والجولان حدث فى عام 1967؟

ياريت إسرائيل احتلت القاهرة ودمشق وبغداد وعمان، كانت بحق نهايتها.

لكنها احتلت سيناء والجولان ولم تكن نهايتها؟

لأن سيناء صحراء، وتخلو من الكثافة البشرية، وإسرائيل دائما تفرض أسلوبها فى القتال، وهذا خطأ.

ما الأسلوب المناسب لقتال إسرائيل؟

إسقاط ضحايا مدنيين بالآلاف بعدها، لن نجد مدنيا واحدا يعيش بداخلها، وسيعود الجميع إلى أوروبا مرة أخرى هربا منها.

هل تبرىء عبد الناصر من الهزيمة وأنت «الناصرى»؟

لا هو المسئول عن الهزيمة.

مسئوليته المباشرة عن الهزيمة الكبرى هل جعلتك تغير قناعاتك تجاه شخصه؟

لم تغير شيئا، والهزيمة جاءت نتيجة مؤامرة وغلطته فى رأيى أنه لم يفهم الفرق بينه وبينهم.

ما الفرق الذي لم يفهمه رئيس مصر جمال عبد الناصر؟

أنه اعتمد بعض الشىء على القوى العظمى الثانية، الذي ثبت فيما بعد أنها كانت «مخوخة»، وغلبانه، فعبد الناصر أعتقد أن الاتحاد السوفيتى بالفعل، يستطيع أن يصد عنه أو على الأقل يحميه مثلما تفعل أمريكا مع إسرائيل والحسابات كانت خاطئة.

لماذا قلت إن المشير عبدالحكيم عامر لم يكن هو الرجل المناسب فى المكان المناسب؟

عبدالحكيم عامر أحد أخطاء عبد الناصر الكبرى، لأنه أسند له مهمة إدارة الجيش، باعتباره صديقه، حتى لا تحدث انقلابات، والحقيقة أن المشير لم يكن قائدا ولا حاجة.

ما الذي تتذكره من مأساة يونيو؟

الهزيمة القاسية قدمت لنا دروسا مفيدة على كل المستويات، فمثلا تم تغيير قماشة الجندى المصرى، حيث كانت إسرائيل تكتشف الضابط من الجندى، عن طريق ملابسه الداخلية، فالجندى كان يرتدى «سروالا» من القماش العادى، والضابط من «الجيل»، وأذكر قبل الحرب طلب منا المشير إصدار صحيفة، وذهبنا إلى سيناء أنا والفنان صلاح جاهين، والكاتب عباس الأسوانى، وزكريا الحجاوى، وعندما لمحنا قائد أحد الأسلحة وكان يزن 200 كيلوجرام، صاح بصوت مرتفع فى أفراد مكتبه، مَنْ هؤلاء؟ فرد عليه ضابط برتبة عميد، هؤلاء؟ هم الصحفيون، فقال أهلا وطنية، وكان رجلا طيبا، وسألناه عن الاحتمال فى أن تدخل أمريكا المعركة، فأجاب: هذا مستحيل، وأكمل حتى لو حدث ووجهت لنا أمريكا ضربة فى «أ» سنضرب فى «ب» و«ج»، و«د»، فقال له الحجاوى: آسف لم أفهم شيئا، فقال القائد، إذا ضربونا فى «أ» سنضرب فى «ب» و«ج» و«د»، وصمتنا رغم أنه لم يقل فى المرتين أي حاجة، وانتهت الجلسة ولم نصدر الصحيفة، ما أود أن أقوله: إن الفكر فى 67 كان غير ملائم، بعكس ما حدث فى 1973، وبعد الهزيمة جلست أنا وزكريا الحجاوى لمدة شهر كامل، على مقهى نقضى الليل كاملا دون أن يكلم أي منا الآخر كلمة واحدة طوال 30 يوما، والحزن كاد يفتك بنا، وبعد مرور الشهر نطق الحجاوى وقال: ولد يا محمود القائد طلع أُمِيِّ، لأنهم ضربونا فى «أ» و«ب»و «ج» و«د» وضحكنا.

ما ردك الأخير على الذين يرون تناقضا منك فى أنك واجهت المصاعب فى عهد عبد الناصر، ومع هذا لاتزال «ناصريًا»؟

عبد الناصر له إيجابياته، ويكفى أنه ألغى الملكية فى مصر، ولكن من أخطائه أنه اعتمد على ما سمى بـ «الضباط الأحرار» وهم ضباط لم يكن فى رأسهم شىء يصلح، باستثناء خالد محيى الدين، وكمال الدين حسين. عبد الناصر مات من الهم وعمره كان 52 عامًا، ولم يترك لأولاده رصيدًا.

لكن هم حسبما يقال من الأثرياء، خاصة زوج كريمته أشرف مروان؟

أصبحوا أغنياء، وأنا شاهدت أشرف مروان مرة فى مكتب سامى شرف واقف زى التلميذ ينتظر إشارة، وكان يأخذ 70 جنيها فى الشهر.

لماذا تحاول باستمرار إيجاد تبرير واقعة الضرب على «قفاك»، والتي تعرضت لها أيام عبد الناصر؟

ليس تبريرا، والذي ضربنى هو الغلطان وليس أنا.

هل تعتقد أن الكاتب جمال بدوى لم يفهم هذا المعنى؟

جمال بدوى كاتب من جيلى، لكن ربنا أكرمه والحمد لله ولم يتم سجنه فى أي عهد، وأدعو الله أن يواصل رحلة حياته دون «عكش أو لكش»، أو أي شىء، هو لم يجرب السجن وسافر إلى أبو ظبى فى فترة سابقة، برغبته وعمل هناك سنوات، ثم عاد ليصبح رئيسا لتحرير صحيفة الوفد المعارضة.

ماذا كنت تقصد عندما قلت إن جمال بدوى يحب أن يبدو فى صورة مؤرخ؟

لأن المؤرخ المفروض أن يكون منصفا ويفهم الأشياء على أصولها، هو أخطأ فى التعبير، ولا أحمل له فى نفسى شيئا، ولذلك لم أهاجمه، لأننى أهاجم فقط الناس الذين أتربص بهم، ويكون لهم معى تاريخ، وهم مثل الدكتور عبدالعظيم رمضان، كان موجودا أيام عبد الناصر، وكان يعرف أننا فى السجن ونضرب «بالحذاء» ولم يقل شيئا.

من الذي تتربص به؟

أناس كثيرون يقولون كلاما فارغا، وأنا لا أكذب على الورق أبدا، وما دمت غير «مغتاظ» ممن سأكتب عنه، يكون كلامى عنه باردا، لأن بصمات نفسى تخرج على الورق، بعكس كتاب كثيرين فرحانين بكل شىء.

لماذا حمَّلت الدكتور محمد عبدالقادر حاتم ذنب وفاة زكريا الحجاوى؟

لأن الدكتور حاتم أوقف عرض برنامج له، والسبب أن ضيوف البرنامج كانوا يرتدون الجلاليب.

أليست مبالغة أن تربط الوفاة بمنع عرض برنامج تلفزيوني؟

لأن القرار جاء فى وقت عصيب لزكريا، حيث كان منزله قد انهار، وتم فصله من الثقافة الجماهيرية ومن التليفزيون، وسافر مضطرا إلى قطر للعمل هناك، على الرغم من أنه كان يعشق الأرض المصرية، وفى قطر ارتكب غلطة عمره، حيث أنشأ فرقة فنون شعبية، وفى حفل الافتتاح وفى حضور الأمراء والمشايخ ظهر الحجاوى على المسرح، وقال: التاريخ ليس الذي يكتبه المؤرخون أبدا إطلاقا.. ليس الذي يكتبه المثقفون أبدا، كلهم كذابون، ليس الذي يكتبه الأفنديات بتوع الجامعة، دى مسألة خطيرة جدا.. الذي يكتب التاريخ الفن الشعبى، و الآن تشاهدون المؤرخ الحقيقى ونادى بصوت عال: اخرجى يا «عمشة» وظهرت سيدة شكلها «غسالة» فى البيوت، فكل الحاضرين قالوا هذا الرجل اتجنن، ولولا وجود الكاتب السودانى الطيب صالح، الذي كان يشغل منصب وكيل وزارة الإعلام القطرية، لتم طرده من المسرح إلى المطار فورا، وظل بعد هذه الواقعة يعيش محسورا وداهمه المرض حتى مات، ولذلك عبدالقادر حاتم بقراره منع ظهور الجلابية فى التليفزيون المصرى، ساهم فى ذبح زكريا الحجاوى.

وهل لهذا تحاملت على الدكتور حاتم، وقلت رغم رئاسته للمجالس القومية المتخصصة لم يتخصص فى شىء طوال حياته؟

نعم.. هو لم يتخصص فى شيء.

لكنه يحمل الدكتوراه فى القانون؟

أنا ممكن أحصل على الدكتوراه فى أي وقت، وهناك غالبية حصلت على الدكتوراه من السوق الحرة، وفى وقت كنت تسلم على أي واحد فى الكتلة الشرقية تأخذ دكتوراه.

لماذا لم تنصف الرئيس أنور السادات؟

أنصفه إزأي يعنى؟!

تنصفه بعد انتصار أكتوبر؟

وماذا فعل فى حرب أكتوبر؟ الذي فعله أنور السادات أنه أخذ قرار الحرب فقط، والذي قام بالحرب الجيش المصرى، ومن حارب ومات هو صاحب النصر.

معنى هذا أنك تتفق مع من يقول إن أكتوبر هى انتصار الجنود وليس السادات؟

نعم، لأن المكاسب السياسية التي أخذتها مصر من هذه الحرب لا تتفق مع حجم التضحيات.

ما طبيعة العلاقة التي كانت تربطك بمحمود نور الدين - قائد تنظيم ثورة مصر؟

تعرفت عليه فى لندن عندما كانت ابنتى تُعَالجُ هناك، وكان شهما، ثم طلب منى أن نصدر صحيفة، ولكنه فشل فى تمويلها.

ولكن كيف أصدرتما مجلة 23 يوليو فى لندن؟

بالمصادفة تلقيت مكالمة تليفونية من ثرى عربى خليجى، قال لى: ماذا تفعل الآن يا محمود؟ قلت له: ساكت، قال: لا تعمل أي شىء.. قلت له ساعات باشتم فى الجرايد، قال مش عاوز حاجة، قلت له عاوز أعمل جريدة، وافق، ولكنها كانت تجربة مريرة، واكتشفت من خلالها أشياء غريبة عن العرب.. العراق كان يريدها ثورة «تموز» وليبيا ثورة «الفاتح».

هل ندمت على هذه التجربة؟

لم أندم برغم أن العراق ضحك علىَّ، فعندما رفضت ليبيا دخول المجلة والجزائر أيضا طلبت بغداد 5 آلاف نسخة أسبوعيا، وفى الأسبوع الثانى، طلبوا زيادتها إلى 10 آلاف نسخة، وفى الثالث 15ألف نسخة، وقالوا الحساب نهاية العام، وسافرت إلى بغداد، فأحضروا لى كشف البيع، وتبين أن البيع كان 4 آلاف نسخة كل عدد، صدمت فرد على المسئول العراقى وقال: تعرف يا أستاذ محمود إحنا «حمير» مصر مختلفة وعباقرة، فقلت له: والله الحمير إحنا، وحاسبونى على 4 آلاف نسخة، وعرفت أن الحكمة من إصدار 23يوليو كان هو أن تزيد دخل الخطوط العراقية، لأننى كنت أسدد 50 قرشا عن كل عدد لهذه الشركة.

وصدام حسين فيما بعد قال لى: هل صحيح أنك ساهمت فى زيادة دخل الطيران العراقى؟ وأفلست الجريدة وأغلقتها، وأذكر أن وزير الإعلام السعودى محمد عبده يمانى، قابلنى، وقال لى لماذا لم تتصل بى قبل إغلاقها، فقلت له، ولماذا لم تسأل أنت؟ فقال حدث وأصدقاؤك العراقيون قالوا السعدنى عنده ملايين الدولارات، وبيلعب بها قمار.

لماذا أطلقت كلمة «الكليبي» على الشاذلى القليبى أمين عام جامعة الدول العربية السابق؟

لأننى شعرت أنه «كليبى» لأن الجامعة كانت مجرد خيال مآتة ومع هذا ألتمس له العذر، لأنها حتى الآن «كليبى«

وهل ما زلت عند رأيك بأن آخر أمين للجامعة كان هو محمود رياض؟

نعم لم يأت بعده أحد.

جماعة الإخوان لك دائما رأي حاد فيها ما السبب؟

ليس حادًا، هم مسلمون ما فيش شك، لكن من العيب أن يكذب مسلم، وهذا ما حدث عندما ظهر أحد زعماء الإخوان مأمون الهضيبى فى التليفزيون، وأنكر أن الإخوان حاولوا الاعتداء على عبد الناصر، وأن عبد الناصر هو الذي «فبرك» الحكاية، وهناك قضية إرهابية بطلها المرشد العام مصطفى مشهور، تعتبر أخطر قضية إرهابية، والقاضى الذي فصل فيها ألَّف كتابا عنها، عندما تقرأه سيتحول شعر رأسك الأسود إلى اللون الأبيض الناصع، مثل الثلج تماما، من هول ما حدث.

ما ملاحظاتك على جماعة الإخوان؟

هى جماعة سياسية وليست دينية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سيـرة ذاتيــة

ماهر محمد محمد حمد مقلد

الاسم الصحفى: ماهر مقلد

مواليد سوهاج مركز جهينة

البريد الإلكرتوني: mmaklad50@gmail.com

المؤهل الدراسى:

ليسانس الآداب قسم الصحافة جامعة أسيوط كلية الآداب سوهاج عام 1984 تقدير جيد.

المسمى الوظيفى:

مدير تحرير الأهرام والمشرف على الموقع الإلكترونى للأهرام.

المشرف على ملف الحوارات الصحفية.

يكتب افتتاحية الأهرام صباح يوم السبت.

يكتب مقال رأي بالأهرام يوم الثلاثاء كل اسبوعين.

العمل السابق:

رئيس القسم السياسى فى مجلة الأهرام العربى وعضو مجلس التحرير 1998- 2000.

رئيس الدسك السياسى مكتب جريدة الشرق الأوسط 2000-2001.

عضو مجلس تحرير الطبعة العربية للأهرام 2002-2005.

مدير مكتب الأهرام الأسبق فى لبنان 2006-2010.

عضو الدسك المركزى الأهرام 2010-2017.

المؤلفـــات:

كتاب ناريمان الملكة الأخيرة 2005.

رواية»الشيخ وحشى» 2007.

رواية»صمت الجبال» 2014.

كتاب لبنان فتنة القصور 2015.

كتاب طلال أبوغزاله الصعود إلى القمة 2016.

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس المحتويات

عن الكتاب..

إهداءٌ..

مقدمة لا بُدَّ منها

الفصل الأول

شهود يوليو

الفصل الثانى

الحوارات الشائكة

الفصل الثالث

الحوارات النادرة

الفصل الرابع

حوارات التطبيع

سيـرة ذاتيــة